

الإمام الحسن عليه السلام
القائد المصلح

اسم الكتاب : الإمام الحسن عليه السلام القائد المصلح
المؤلف : سالم رحيم معله
الموضوع : سيرة الإمام الحسن عليه السلام
رقم الطبعة : الأولى
سنة النشر : ٢٠٢٦ م
عدد الصفحات : ٣٠٧
نوع الغلاف : هارد كوفر
الناشر : مطبعة الثقليين

رقم الايداع الدولي ISBN

978-9922-767-88-8

الإمام الحسن عليه السلام القائد المصلح

تأليف

سالم رحيم معله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





الأهداء

أهدي هذه الصفحات المشرقة بذكر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام إلى
جده المصطفى وأبيه المرتضى وأمه الزهراء وأخيه الشهيد بكر بلاء وذريته
النجباء.

وإلى القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام الذي يرى الموت أحلى من الشهد
في نصره عمه الحسين عليه السلام.

وإلى كل عالم وكاتب وباحث سطر بقلمه سيرة الإمام لا سيما الشيخ
باقر القرشي والسيد جعفر مرتضى العاملي



المُقَدِّمَةُ

الحمد لله والحمد حقّه كما يستحقّه حمدا دائما أبدا، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد عبده ورسوله دفع به الشقاء وكشف به الغمّ وأجاب به الدعاء ونجى به من البلاء ورحم به العباد وأحيا به البلاد وقصم به الجبابرة وأهلك به الفراعنة وآله الطاهرين أئمة المؤمنين وسادة المتقين وكبراء الصديقين وأمراء الصالحين وقادة المحسنين وأعلام المهتدين وأنوار العارفين وورثة الأنبياء وصفوة الأوصياء وشموس الأتقياء وبدور الخلفاء، وبعد:

بعد أن وفقني الله تعالى لكتابة كتبٍ عن أهل البيت عليهم السلام وكان أولها كتاب (شذرات عن الإمام الحسين عليه السلام) وتلاه كتاب (في رحاب الإمام المهدي عليه السلام) وأردفه كتاب (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النص القرآني آيات الخطاب) وبعده تم كتاب (الحقيقة المحمدية) بالاشتراك مع الشيخ الأستاذ كرار حكيم الشمري وختمت هذه السلسلة بكتاب (زاد الزائر في شرح زيارات المعصومين عليهم السلام) وجدت أن الإمام الحسن عليه السلام وهو السبط الأكبر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته الثاني بعد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ومع مقاماته الشاخرة ومنزلته العظيمة إلا أن الكتابات عنه قليلة جدا ولا تفي بحق هذه الشخصية العظيمة

ولم تصل المؤلفات عنه لما وصل له الفيلسوف والشاعر محمد أقبال إذ كُتِبَ عنه أكثر من خمسة آلاف كتابا وبحثا بينما الإمام الحسن (عليه السلام) لم تصل المؤلفات عنه عشر العشر من عدد هذه المؤلفات، وهذا البخس بعينه والميل عن الصراط المستقيم وهجر للقدوة الإلهية الربانية الحسنة، كما أني لم أجد من كتب عن الإمام الحسن (عليه السلام) قد كتب في مقاماته وعلمه وفصاحته وبلاغته وزيارته، نعم قد كتب المؤلفون عن سيرته بالطريقة السردية وبعض التحليل للنصوص والمواقف التاريخية، ولم أجد أفضل من كتاب سيرة الحسن في الحديث والتأريخ للسيد جعفر مرتضى العاملي والذي يقع في اثني عشر جزءا وكذا كتاب سيرة الإمام الحسن بن علي من موسوعة سيرة أهل البيت للشيخ باقر شريف القرشي والذي يقع في جزئين وكتاب صلح الحسن للشيخ مرتضى آل ياسين...

من هنا تدفقت فكرة تأليف كتاب عن الإمام الحسن (عليه السلام) يتميز عن سائر الكتب السابقة بمباحث تفصيلية في بيان موضوعات بعضها تم بحثها لكن بالطريقة السردية دون التحليل والاستناد للقرآن الكريم وما أوضحه المفسرون وحمل القرآن، وبعضها لم تكن مبحوثة سابقا كمبحث شرح زيارة الإمام الحسن ومقاماته ومبحث قيادته في ظل المجتمع المتدني وغير ذلك.

ولكي يتضمن الكتاب مباحث كافية في سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) فقد بحثُ فيه ستة عشر مبحثاً أولها مسيرته وسرد سيرته كاملة في سطور وآخرها

عملية اغتياله وأسبابها وانتقاله للرفيق الأعلى... ولا أدعي أنني أتيت بما لا يأتي به الأوائل، غاية ما في الأمر أن يكون الكتاب عن الإمام الحسن عليه السلام يحمل بين دفتيه نزر قليل عنه ولو بقدر الذرة في المجرة والقطرة في المحيط.

ومما أعاقني في كتابة الكتاب ما ذكرته من قلة المصادر التي تذكر الإمام الحسن عليه السلام مع تشابه أغلب الموضوعات والتي بُحثت بالطريقة نفسها مع كل ذلك وضع خطة البحث والتنقيب عن المصادر كان من الصعوبة بمكان.

وقد راجع الكتاب الشيخ عبد الجليل الندائي إذ قال عنه: (ما كتبه هو جهد كبير واضح، إعداد جيد مملوء بالروايات والنصوص؛ مما تجعله وثيقة كبيرة...)، كذا راجعه الأستاذ المساعد الدكتور الشيخ عبد الرحمن عبد الحسين الطاهر أستاذ العلوم السياسية في الجامعة المستنصرية فقال: (أشكركم على هذا الانجاز، والسفر العلمي، وجهود واضحة وكبيرة...)، وقد صححت الكتاب وفق ملاحظتها فكان هذه النسخة التي بين يدي عزيزي القارئ.

وقد يجد القارئ بعض النصوص التي نقلتها طويلاً جداً، والسبب الذي دعاني في ذلك؛ ليكون القارئ مطلعاً على الرواية كاملة لصعوبة رجوعه إليها في المصادر الأم، كذا ليكون اطلاعاً على التعليقات عليها وإفياً كاملاً.

وما كان في هذا الكتاب من كمال وصواب فهو من لطف الله تعالى

ونفحات محمد وآل محمد وما كان فيه من نقص وسهو فهو مني وهذه سجية
البشر، كما وأني أقبل أي نصيحة ومعلومة من شأنها تصحيح الكتاب ونقده
إيجاباً بغية إتمامه وإكماله، هذا وأسأل الله تعالى والإمام الحسن (عليه السلام) التوفيق
وقبول هذا العمل، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

A vertical decorative element featuring a central rectangular box with rounded corners. Above and below the box are intricate, symmetrical Islamic geometric patterns. The top part consists of a series of pointed, interlocking shapes, while the bottom part is a mirror image of the top. The central box contains the title text in Arabic.

المبحث الأول: مسيرة النور في سطور

ذكرت مصادر التاريخ في طياتها سيرة الإمام الحسن مختصرة تبين عظمته، من ذلك قول الشيخ المفيد: (والإمام بعد أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الحسن ابن سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله الطاهرين. كنيته أبو محمد. ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وجاءت به فاطمة إلى النبي عليه وآله السلام يوم السابع من مولده في خرقة من حرير الجنة كان جبرئيل عليه السلام نزل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسماه حسنا وعق عنه كبشا، روى ذلك جماعة، منهم أحمد بن صالح التميمي، عن عبد الله بن عيسى، عن جعفر بن محمد عليه السلام وكان الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله عليهما عن خلقا وسؤددا وهديا. روى ذلك جماعة منهم معمر، عن الزهري، عن أنس ابن مالك قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي عليهما السلام وروى إبراهيم بن علي الرافعي، عن أبيه، عن جدته زينب بنت أبي رافع قال: أتت فاطمة بابنيها الحسن والحسين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه التي توفي فيها فقالت: " يا رسول الله هذان ابناك ورثهما شيئا " فقال: " أما الحسن فإن له هديي وسؤددي، وأما الحسين فإن له جودي وشجاعتني)^(١)

أثبت الشيخ المفيد في النص أعلاه أن مولد الإمام الحسن عليه السلام من والديه أمير المؤمنين علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام كان في النصف من شهر رمضان في

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ط ٢: ٢/ ٥

سنة ثلاثة للهجرة، وأقام عليه رسول الله ﷺ مراسيم السنة النبوية للمولود العلوي الفاطمي الجديد، ولأن المولود يرث من آبائه وأجداده الصفات فقد ورث من رسول الله ﷺ صفاته، فأصبح أشبه الناس بجده خلقا وسؤدا وهديا، وهذا كما رواه الإمام جعفر الصادق عليه السلام فقد رواه من مالك بن أنس.

وقال الشيخ الطبرسي: (ولد عليه السلام بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وقيل سنة اثنتين من الهجرة، وكنيته أبو محمد. جاءت به أمه فاطمة سيدة النساء عليها السلام إلى رسول الله ﷺ يوم السابع من مولده في خرقه من حرير الجنة نزل بها جبرئيل إلى رسول الله ﷺ فسماه حسنا، وعق عنه كبشا وقبض رسول الله ﷺ وله سبع سنين وأشهر، وقيل: ثمان سنين. وقام بالأمر بعد أبيه عليه السلام وله سبع وثلاثون سنة. وأقام في خلافته ستة أشهر وثلاثة أيام، ووقع الصلح بينه وبين معاوية في سنة إحدى وأربعين، وإنما هادنه عليه السلام خوفا على نفسه، إذ كتب إليه جماعة من رؤساء أصحابه في السر بالطاعة وضمنوا له تسليمه إليه عند دنوهم من عسكره، ولم يكن منهم من يأمن غائلته إلا خاصة من شيعته لا يقومون لأجناد الشام. وكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح وبعث بكتب أصحابه إليه، فأجابه إلى ذلك بعد أن شرط عليه شروطا كثيرة، منها: أن يترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والقنوت عليه في الصلاة، وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه. فأجابه معاوية إلى ذلك كله، وعاهده على الوفاء به، فلما استتمت الهدنة قال في

خطبته: إني منيت الحسن وأعطيته أشياء جعلتها تحت قدمي، لا أفني بشيء منها له وخرج الحسن عليه السلام إلى المدينة وأقام بها عشر سنين، ومضى إلى رحمة الله تعالى لليلتين بقيتا من صفر سنة خمسين من الهجرة وله سبع وأربعون سنة وأشهر مسموما، سمته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس، وكان معاوية قد دس إليها من حملها على ذلك وضمن لها أن يزوجه من يزيد ابنه وأوصل إليها مائة ألف درهم فسقته السم. وبقي عليه السلام مريضا أربعين يوما، وتولى أخوه الحسين عليه السلام غسله وتكفينه ودفنه عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بالبقيع^(١).

يُعد نص العلامة الطبرسي نصا شاملا لسيرة الإمام الحسن عليه السلام فقد ذكر مولده ومراسيم الميلاد المبارك، وأنه مكث مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين، وأقام بعد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وله من العمر سبع وثلاثون سنة، وما جرى له مع معاوية بن أبي سفيان في سنة إحدى وأربعين، وأقام في المدينة عشرة سنين إلى أن قتله معاوية عن طريق جعدة بنت الأشعث سنة خمسين للهجرة.

و قال ابن عساكر: (ولد للنصف من [شهر] شعبان سنة ثلاث من الهجرة. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث وعن أبيه علي بن أبي

(١) إعلام الوری بأعلام الهدی، الشیخ أبو علی الفضل بن الحسن الطبرسی، مؤسسة آل البيت

طالب. روى عنه ابنه الحسن بن الحسن والمسيب بن نجبة وسويد بن غفلة والعلاء بن عبد الرحمن، والشعبي وهبيرة بن يريم والأصبغ بن نباتة وجابر أبو خالد وأبو الحوراء [ربيعة بن شيان] وعمير بن [مأموم ويقال: مأمون بن زرارة] وأبو يحيى عمير بن سعيد النخعي وأبو مريم قيس الثقفي وطحرب العجلي وإسحاق بن يسار والد محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن أبي عوف وسفيان بن الليل وعمرو بن قيس الكوفيون ووفد على معاوية غير مرة.^(١)

بين ابن عساكر أن الإمام الحسن (عليه السلام) كان محدثاً عن جده وأبيه صلى الله عليهما وآلهما، كذلك أخذوا مجموعة من الرواة الحديث عن الإمام ذكره في النص أعلاه أولهم ابنه الحسن المثنى وآخرهم عمرو بن قيس.

وذكر الشيخ الإربلي: (الأول في ولادته (عليه السلام) أصح ما قيل في ولادته إنه ولد بالمدينة في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وكان والده علي بن أبي طالب (عليه السلام) قد بنى بفاطمة (عليها السلام) في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة وكان الحسن (عليه السلام) أول أولادها وقيل ولدته لسته أشهر والصحيح خلافه. ولما ولد (عليه السلام) وأعلم به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذه وأذن في أذنه ومثل ذلك روى الجنازدي أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر. وروى ابن الخشاب أنه ولد (عليه السلام)

(١) ترجمة الإمام الحسن، ابن عساكر، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،

المبحث الأول: مسيرة النور في سطور..... ١٩

لستة أشهر ولم يولد لستة أشهر مولود فعاش إلا الحسن وعيسى بن مريم عليهما السلام. وروى الدولابي في كتابه المسمى كتاب الذرية الطاهرة قال تزوج على فاطمة عليها السلام فولدت له حسنا بعد أحد بستين وكان بين وقعة أحد وبين مقدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة ستان وستة أشهر ونصف فولدته لأربع سنين وستة أشهر ونصف من التاريخ وبين أحد وبدر سنة ونصف. وروى أنها عليها السلام ولدته في شهر رمضان سنة ثلاث. وروى أنه ولد في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث وكنيته أبو محمد. وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله عق عنه بكبش وحلق رأسه وأمر أن يتصدق بزنته فضة وروى أن فاطمة عليها السلام أرادت أن تعق عنه بكبش فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تعقي عنه ولكن احلقي رأسه ثم تصدقي بوزنه من الورق في سبيل الله عز وجل ومنه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله عق عن الحسن كبشا وعن الحسين كبشا^(١)

إن ما ذكره ابن عساكر لا يتعدى الأخبار عن سنة الولادة وعن مراسم الميلاد والسنة النبوية التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وآله على سبطه الأكبر الذي أبتهج به البيت العلوي الفاطمي.

وجاء عن الرزندي الحنفي قوله: (الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام الإمام الثاني العالي المباني، الزاهد الولي، القانت الزكي، سبط الرسول النبي،

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الفتح الإربلي، دار الأضواء، بيروت، لبنان: ١٣٦/٢

وابن المرتضى الصفى، والمجتبى الوفى، أبو محمد الحسن بن على. كان (رضى الله عنه) سيدا، حليما، سخيا، كريما، ورعا، عطوفا، رحىما، رؤوفا، رىحانة الرسول، وابن بنته البتول، المجتبى المرتضى، سبط المصطفى، وابن المرتضى، صاحب الجود والمنن، القائم بالفرائض والسنن، أبا محمد حسن، المقتول بالسهم النقيع، المدفون بأرض البقيع. [فى ولادته] ولد (رضى الله عنه) ليلة النصف من رمضان سنة ثلاث. وقيل: سنة اثنتين من الهجرة. وقال جعفر بن محمد: ولد عام غزوة أحد قبل الواقعة... فقال النبى (ﷺ): سمه حسنا، وعق عنه (ﷺ) بكبش. وأمر بحلق شعره يوم سابعه، وأن يتصدق بزنته فضة ومات رسول الله (ﷺ) وله سبع سنين وأشهر وقيل: ثمان سنين. وبقي بعد مصالحة معاوية عشر سنين.)^(١)

إنّ الزرندي وأن كان من علماء المسلمين على المذهب الحنفى إلا أنه أرخ للإمام الحسن عليه وذكر صفاته، وألقابه، وسنة ولادته مع اختلاف الروايات فى ذلك، وما تصدق به رسول الله (ﷺ) من زنة شعره بفضة، إن هذا العالم يقرّ بفضل الإمام (عليه السلام) وبذلك يكون حجة عليه؛ لعلمه بمقاماته ومناقبه وقربه.

ذكر ابن صباغ المالكي: (قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: حصل للحسن وأخيه الحسين (عليهما السلام) ما لم يحصل لغيرهما، فإنّهما سبطا رسول الله (ﷺ) وريحانتاه، وسيّدا شباب أهل الجنة، جدّهما رسول الله (ﷺ)، وأبوهما

(١) معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول، الشيخ محمد الزرندي الحنفى، (د. ط): ٦٣

المبحث الأول: مسيرة النور في سطور..... ٢١

عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وأمّهما الطهر البتول فاطمة ابنة الرسول، والله در القائل:

نسبٌ كان عليه من شمس الضحى

نورٌ ومن فلق الصباح عمودا

هذا النسب الذي تتقاصر عنده الأنساب

وجاء بصحّته الأثر، وصدّقه الكتاب

فهو وأخوه دوحة النبوة التي طابت فرعاً وأصلاً، وشعبتا الفتوة التي سمت رفعةً ونبلاً، قد اكتنفهما العزّ والشرف، ولازمهما السؤدد فماله عنهما منصرف. وأما كنيته عليه السلام: فأبو محمّد لا غير. وأما ألقابه عليه السلام فكثيرة هي:

التقي، والزكي، والطيب والسيد، والسبط، والولي، كلّ ذلك كان يُقال له ويُطلق عليه، وأكثر هذه الألقاب شهرةً التقي وأعلاها رتبته، ما لقّبه به رسول الله ﷺ حيث وصفه به وخصّه بأن جعله نعتاً له، فإنّه صحّ النقل كما جاء في

الصحيحين عن النبي ﷺ فيما أورده الأئمة الإثبات عنه ﷺ، والروايات الثقات أنه قال: إنّ ابني هذا سيّد... وأما صفته عليه السلام: فإنه روى عن أنس بن مالك [رض] قال: لم يكن أحدٌ أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن عليّ عليه السلام.

وعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: " كان الحسن عليه السلام أشبه برسول الله ﷺ ما بين الرأس إلى الصدر، والحسين أشبه فيما كان أسفل من ذلك. وروى البخاري في صحيحه يرفعه إلى عقبة بن الحارث قال: صلّى أبو بكر ثمّ خرج يمشي ومعه

عليّ (عليه السلام) فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحملة أبو بكر على عاتقه وقال: بأبي شبيه بالنبيّ ليس شبيهاً بعليّ، قال: وعليّ (عليه السلام) يضحك، وروى مرفوعاً إلى أحمد بن محمد بن أيّوب المقرئ قال: كان الحسن (عليه السلام) أبيض اللون مشرباً بحمرة، أدعج العينين، سهل الخدين، دقيق المشرّبة كث اللحية ذا وفرة، وكأنّ عنقه إبريق فضّة، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، ربعة ليس بالطويل ولا القصير، مليحاً من أحسن الناس وجهاً، وكان (عليه السلام) يخضب بالسواد، وكان (عليه السلام) جعد الشعر، حسن البدن، كان نقش خاتمه " العزّة لله وحده " (...)^(١)

ما يميز نص ابن صباغ المالكي أنه بعد ذكر ولادة الإمام (عليه السلام) وألقابه وما حباه رسول الله ﷺ بأحاديث تكون حجة على من بلغته، ذكر الصفات الجسميّة للإمام (عليه السلام) وهو بذلك يشبه جده رسول الله ﷺ.

وقد أرخ الشيخ محمد حسين الأصفهاني سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) في قصيدة نذكر الأبيات ونختتم بها هذا المبحث:

" في مولد أبي محمد الحسن السبط "

نور الهدى من أفق الحق بدا فأشرق به معالم الهدى
والنير الأعظم نوره خبا مذ أشرق الكون بنور المجتبى

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد أحمد ابن صباغ المالكي، دار الحديث للطباعة

وكيف لا ونور وجهه المضيئ	زيتونة يكاد زيتها يضيئ
والمثل الأعلى لنور النور	فليس الجلي منه في الظهور
ونوره القاهر للأنوار	يكاد أن يذهب بالأبصار
وادي طوى بنوره استنارا	ومنه آنس الكلیم نارا
ومن سناه خر موسى صعقا	واندك منه الطور لما أشرقا
كيف وهذا النير الإلهي	مثال من ليس له التناهي
وذاؤه لطيفة قدسية	رقيقة الحقائق العلوية
وما الحروف العليات إلا	أسمائه الغر إذا تجلى
إذ هو رمز الغيب والشهود	فاتحة الكتاب في الوجود
بل ذاته نقطة باء البسمة	ومجمل الحقائق المفصلة

موقفه من الكيان العالمي

أصل الوجود غاية الایجاد	جل عن الأشباه والأنداد
بل هو في مقامه الكريم	رابطه الحادث والقديم
وفي محيط الكون والمكان	واسطة الوجوب والامكان
ومبدء الخير ومنتهى الكرم	ومصدر الوجود من كتم العدم
سر الوجود في حياة علن	فثم وجه الله وجهه الحسن
غرته مطلع أنوار الأزل	فلا يزال نورها ولم يزل
وفي مظاهر الوجود لن ترى	أعظم منه مظهرا ومنظرا

أعظم مظهر لأجل ظاهر به ظهور سائر المظاهر

" ووالد وما ولد "

وقادة الخلق إلى السعادة	يهنيك يا أبا الولاية السادة
أخا وأما وأبا وجدا	بمن تسامى شرفا ومجدا
قلب الهدى عقل العقول القاهرة	ريحانة الطهر وروح الطاهرة
وبهجة الزمان والمكان	إنسان عين عالم الإمكان
والفرد في الخلقة والخليقة	جامع شمل الحق والحقيقة
من ربه فنال غاية المنى	وارث سيد الوجود من دنى
كل فضيلة وكل مكرمة	فاز وجاز من مقام العظمة
وعن معاليه المعاني قاصرة	بل هو منه مثل نور الباصرة
من بسناه ينجلي الديجور	باب الهدى وبيته المعمور
ومستجار كعبة الأمانى	قبلة كل عارف رباني
وبابه الرفيع مركز الملك	وبيته المنيع محور الفلك
ببابه النجاح والفلاح	ما العرش ما الكرسي ما الضراح
وعنده مفاتيح الغيوب	بل هو باب حطة الذنوب
باب التجليات بالمجلى الأتم	باب جوامع العلوم والحكم
على أساس العدل والتوحيد	بناه بالحق يد التأييد

"البشرى"

بشراك يا حقيقة المثاني	بواحد الدهر بغير ثاني
بالحسن المنطق والبيان	ومن حوى بدائع المعاني
من اجتباه ربه وائتمنه	سبحان من أبدعه واتقنه
وأصله مؤصل الأصول	وفرعه جواهر العقول
وآية النور جمال غرته	وجنة الخلد مثال وجته
لسان صدقه بكل قيل	حقا وصدقا منية الخليل
وروضة الدين بوجهه الحسن	قطوفها دانية مدى الزمن
زكت ثمار العلم بالزكي	أكرم بهذا الثمر الجنى
واهتزت السبع العلى لمولده	وطابت الأرض بطيب محته

"التهنئة والفضائل"

لك الهنا بالسيد المطاع	ياليث غاب عالم الابداع
سماه سيد البرايا سيدا	كفاه فضلا لو نظرت جيدا
فهو له السمو والسيادة	في الملكوت العيب والشهادة
أعطاه جده نبى الرحمة	سؤدده وعلمه وحلمه
من رشحات بحر علمه الخضم	جرت ينابيع العلوم والحكم
هو الكتاب المحكم المبين	في لوحه التشريع والتكوين

بأمره جرى بما جرى القلم والأمر منه أمر بارئ النسم

" التسليم والرضا "

وحلمه له المقام السامي	في حلمه ضلت أولوا الأحلام
وسلمه في موقع التسليم	من نفحات قلبه السليم
رضاه فيما كان لله رضا	قضى على حقوقه بما قضى
وصبره العظيم في الهزائم	يكاد أن يلحق بالمعاجز
من حلمه أصابه من البلا	ما لا تطيقه السماوات العلى
تبت يدا آكلة الأكباد	أتت برأس البغي والفساد
أتت بمن لا تكشف النساء عن	أخبث منه في الشقاء والإحن
مالابن هند لا أبال له أبى	ولاية الأمر لأصحاب العبا
فأشهر الحرب على الله العلي	مذ حارب الوصي بالنص الجلي
وسن سب سيد الأكابر	بغيا على الله المنابر
وبعده عدا عنادا واعتدى	على سليله سلالة الهدى
فاستلب الإمرة بالتسويل	عن أهل بيت الوحي والتنزيل
كيف يليق الرجس بلا مارة	دون سليل القدس والطهارة
فلا ورب العرش لا يليق	بمنصب الإمامة الطليق
لكنه ريب الزمان ذو غير	ساعده الغدر عليه والقدر
فانتشر الشر وشاع المنكر	وليس للمعروف اسم يذكر

وكم وكم من حرمت هتكت	ومن دماء زاكيات سفكت
وما جرى منه على الإمام	تنكل عنه ألسن الأقلام
وكم وكم منه تجرع الغصص	وجرعة السم أخيرة القصص
وكان سهمه عقيب رحلته	سهام بغيتهم وهتك حرمة

" المدفن القدسي "

أيمنع الحبيب عن حبيبه	ظلم ولا مانع عن رقيه
أستباح قربه لصاحبه	ويحرم الأقرب من أقاربه
أحرم الزكي عن قرب النبي	وساغ قربه لرجس أجنبي
يا ويل مروان وويل عايشة	لقد تحملا خطايا فاحشة
ما راقبوا النبي في قرباه	بعدا لمن أبعد مجتباة
وما رموه إذ رموه بل رمى	من كان أشقى منهم وأظلم
لهفي لآل المصطفى الأماجد	رماهم الكل بقوس واحد
قوس الألى وهل ترى من الألى	من وتر النبي فيهم أولا
أولئك الذين عمدا كفروا	بربهم فبدلوا أو غيروا
هم أسسوا السقيفة السخيفة	ظلموا وما أدراك ما السقيفة
بناه غدر بيد محتالة	على أساس الكفر والضلالة
قضت على الدين الحنيف والهدى	بضربة لا بد منها أبدا
قضت على الشريعة الغراء	فاسود منها أفق السماء

قضت بجورها على الكتاب	فغيبته عن أولي الأبواب
قضت على سنة سيد الورى	فأصبحت إلى الورى كما ترى
قضت على المنبر والمحراب	فأصبحت غنيمه الأذنب
قضت على ليوث آل غالب	فأصبحت فريسة الثعالب
قضت على كفيل أهل الدين	فأقعدته حجرة الظنين
قضت على العلم بسد بابيه	فأل أمره إلى خرابيه
قضت على الإمرة والولاية	فثم لفت راية الهداية
قضت على حقوق آل المصطفى	بكل ما أمكنها من الجفا
فيها من فتنة مضلة	مبدء كل عثرة وزلة
لقد أضاعوا شرف الخلافة	بعقدها لابن أبي قحافة
تالله ما أظلت السقيفة	يوما على أنتن منه جيفة
وهو بمعزل عن الإمارة	لولا اتباع نفسه الأمارة
وقد رأى بيعته المشومة	السامري فلتة مذمومة
وهو من العجل أخس منزلة	فإنه عجل ولا خوار له
واعجبا بالعتيق يقتدى	ويترك الحق وأهله سدى
تعا لهم فما عدا مما بدا	حتى تواردوا على ورد الردى ^(١)

(١) الأنوار القدسية، الشيخ محمد حسين الأصفهاني، مؤسسة المعارف الإسلام، قم،

المبحث الثاني: روايات وتوضيحات

هناك روايات عديدة مبثوثة في كتب الحديث والتأريخ ذكرت صفات الإمام الحسن عليه السلام، نورد بعضها مع إيضاحات مختصرة، من ذلك:

عن المفضل بن عمر قال: (قال الصادق عليه السلام: حدثني أبي، عن أبيه عليه السلام أن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام كان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم وكان إذا حج حج ماشيا وربما مشى حافيا وكان إذا ذكر الموت بكى وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر الممر على الصراط بكى وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره شهق شهقة يغشى عليه منها، وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائضه بين يدي ربه عز وجل، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم، وسأل الله الجنة وتعوذ به من النار. وكان عليه السلام لا يقرأ من كتاب الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا) إلا قال: لبيك اللهم لبيك، ولم ير في شيء من أحواله إلا ذكرا لله سبحانه، وكان أصدق الناس لهجة، وأفصحهم منطقا، ولقد قيل لمعاوية ذات يوم: لو أمرت الحسن بن علي بن أبي طالب فصعد المنبر فخطب ليتبين للناس نقصه، فدعاه فقال له: اصعد المنبر وتكلم بكلمات تعظنا بها، فقام عليه السلام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، وابن سيدة النساء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنا ابن خير خلق الله أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنا ابن صاحب الفضائل، أنا ابن صاحب المعجزات والدلائل، أنا ابن أمير المؤمنين، أنا المدفوع عن حقي، أنا وأخي الحسين سيدا

شباب أهل الجنة أنا ابن الركن والمقام أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المشعر وعرفات. فقال له معاوية: يا أبا محمد خذ في نعت الرطب ودع هذا فقال (عليه السلام):
الريح تنفخه والحرور ينضجه، والبرد يطيبه، ثم عاد (عليه السلام) في كلامه فقال: أنا إمام خلق الله، وابن محمد رسول الله. فخشي معاوية أن يتكلم بعد ذلك بما يفتتن به الناس، فقال: يا أبا محمد انزل فقد كفى ما جرى، فنزل.^(١)

ولنا عن هذه الرواية تعليقات عدة:

١. أن هذه الرواية عن المفضل عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر عن جده السجاد (عليه السلام) جميعاً؛ وبذلك تكون الرواية ذات سلسلة ذهبية مباركة وبيان لحقيقة الإمام الحسن (عليه السلام) ومقاماته.

٢. بينت الرواية مقامات للإمام (عليه السلام) في عبادته وزهده وحجه ماشياً وذكره للموت والبعث والعرض والصراط وفي كلها يبكي، وصلاته وخشوعه وتليته لله تعالى، وصدق حديثه وفصاحته.

٣. ذكرت الرواية موقفاً تاريخياً بين الإمام الحسن (عليه السلام) وبين معاوية بن أبي سفيان، وأنه أراد بيان تعجيز الإمام أمام القوم، فتفاجأ بأن الإمام أفصح العرب وقد عجز القوم أمامه.

٤. الإمام (عليه السلام) عرف عن نفسه بأنه ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء، وابن

أمير المؤمنين وذكر مناقب أبيه ليدحض مكر معاوية وكذبه وتغريه بقومه، ذلك أن معاوية يغرر بقومه ويوردهم بئس الورد المورود ، وذكر الإمام بأنه مدفوع عن حقه، وأنه أخو الإمام الحسين عليه السلام.

٥. لما خشي معاوية فضيحتة وفضيحة آل أبي سفيان قطع على الإمام عليه السلام خطبته، وطلب منه أن يصف الرطب فوصفه الإمام وبعد ذلك عاد وأستأنف خطبته فطلب الملعون منه أن ينزل.

وري عن يونس عمن حدثه قال: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رجلا مر بعثمان بن عفان وهو قاعد على باب المسجد فسأله فأمر له بخمسة دراهم فقال له الرجل: أرشدني فقال له عثمان: دونك الفتية الذين ترى وأوماً بيده إلى ناحية من المسجد فيها الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر عليه السلام. فمضى الرجل نحوهم حتى سلم عليهم وسألهم فقال له الحسن عليه السلام: يا هذا إن المسألة لا تحل إلا في إحدى ثلاث: دم مفجع، أو دين مقرح، أو فقر مدقع ففي أيها تسأل؟ فقال: في وجه من هذه الثلاث، فأمر له الحسن عليه السلام بخمسين دينارا وأمر له الحسين عليه السلام بتسعة وأربعين دينارا، وأمر له عبد الله بن جعفر بثمانية وأربعين دينارا. فانصرف الرجل فمر بعثمان فقال له: ما صنعت؟ فقال مررت بك فسألتك فأمرت لي بما أمرت، ولم تسألني فيما أسأل، وإن صاحب الوفرة لما سأله قال لي: يا هذا فيما تسأل، فإن المسألة لا تحل إلا في إحدى ثلاث فأخبرته بالوجه الذي أسأله من الثلاثة، فأعطاني خمسين دينارا وأعطاني الثاني تسعة

وأربعين ديناراً وأعطاني الثالث ثمانية وأربعين ديناراً فقال عثمان: ومن لك بمثل هؤلاء الفتية أولئك فطموا العلم فطما وحازوا الخير والحكمة^(١)
في هذه الرواية أمور عدة منها:

١. إن الإمام الصادق (عليه السلام) إنما يذكر قصة عن كرم الإمام الحسن وأخيه الحسين (عليهما السلام) لبيان مقامهما الإلهي وحقهما بالإمامة، فأين علمهما وكرمهما ممن أصبح خليفة ثالثاً للمسلمين، وهذا من باب الاحتجاج لمن بلغته الرواية.

٢. إن السائل عندما دخل المسجد وجد عثمان ولما لم يحصل منه إلا على خمسة دراهم، طلب منه أن يرشده لغيره، فأرشده للإمام الحسن (عليه السلام)، وفي هذا إشارة بأن عثمان يعرف مقام الإمام وكرمه وعلمه.

٣. عندما أقبل الرجل نحو الإمام الحسن والحسين وعبد الله (عليه السلام) سأله الإمام الحسن (عليه السلام): دم مفجع، أو دين مقرح، أو فقر مدقع؟ وهذا ليكون الرجل على دراية، فلما أقر بذلك أعطاه الإمام الحسن خمسين ديناراً والإمام الحسين تسعة وأربعين وعبد الله ثمانية وأربعين، كل ذلك حتى لا يزيدوا على عطاء الإمام من باب الأدب أمام حضرته.

٤. عندما خرج الرجل وأخبر عثمان قال له الأخير: فقال عثمان: (ومن لك بمثل هؤلاء الفتية أولئك فطموا العلم فطما وحازوا الخير والحكمة) وهذا

يثبت ما قلناه من أن الأعداء يعلموا بمقاماتهم ويقرون بها فهنا عبر عنهم ﷺ بأنهم فطموا العلم وحازوا الخير والحكمة.

عن حذيفة بن اليمان قال: (بينما رسول الله ﷺ في جبل أظنه حرى أو غيره ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ وجماعة من المهاجرين والأنصار وأنس حاضر لهذا الحديث وحذيفة يحدث به إذ أقبل الحسن بن علي عليهما السلام يمشي على هدوء ووقار فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: إن جبرئيل يهديه وميكائيل يسدده وهو ولدي والطاهر من نفسي وضلع من أضلاعي هذا سبطي وقرة عيني بأبي هو. فقام رسول الله ﷺ وقمنا معه وهو يقول له: أنت تفاحتي وأنت حببي ومهجة قلبي وأخذ بيده فمشى معه ونحن نمشي حتى جلس وجلسنا حوله ننظر إلى رسول الله ﷺ وهو لا يرفع بصره عنه، ثم قال: [أما] إنه سيكون بعدي هاديا مهديا هذا هدية من رب العالمين لي ينبيء عني ويعرف الناس آثاره ويحيي سنتي، ويتولى أموري في فعله، ينظر الله إليه فيرحمه، رحم الله من عرف له ذلك وبرني فيه وأكرمني فيه. فما قطع رسول الله ﷺ كلامه حتى أقبل إلينا أعرابي يجر هراوة له فلما نظر رسول الله ﷺ إليه قال: قد جاءكم رجل يكلمكم بكلام غليظ تقشعر منه جلودكم، وإنه يسألكم من أمور، إن لكلامه جفوة. فجاء الأعرابي فلم يسلم وقال: أيكم محمد؟ قلنا: وما تريد؟ قال رسول الله ﷺ: مهلا، فقال: يا محمد لقد كنت أبغضك ولم أرك والآن فقد ازددت لك بغضا. قال: فتبسم رسول الله ﷺ وغضبنا لذلك وأردنا

بالأعرابي إرادة فأوماً إلينا رسول الله أن: اسكتوا ! فقال الأعرابي: يا محمد إنك تزعم أنك نبي وإنك قد كذبت على الأنبياء وما معك من برهانك شيء قال له: يا أعرابي وما يدريك ؟ قال: فخبني ببرهانك قال: إن أحببت أخبرك عضو من أعضائي فيكون ذلك أوكد لبرهاني قال: أو يتكلم العضو ؟ قال: نعم، يا حسن قم ! فازدري الأعرابي نفسه وقال: هو ما يأتي ويقيم صبيا ليكلمني قال: إنك ستجده عالما بما تريد فابتدره الحسن (عليه السلام) وقال: مهلا يا أعرابي:

[ما غيبا سألت وابن غبي] بل فقهيا إذن وأنت الجهول
 فإن تك قد جهلت فان عندي شفاء الجهل ما سأل السؤال
 وبحرا لا تقسمه الدوالي تراثا كان أورثه الرسول
 لقد بسطت لسانك، وعدوت طورك، وخادعت نفسك، غير أنك لا
 تبرح حتى تؤمن بإنشاء الله، فتبسم الأعرابي وقال: هيه فقال له الحسن (عليه السلام):
 نعم اجتمعتم في نادي قومك، وتذاكرتم ما جرى بينكم على جهل وخرق
 منكم، فزعمتم أن محمدا صنبورا والعرب قاطبة تبغضه، ولا طالب له بثاره،
 وزعمت أنك قاتله وكان في قومك مؤنته، فحملت نفسك على ذلك، وقد
 أخذت قناتك بيدك تؤمه تريد قتله، فعسر عليك مسلكك، وعم عليك بصرك،
 وأبيت إلا ذلك فأتيتنا خوفا من أن يشتهر وإنك إنما جئت بخير يراد بك. أنبئك
 عن سفرك: خرجت في ليلة ضحايا إذ عصفت ريح شديدة اشتد منها ظلماءؤها
 وأطلت سماءؤها، وأعصر سحابها، فبقيت محر نجما كالأشقر إن تقدم نحر وإن

تأخر عقر، تسمع لواطئ حسا ولا لنافخ نار جرسا، تراكت عليك غيومها، وتوارت عنك نجومها. فلا تهدي بنجم طالع، ولا بعلم لامع، تقطع محجة وتهبط لجة في ديمومة قفر بعيدة القعر، مجحفة بالسفر إذا علوت مصعدا ازددت بعدا، الريح تخطفك، والشوك تخبطك، في ريح عاصف، وبرق خاطف، قد أوحشتك آكامها، وقطعتك سلامها، فأبصرت فإذا أنت عندنا فقرت عينك، وظهر رينك، وذهب أنينك. قال: من أين قلت يا غلام هذا ؟ كأنك كشفت عن سويد قلبي، ولقد كنت كأنك شاهدتني، وما خفي عليك شيء من أمري وكأنه علم الغيب [ف] قال له: ما الاسلام ؟ فقال الحسن عليه السلام: الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، فأسلم وحسن إسلامه، وعلمه رسول الله ﷺ شيئا من القرآن فقال: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأعرفهم ذلك ؟ فأذن له، فانصرف ورجع ومعه جماعة من قومه، فدخلوا في الاسلام فكان الناس إذا نظروا إلى الحسن عليه السلام قالوا: لقد أعطي ما لم يعط أحد من الناس^(١)

تضمنت الرواية أمورا مهمة منها:

١. عندما أقبل الإمام الحسن عليه السلام نحو جده رسول الله ﷺ وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وحضور الإمام علي عليه السلام وأبي بكر وعمر

وعثمان؛ لذا رحّب به رسول الله ﷺ قائلا: (إن جبرئيل يهديه وميكائيل يسدده وهو ولدي والطاهر من نفسي وضلع من أضلاعي هذا سبطي وقرة عيني بأبي هو) بيّن في قوله أن الملائكة العظام كجبرائيل وميكائيل يحيطون بالإمام الحسن عليه السلام وأنه ولد رسول الله وضلع من أضلاعه وسبطه وقرة وعينه.

٢. كل هذا الحديث جرى أمام أنظار المهاجرين والأنصار ليكون حجة عليهم، وخصوصا الرواية تكمل بأن: (أنت تفاحتي وأنت حبيبي ومهجة قلبي وأخذ بيده فمشى معه ونحن نمشي حتى جلس وجلسنا حوله ننظر إلى رسول الله ﷺ وهو لا يرفع بصره عنه، ثم قال: [أما] إنه سيكون بعدي هاديا مهديا هذا هدية من رب العالمين لي ينبئ عني ويعرف الناس آثارني ويحيي سنتي، ويتولى أموري في فعله، ينظر الله إليه فيرحمه، رحم الله من عرف له ذلك وبرني فيه وأكرمني فيه) فقد أخبرهم رسول الله ﷺ بأنه الحسن تفاحته وحبيبه ومهجة قلبه وأنه يكون هاديا مهديا، وأنه يحيي سنة جده، ويطلب من الناس أن يعرفوا كل ذلك لتكون الحجة عليهم أوكد.

٣. إن مجيء الأعرابي والذي أنكر رسالة رسول الله، أرشده رسول الله ﷺ لولده الإمام الحسن عليه السلام مع كونه صبيا صغيرا، وهذا بيان صريح لإثبات عصمته لا سيما وأن الأعرابي أشكل على ذلك فطلب من رسول الله ﷺ أن يسأل الإمام الحسن عليه السلام ، ولم يصغّر رسول الله ﷺ من الإعرابي ،

وإنما هو أراد أن يرى الإعرابي وغيره فضل هذا السبط ومدى تبخّره بدين الله.
 ٤. أخبر الإمام الحسن عليه السلام الأعرابي باجتماعه مع قومه وبما تحدثوا به بينهم، كما أخبره بسفره وما جرى فيه، وكل ذلك يعد من الغيب، فإن الإمام لم يكن معهم، فكيف علم بكل تلك التفاصيل؟ لا تفسير لذلك إلا بإثبات إمامته وعصمته.

٥. أستغرب الأعرابي من ذلك ودخلته الدهشة؛ لذا آمن بالإمام وأسلم على يديه وحسن إسلامه. طلب الأعرابي من رسول الله ﷺ بعد أن تشهد الشهادتين أن يرجع لقومهم ليعرفهم بما جرى له، فأعلمهم فدخلوا في الاسلام فكان الناس إذا نظروا إلى الحسن عليه السلام قالوا: لقد أعطي ما لم يعط أحد من الناس...

٦. إن هذه القصة وما روي فيها حجة على جميع المسلمين بمختلف مشاربهم، بل حجة حتى على غير المسلمين، وتكون حجة بالغة على جميع من بلغته، وسبب كونها حجة أنها حدثت بمرأى ومسمع من جميع المسلمين ورسول الله ﷺ جعل من الإمام الحسن عليه السلام مرجعا يرجع إليه الإعرابي؛ ليرجع جميع المسلمين في جميع مسائلهم وأمورهم إلى عترته الطاهرين الذين هم عدل القرآن الكريم.

٧. ما أثبتناه في الرواية بين قوسين وهو قوله عليه السلام [ما غبيا سألت وابن غبي] لا نعتقد أن هذا يصدر من الإمام الحسن عليه السلام على وجه الحقيقة وإنما هو

من باب كلم الناس على قدر عقولهم، ولا شك أن الأعرابي له عقلية بسيطة فرد عليه الإمام بهذا الأسلوب ليناسبه.

وروي أنه: (دخلت عليه امرأة جميلة وهو في صلاته فأوجز في صلاته ثم قال لها: ألك حاجة؟ قالت: نعم، قال: وما هي؟ قالت: قم فأصب مني فإني وفدت ولا بعل لي قال: إليك عني لا تحرقيني بالنار ونفسك، فجعلت تراوده عن نفسه وهو يبكي ويقول: ويحك إليك عني واشتد بكأؤه فلما رأت ذلك بكت لبكائه، فدخل الحسين (عليه السلام) ورآهما يبكيان، فجلس يبكي وجعل أصحابه يأتون ويجلسون ويكون حتى كثر البكاء وعلت الأصوات فخرجت الاعرابية، وقام القوم وترحلوا، ولبت الحسين (عليه السلام) بعد ذلك دهرًا لا يسأل أخاه عن ذلك إجلالًا له. فبينما الحسن ذات ليلة نائمًا إذا استيقظ وهو يبكي فقال له الحسين (عليه السلام): ما شأنك؟ قال: رؤيا رأيتها الليلة، قال: وما هي قال: لا تخبر أحدا ما دمت حيا قال: نعم، قال: رأيت يوسف فجئت أنظر إليه فيمن نظر فلما رأيت حسنه بكيت فنظر إلي في الناس فقال: ما يبكيك يا أخي بأبي أنت وأمي فقلت: ذكرت يوسف وامرأة العزيز، وما ابتليت به من أمرها وما لقيت من السجن وحرقة الشيخ يعقوب فبكيت من ذلك وكنت أتعجب منه فقال

يوسف: فهلا تعجبت مما فيه المرأة البدوية بالأبواء.^(١)

في هذه الرواية إشارات أخلاقية ومعرفية منها:

١. إن الإمام الحسن عليه السلام أوجز في صلاته ولعلها صلاة النافلة عند دخول المرأة، وسألها: هل لها حاجة؟ مما يدل على أهمية قضاء حوائج الناس؛ بحيث توجز الصلاة لأجل الإسراع في قضاء حوائج المحتاجين.
٢. إن هذه المرأة راودت الإمام الحسن عليه السلام عن نفسه، واحتجت بأنها غير ذات بعل، فبكى الإمام خوفاً من الله تعالى وبكت لبكائه؛ لتأثيره بها.
٣. إن الإمام الحسين عليه السلام وكذا أصحابه عندما دخلوا على الإمام الحسن عليه السلام ووجده مع الأعرابية ورأوه يبكي بكوا لبكائه، ولم يسألوه مهابة له؛ وبذلك خرجت المرأة عنهم.
٤. إن الإمام الحسن عليه السلام رأى في منامه النبي يوسف عليه السلام وبكى الإمام لما مر به يوسف، فتعجب منه، وقال هلا تعجبت مما فيه المرأة البدوية بالأبواء. وفي هذا إشارة لعظمة مقام الإمام الحسن على جميع الأنبياء بما فيهم النبي يوسف.

٥. قد يقال أن هذه الرواية ضعيفة وغير دقيقة وتحتاج إلى تحقيق أولاً

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٦م:

وإلى مناقشة ثانياً، فكيف دخلت المرأة على الإمام (عليه السلام) وهل هو يصلي في المسجد أم في الدار؟ وهل البيت ليس فيه أحد غير الإمام (عليه السلام)؟ وهل الإمام (عليه السلام) ترك صلاته لكي يتحدث مع أمراه أجنبيه؟ وهل الإمام (عليه السلام) في موضع الضعف بحيث يبكي وأبكى من حوله؟ كل هذه الأسئلة يمكن أن ترد، ونجيب عن ذلك: بأن ليس في موضع القطع والتواتر بحصول الرواية، فهي ضعيفة، وإنما كلامنا في ما يمكن الاستفادة من الرواية من إشارات أخلاقية ومعرفية والتي ذكرناها في النقاط الأربعة الأولى وهكذا يكفي للفائدة.

A vertical decorative element featuring a central diamond-shaped medallion with intricate floral and geometric patterns. Above and below this medallion are smaller, vertically oriented decorative motifs, including stylized floral and geometric shapes, all rendered in black and white.

المبحث الثالث: المعجزات الباهرات

الإمام عليه السلام كل حياته معجزة بعبادته بصلاته وصومه وحجه وأخلاقه وكرمه، أنها تبرهن لذوي الألباب صدق الإمام وارتباطه بالله تعالى، وتكون ذات تأثير لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، نعم المعجزات التي تحرق القوانين الطبيعية وتكون ضمن موازين السماء فهي من مختصات الله تعالى ورسله وأولياء أنما تقام لإلزام الحجة على الناس، وقد جرت على يد الإمام الحسن عليه السلام في مواطن كثيرة من حياته المباركة، ذكر العلامة السيد هاشم البحراني في كتابه مدينة المعاجز تسع وتسعين معجزة باهرة قاطعة لمولانا الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وذكر العلامة المجلسي في بحاره إحدى عشرة معجزة، وكلاهما ينقلان عن مصادر قديمة وموثوقة وما تلك الأرقام إلا من باب المثل لا العد والحصر، ونذكر منها نماذج للمثل:

عن عبد الله الكناسي عن: (أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في بعض عمره ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته، قال: فنزلوا في منهل من تلك المناهل قال: نزلوا تحت نخل يابس قد يبس من العطش: قال: ففرش للحسن عليه السلام تحت نخلة وللزبير بحذائه تحت نخلة أخرى قال: فقال الزبير ورفع رأسه: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه، قال: فقال له الحسن عليه السلام: وإنك لتشتهي الرطب؟ قال: نعم فرفع الحسن عليه السلام يده إلى السماء فدعا بكلام لم يفهمه الزبير فاخضرت النخلة ثم صارت إلى حالها فأورقت وحملت رطباً قال: فقال له الجمال الذي اكتروا منه: سحر والله،

قال: فقال له الحسن: ويلك ليس بسحر ولكن دعوة ابن النبي مجابة، قال: فصعدوا إلى النخلة حتى صرموا مما كان فيها ما كفاهم^(١)

إنّ كل شيء في الوجود يخضع لولاية الإمام، فهذه النخلة اليابسة تحت تصرف الإمام فدعاء الإمام صيرّها نخلة مخضرة وحملت رطباً، مما دعا رفيق الإمام الزبيري يعجب من ذلك ويعده سحراً؛ جهلاً منه بمقامات الإمام وإمامته، فرد عليه الإمام بأنها دعوة ابن النبي وقطعا تكون مجابة.

روي عن مندل بن أسامة عن: (الصادق، عن آبائه عليهم السلام أن الحسن عليه السلام خرج من مكة ماشياً إلى المدينة، فتورمت قدماه، فقليل له: لو ركبت ليسكن عنك هذا الورم، فقال: كلا ولكننا إذا أتينا المنزل فإنه يستقبلنا أسود معه دهن يصلح لهذا الورم فاشتروا منه ولا تماكسوه، فقال له بعض مواليه: ليس أمامنا منزل فيه أحد يبيع هذا الدواء؟ فقال: بلى إنه أمامنا وساروا أميالا فإذا الأسود قد استقبلهم، فقال الحسن لمولاه: دونك الأسود فخذ الدهن منه بثمره فقال الأسود: لمن تأخذ هذا الدهن؟ قال: للحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: انطلق بي إليه. فصار الأسود إليه فقال الأسود يا ابن رسول الله إني مولاك لا آخذ له ثمناً ولكن ادع الله أن يرزقني ولداً سوياً ذكراً يحبكم أهل البيت فإني خلفت امرأتى تمخض، فقال: انطلق إلى منزلك فإن الله تعالى قد وهب لك ولداً

ذكرا سويا فرجع الأسود من فوره فإذا امرأته قد ولدت غلاما سويا ثم رجع
الأسود إلى الحسن عليه السلام ودعا له بالخير بولادة الغلام له وإن الحسن قد مسح
رجليه بذلك الدهن فما قام عن موضعه حتى زال الورم^(١)

ذكرنا أن الإمام حج أكثر من عشرين مرة ماشيا، وفي هذه المرة تورمت
قدماه، فسعى أصحابه ليحصلوا على دواء، وفي هذا إشارة أن الإمام لم يستخدم
المعجزة لمصلحته ويدفع الوجع والورم عن قدميه، والأصحاب لم يجدوا إلا
منزل شخص أسود والمقصود به أسود البشرة، وعندما جاؤوا إليه كانت امرأته
في حالة المخاض، وطلب من الإمام أن يدعو له بولد سوي ذكر قد نذره لحب
أهل البيت عليهم السلام، فدعا له الإمام عليه السلام فاستجاب الله دعاءه ورزقه بولد كما
طلب.

روي عن جابر عن: (أبي جعفر عليه السلام قال: جاء الناس إلى الحسن بن علي
عليهما السلام فقالوا: أرنا من عجائب أبيك التي كان يرينا ! فقال: وتؤمنون بذلك ؟
قالوا: نعم نؤمن والله بذلك، قال: أليس تعرفون أبي ؟ قالوا جميعا: بل نعرفه،
فرفع لهم جانب الستر فإذا أمير المؤمنين عليه السلام قاعد فقال: تعرفونه ؟ قالوا
بأجمعهم: هذا أمير المؤمنين عليه السلام ونشهد أنك أنت ولي الله حقا والامام من
بعده، ولقد أريتنا أمير المؤمنين عليه السلام بعد موته كما أرى أبوك أبا بكر رسول الله

ﷺ في مسجد قبا بعد موته فقال الحسن (عليه السلام): ويحكم أما سمعتم قول الله عز وجل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون فإذا كان هذا نزل فيمن قتل في سبيل الله ما تقولون فينا؟ قالوا: آمنا وصدقنا يا ابن رسول الله^(١).

إنّ مجيء الناس للإمام الحسن (عليه السلام) لطلب معجزة دليل على ضعف إيمانهم وعقيدتهم فيه، وأكد الإمام بذلك بقوله: وتؤمنون بذلك؟ والغريب أنهم يريدون معجزة بشرطها، فقد أراودا أن يروا أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وهم يعدون ذلك معجزة كون الإمام علي (عليه السلام) قد استشهد في سنة أربعين للهجرة، فما كان من الإمام إلا أن أراهم أمير المؤمنين (عليه السلام) فنظروا له وعرفوه، وقد أقروا بهذه المعجزة؛ لأنهم رأوا قديما أمير المؤمنين قد أراهم رسول الله ﷺ لأبي بكر، ولكن لم يؤثر ذلك فيهم فأجابهم الإمام بكتاب الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ١١٩ آل عمران: ١٦٩، وذكر الإمام أن هذه الآية نزلت فيهم أهل البيت (عليهم السلام)، فأقروا بذلك وصدقوا...

وورد عن علي بن أبي حمزة، عن علي بن معمر، عن أبيه، عن جابر، عن: (أبي جعفر (عليه السلام) قال: جاء الناس إلى الحسن فقالوا له: أرنا ما عندك من

عجائب أبيك التي كان يريها. قال: وتؤمنون بذلك؟ قال كلهم: نعم نؤمن به والله. قال: فأحيا لهم ميتا بإذن الله تعالى. فقالوا بأجمعهم: نشهد بأنك ابن أمير المؤمنين حقا وانه [كان] يرينا مثل هذا كثيرا^(١)

هذه الرواية تشبه في مضمونها سابقتها ولعلها هي، ولكن أحيا الميت في هذه الرواية ليس الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولعل ذلك تكرر أكثر من مرة، وأحيا الموتى شهد به القرآن الكريم للنبي عيسى كما قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُم إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ آل عمران: ٤٩.

روي: (أن النبي صلى الله عليه وآله خرج من المدينة غازيا واخذ معه عليا وبقي الحسن والحسين عليهما السلام عند أمهما لأنها (طفلان) صغيران، فخرج الحسين عليه السلام ذات يوم من دار أمه يمشي في شوارع المدينة وكان عمره يومئذ ثلاث سنين فوقع بين نخيل وبساتين حول المدينة فجعل يسير في جوانبها ويتفرج في مضاربها فمر على يهودي يقال له صالح بن زمعة اليهودي فاخذ الحسين إلى بيته وأخفاه عن

(١) مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني، مؤسسة الوفاء الإسلامية، قم، ١٤١٤ هـ، ط ١:

أمه حتى بلغ النهار إلى وقت العصر والحسين (عليه السلام) لم يتبين له اثر، فطار قلب فاطمة بالهم والحزن على ولدها الحسين (عليه السلام) فصارت تخرج من دارها إلى باب مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) سبعين مرة فلم تر أحدا تبعثه في طلب الحسين (عليه السلام). ثم أقبلت إلى ولدها الحسن (عليه السلام) وقالت له: يا مهجة قلبي وقرّة عيني قم واطلب أخاك الحسين (عليه السلام) فإن قلبي يحترق من فراقه. فقام الحسن وخرج من المدينة واتى إلى دور حولها نخيل [كثير] وجعل يصيح يا حسين بن علي، يا قرّة عين النبي، أين أنت يا أخي؟ قال: فينما الحسن (عليه السلام) ينادي إذ بدت له غزالة في تلك الساعة فألهم الله الحسن ان يسأل الغزالة، فقال (لها): يا ظبية هل أخي حسينا فأنطق الله الغزالة ببركات رسول الله وقالت: يا حسن يا نور عيني المصطفى، وسرور قلب المرتضى، ويا مهجة فؤاد الزهراء اعلم أن أخاك اخذه صالح اليهودي، وأخفاه في بيته، فصار الحسن حتى اتى دار اليهودي فناده فخرج صالح فقال [له]: يا صالح اخرج إلي الحسين - (عليه السلام) - من دارك وسلمه إلي وإلا أقول لأمي تدعو عليك في أوقات السحر وتسأل ربها حتى لا يبقى على وجه الأرض يهودي، ثم أقول لأبي يضرب بحسامه جمعكم حتى يلحقكم بدار البوار، وأقول لجدي يسأل الله سبحانه ان لا يدع يهوديا الا وقد فارق روحه. فتحير صالح اليهودي من كلام الحسن، وقال له: يا صبي من أمك؟ فقال: أُمّي الزهراء بنت محمد المصطفى، قلادة الصفوة، ودرة صدف العصمة، وغرة جمال العلم والحكمة، وهي نقطة دائرة المناقب والمفاخر، ولمعة من أنوار المحامد

والمآثر، خمرت طينة وجودها من تفاحة من تفاح الجنة، وكتب [الله] في صحيفتها عتق عصاة الأمة، وهي أم السادة النجباء، وسيدة النساء البتول العذراء فاطمة الزهراء عليها السلام. فقال اليهودي: اما أمك فعرفتها فمن أبوك؟ فقال الحسن عليه السلام: أسد الله الغالب، علي بن أبي طالب، الضارب بالسيفين، والطاعن بالرمحين، والمصلي مع النبي في القبلتين، والمفدي نفسه لسيد الثقلين، وأبو الحسن والحسين فقال: صدقت يا صبي قد عرفت أباك فمن جدك؟ فقال: جدي درة من صف الجليل، وثمره من شجرة إبراهيم الخليل، والكوكب الدري، والنور المضيء من مصباح التبجيل المعلقة في عرش الجليل، سيد الكونين، ورسول الثقلين، ونظام الدارين، وفخر العالمين، ومقتدى الحرمين، وامام المشرقين والمغربين، وجد السبطين أنا [الحسن] وأخي الحسين. قال: فلما فرغ الحسن عليه السلام من تعداد مناقبه انجلى صدى الكفر من قلب صالح (اليهودي) وهملت عيناه بالدموع، وجعل ينظر كالمتحير متعجبا من حسن منطقه، وصغر سنه، وجودة فهمه. ثم قال: يا ثمرة فؤاد المصطفى، ويا نور عين المرتضى، ويا سرور صدر الزهراء اخبرني من قبل أن أسلم إليك أخاك عن أحكام دين الاسلام حتى أذعن إليك وأنقاد إلى الاسلام. ثم إن الحسن عرض عليه أحكام الاسلام وعرفه الحلال والحرام، فأسلم صالح وأحسن الاسلام على يد الإمام ابن الإمام، وسلم إليه أخاه الحسين ثم نشر على رأسهما طبقا من الذهب [والفضة] وتصدق به على الفقراء والمساكين ببركة الحسن والحسين

عليه السلام. [ثم إن الحسن أخذ بيد أخيه الحسين] وأتيا إلى أمهما فلما رأتهما اطمئن قلبها وزاد سرورها بولديها. قال: فلما كان في اليوم الثاني أقبل صالح ومعه سبعون رجلا من رهطه وأقاربه وقد دخلوا جميعهم في الاسلام على يد الإمام ابن الإمام أخي الامام عليهم أفضل الصلاة والسلام. ثم تقدم صالح إلى الباب باب الزهراء رافعا صوته بالثناء للسادة الامناء، وجعل يمرغ وجهه وشيئته على عتبة دار فاطمة الزهراء وهو يقول: يا بنت محمد المصطفى عملت سوء بابنك وأذيت ولدك وأنا على فعلي نادم فاصفحي عن ذنبي، فأرسلت إليه فاطمة الزهراء تقول: يا صالح اما انا فقد عفوت من حقي ونصيبي وصفحت عما سوءتي به لكنهما ابناي وابنا علي المرتضى فاعتذر إليه مما اذيت ابنه. ثم إن صالحا انتظر عليا حتى اتى من سفره واعرض عليه حاله واعترف عنده بما جرى [له] وبكى بين يديه واعتذر مما أساء إليه، فقال له: يا صالح اما انا فقد رضيت عنك وصفحت عن ذنبك ولكن هؤلاء ابناي وريحانتا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فامض إليه واعتذر (إليه)، مما أسأت بولده فأتى صالح إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - باكيا حزينا وقال: يا سيد المرسلين أنت قد أرسلت رحمة للعالمين واني قد أسأت وأخطأت واني قد سرقت ولدك الحسين - عليه السلام - وأدخلته إلى داري، وأخفيت عن أخيه وأمه وقد سوأتها في ذلك وانا الان قد فارقت الكفر ودخلت في دين الاسلام. فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم اما انا فقد رضيت عنك وصفحت عن جرمك لكن يجب عليك أن تعتذر إلى الله تعالى وتستغفره مما أسأته (إلى) قرعة عين

الرسول ومهجة فؤاد البتول حتى يعفو الله عنك سبحانه. قال: فلم يزل صالح يستغفر ربه ويتوسل إليه ويتضرع بين يديه في أسحار الليل وأوقات الصلاة حتى نزل جبرائيل على النبي بأحسن التبجيل وهو يقول: يا محمد قد صفح الله عن جرم صالح حيث دخل في دين الاسلام على يد الإمام ابن الإمام (أخي الامام) عليهم أفضل الصلاة والسلام^(١)

إن هذه الرواية فيها عدة أمور منها:

١. إن أسلوب الرواية يغلب عليه التكلف، مما يعلم أنها صيغة بأسلوب الراوي، وهذا يكون أسلوب السرد القصصي في الروايات المطولة^(٢)
٢. لعل ما أقدم به اليهودي من إخفائه للإمام الحسين عليه السلام كان يهدف إلى إيذاء أمه وأبيه وجده صلوات الله عليهم^(٣)
٣. إننا ذكرنا القصة في باب المعجزات، وذلك لوجود الغزالة التي دلت الإمام الحسين عليه السلام على مكان أخيه الإمام الحسن عليه السلام، وكلامها له وهو في سن الأربع سنوات.
٤. إن اليهودي سأل الإمام الحسين عليه السلام ولما عرفه، أخذ بالسؤال عن

(١) مدينة المعاجز: ٣/ ٢٩ تظهر عليه سمة التكلف بالعبائر ٣- ٢٩٨

(٢) ينظر: سيرة الإمام الحسن في الحديث والتأريخ، السيد جعفر مرتضى العاملي، المركز

الإسلامي للدراسات، بيروت، لبنان، ٢٠١٧م، ط ١: ٤/ ١١٧

(٣) ينظر: المصدر نفسه

٥٤ الإمام الحسن (عليه السلام) القائد المصلح

جده وأبيه وأمه وكل ذلك للتعرف عليهم بلسان الإمام، ولما سمع الجواب
انبهر به.

٥. إن عفو السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عن اليهودي جعله يعيش
أخلاق الأنبياء وما كان عليه إلا أن يسلم ويسلم معه قومه، وهذا هو الأعجاز
بعينه.

A vertical decorative element featuring a central rectangular box with rounded corners. Above and below the box are intricate, symmetrical Islamic geometric patterns. The patterns consist of interlocking lines forming stars and polygons, with floral motifs interspersed. The design is rendered in black and white.

المبحث الرابع: زيارة ومقامات

نذكر مقامات الإمام الحسن عليه السلام والتي تضمنتها زيارته الشريفة^(١):

ورد في زيارته: " السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبْنَ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا أَبْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبْنَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
حَبِيبَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفْوَةَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا حُجَّةَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صِرَاطَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا بَيَانَ حُكْمِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَاصِرَ دِينِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ
الزَّكِيُّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْبَرُّ الْوَفِيُّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَالِمُ بِالتَّوَلِيدِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْهَادِي الْمَهْدِيُّ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا
الطَّاهِرُ الزَّكِيُّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْحَقُّ الْحَقِيقُ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الشَّهِيدُ الصَّدِيقُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أبا مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ" ^(٢)

تضمنت الزيارة عدة جمل في السلام على الإمام الحسن عليه السلام، وكل جملة
تحتوي على منزلة ومقام من مقاماته؛ لذا سنتابع ذلك بعدة نقاط مع إحالة
القارئ الكريم إلى مبحث فلسفة السلام:

(١) نقلنا ذلك عن كتابنا (زاد الزائرين في شرح زيارات المعصومين)، المؤلف: ١٠٢ — ١١٤

(٢) مفاتيح الجنان: ٨٩ — ٩٠.

الأولى: السلام عليك يا بن رسول رب العالمين، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين، السلام عليك يا بن فاطمة الزهراء

إن النسب الناصع للإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) هو مقام من مقاماته، كيف لا، وجده خير الخلق على الإطلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأبوه سيد الأوصياء وأمير المؤمنين، وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين. إن كل نسب منقطع إلا هذا النسب العظيم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ

وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١). وقد ورد أن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سبب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونسبه^(١). وقد أشبه الإمام الحسن (عليه السلام) جده فإنه: "عاش في كنفه سبع سنوات وستة أشهر من عمره الشريف، وكانت تلك السنوات على قلتها كافية لأن تجعل منه الصورة المصغرة عن شخصية الرسول حتى ليصبح جديرا بذلك الوسام العظيم الذي حباه به جده، حينما قال له: أشبهت خلقي وخلقي" ^(٢) ونسب الإمام الحسن (عليه السلام) مع أبيه وأمه لا يقل عظمة عنه مع جده صلى الله عليه وسلم جميعا.

الثانية: السلام عليك يا حبيب الله

إن الله تعالى أخبر عمن يحبه في كتابه فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(١) ينظر: البرهان في تفسير القرآن: ٢ / ١٥

(٢) أعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام: ٤ / ٤٩.

﴿ ١٩٥ ﴾ البقرة: ١٩٥. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ﴿ ٣٣٢ ﴾
 ﴿ البقرة: ٢٢٢. وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ ٧٦ ﴾ آل عمران: ٧٦. وقال
 تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ﴿ ١٥٩ ﴾ آل عمران: ١٥٩. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ
 يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ ٤ ﴾ التوبة: ٤. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي
 سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ يُنْفِنُ مَرْصُوصٌ ﴾ ﴿ ٤ ﴾ الصف: ٤.

المحسن والتواب والمتطهر والمتقي والمتوكل والمقسط والمتقي والمجاهد،
 كل أولئك يحبهم الله تعالى، والإمام الحسن عليه السلام هو إمامهم وسيدهم وتجب
 عليهم طاعته. إذن الإمام هو حبيب الله تعالى؛ بل هو تجلي لمحبة الله تعالى، فإذا
 أحب شخصا فهذا يعني أنه محبوبا لله سبحانه.

الثالثة: السلام عليك يا صفوة الله

الاصطفاء هو الاختيار، والله تعالى يختار ويصطفى من عباده من يشاء
 ممن تتوفر فيه الصفات الإلهية، والذي يكون خليفة الله في أرضه وحجته على
 عباده. ويشمل الاصطفاء الأنبياء والأوصياء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ
 وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ ٣٣ ﴾ آل عمران: ٣٣. فإن آدم ونوحا
 وآل إبراهيم وآل عمران اصطفاهم الله تعالى على العالمين وهم أنبياء وذرايرهم.
 بل الاصطفاء يشمل الملائكة، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا

وَمِنَ النَّاسِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ الحج: ٧٥.

والإمام الحسن (عليه السلام) صفي الله، فقد اصطفاه وصي لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، مع ما له من الكمالات والمقامات، فقد كان " يحضر مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو ابن سبع سنين، فيسمع الوحي فيحفظه، فيأتي أمه فيلقي إليها ما حفظه، كلما دخل علي (عليه السلام) وجد عندها علما بالتنزيل، فسألها عن ذلك فقالت: من ولدك الحسن (عليه السلام) فتخفى يوما في الدار وقد دخل الحسن وقد سمع الوحي فأراد أن يلقيه إليها، فارتج فعجبت أمه من ذلك فقال: لا تعجبي يا أماه، فإن كبيرا يسمعني، واستماعه قد أوقفني، فخرج علي (عليه السلام) فقبله " (١)

الرابعة: السلام عليك يا أمين الله

تقدم شرح عبارة أمين الله في زيارة أمين الله، ومفادها أن المعصوم (عليه السلام) أمين الله تعالى على خلقه، وعلى جميع شؤون الخلق والكون.

الخامسة: السلام عليك يا صراط الله

الصراط لغة هو الطريق، والصراط صراطان، صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، أما في الدنيا فالمعصوم (عليه السلام)، وأما في الآخرة فجسر ينصب على جهنم. قال تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ﴿٧٦﴾

(١) الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، الشيخ عباس القمي: ٧٦.

الفاحة: ٧، وقال تعالى: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٤٢) البقرة: ١٤٢،
وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٥١) آل
عمران: ٥١، وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٠١) آل عمران: ١٠١، وقال تعالى:
﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٦)
المائدة: ١٦، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنَاسُهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٨٧) الأنعام: ٨٧، وقال تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ
فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ (١٣٦) الأنعام: ١٢٦،

وفي مجموعة هذه الآيات وغيرها، فإن الصراط هو الطريق إلى الله تعالى،
ولا يكون الطريق إلا عن طريق المعصوم، قال الشيخ الصدوق: "اعتقادنا في
الصراط أنه حق، وأنه جسر على جنهم، وأن عليه ممر جميع الخلق، قال عز
وجل: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (٧١) مريم: ٧١،
والصراط في وجه آخر اسم حجج الله، فمن عرفهم في الدنيا وأطاعهم أعطاه
الله عز وجل جوازا على الصراط الذي هو جسر جهنم يوم القيامة، وقال النبي
لعلي: إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرائيل على الصراط فلا يجوز على

الصراط إلا من كانت معه براءة بولايتك" ^(١) وبالمجمل فإن الإمام الحسن (عليه السلام) صراط الله.

السادسة: السلام عليك يا بيان حكم الله

أحكام الله تعالى لا تقصر على الحلال والحرام، بل يتعداها إلى معرفة الدين والقيومة عليه، والإمام الحسن وغيره من المعصومين (عليهم السلام) هم الذين يبينون حكم الله تعالى ودينه؛ فبهم عرف الله تعالى وهم الأدلاء عليه.

السابعة: السلام عليك يا ناصر دين الله

إن الدين عند الله تعالى الإسلام ومن يتبغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وقد حارب هذا الدين من قبل الماديين والمنافقين، ولم ينصره إلا الذين أمتحن الله قلوبهم للإيمان فهم مكلفون بذلك، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ^(٢) محمد: ٧، أي أن تنصروا دين الله ورسوله ﷺ وأن نصره الله فيه تجوز في النسبة فنصرته نصره رسول الله ودينه إذ هو سبحانه المعين الناصر وغيره المعان المنصور ^(٣) والإمام الحسن (عليه السلام) نصر دين الله بمشاركته مع أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) في جميع حروبه في خلافته، وكذا نصر دين الله بصلحه مع معاوية؛ إذ كشف نفاق معاوية وغدره وزيفه... ونصرة دين الله

(١) العقائد، الشيخ الصدوق نقلا عن حق اليقين في معرفة أصول الدين: ٤٥٧ — ٤٥٨.

(٢) ينظر: روح المعاني، للألوسي: ٤٣/٢٦.

تكون بكل عمل يرفع لواء الإسلام عالياً، فكيف إذا كان الناصر إمام المتقين وسبط رسول الله سلام الله عليه.

الثامنة: السلام عليك أيها السيد الزكي

السيد صفة مشبهة من الفعل ساد، والزكي كذلك من الفعل زكى، والسيد هو الرجل ذو الحسب والنسب المطاع في قومه، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣٩) آل عمران: ٣٩، فيحیی النبي وصفه الله تعالى بأنه سيّد وقيل في معناه: "السيد: الحليم، وقيل الرئيس" (١) وكلا المعنيين ينطبقان على الإمام الحسن عليه السلام فهو الحليم وهو رئيس بني هاشم بعد أبيه بل رئيس الجن والأنس.

قال السيد الشهيد محمد الصدر مبيناً معنى الزكاة: "يمكن أن ترد الزكاة في اللغة العربية على معنيين: الكثرة والطبقة. فيكون زكا بمعنى كثر وزاد، وبمعنى طاب وطهر ولا تنافي بينهما، إذن يمكن ان يجتمعا بل هما في أكثر الموارد متفقان. وموارد الزكاة منحصرة بموارد الخير، ولا تشمل موارد الشر، فزيادة العصيان والطغيان. وزيادة العقاب في الدنيا وفي الآخرة، لا يمكن أن يسمى زكاة وإن كان فيها معنى الكثرة. وأما عدم توفر الطبقة فيها فهو واضح. ومن

(١) معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس: ١/ ٣٩٢ — ٣٩٣.

هنا يمكن الجمع بين المفهومين بالقول بأن الزكاة هي كثرة الطيبة والطهارة أو كثرة الخير وزيادته. يعني كثرة أي شيء يمثل جانب الخير في هذا الكون. نعم قد نسمي الطيبة زكاة وإن لم يكن فيها كثرة، إلا أن الصحيح أن مجرد حصول الطيبة هي زيادة بالمعنى المعنوي.^(١)

أما زكاة النفس فقال عنها: "وزكاة النفس هي التسبيب إلى تحليتها بالفضائل وتخليتها عن الرذائل وإصلاحها من كل زيغ ورين. ومن ثم الاتجاه بها نحو الكمال."^(٢)

وبهذا المعنى يكون الإمام الحسن عليه السلام الزكي أي المطهر والمرتقي في مدارج الكمال وتشهد له بذلك آية التطهير.

التاسعة: السلام عليك أيها البر الوفي

البر بمعنى البار والوفي من الوفاء، والبر اسم من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٨﴾ الطور: ٢٨، والبر "الواسع والجواد الذي عطاؤه حكمة ومنعه رحمة، لأنه لا ينقصه إعطاء، ولا يزيده منع، فهو يبر عبده المؤمن بما يوافق نفسه فربما بره بالنعمة وربما بره بالبؤس، فهو يختار له من الأحوال ما هو خير له ليوسع له في العقبى، فعلى

(١) - فقه الأخلاق: ٩/٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٠/٢.

المؤمن أن لا يتهم ربه في شيء من قضائه" ^(١) ولأن الإمام الحسن عليه السلام هو تجلي لصفات الله واسمائه، أما وجه صفة الوفي للإمام؛ فهو قد أوفى الله تعالى إذ أدى الدين وتكليفه بالإمامة، وقد أوفى للمؤمنين إذ بلغهم ما يجب عليهم، كما أنه وفى عليه السلام بكل تكليفه.

العاشر: السلام عليك أيها القائم الأمين

القائم اسم فاعل من القيام، والمعنى القيام بدين الله، وهذا اللقب وإن اشتهر به الإمام محمد المهدي عجل الله فرجه إلا أنه صفة لجميع الأئمة عليهم السلام، وبهم يعبد الله ويعرف، فعن " بريد قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: بنا عبد الله وبنا عرف الله وبنا وحد الله ومحمد صلى الله وآله وسلم حجاب الله " ^(٢) والأمين أي المؤمن على الدين وقد مر شرحها في زيارة أمين الله.

الحادية عشر: السلام عليك أيها العالم بالتأويل

العلم بالتأويل مختص بالله تعالى وبالراسخين بالعلم وهم أهل البيت عليهم السلام، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين الباقي: ١٩ / ٢٠

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٠٢.

الْأَنْبِيَاءُ ﴿٧﴾ آل عمران: ٧، والراسخون بالعلم محصورة بأهل البيت (عليهم السلام) " عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان رسول الله أفضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما أنزل الله عليه من التأويل والتنزيل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وهو وأوصياؤه من يعلمونه كله " (١)

الثانية عشر: السلام عليك أيها الطاهر الزكي

قد مر شرح الزكي، والكلام هنا عن معنى الطاهر، والطاهر اسم فاعل ويعني الخال من العيوب المادية والمعنوية المرتقي بمدارج الكمال، وهذه الصفة ثابتة للإمام الحسن (عليه السلام) بنص القرآن الكريم إذ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣) الأحزاب: ٣٣، وقد روى العامة الخاصة أن هذه الآية مختصة بأصحاب الكساء وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات وسلامه عليهم، قال السيد الشهيد محمد الصدر: " ومنها ما يكون طهارة للنفوس يعني للإنسان ككل، مثل قوله تعالى: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" (٢) " (٣)، السيد الشهيد محمد الصدر قدّر للطهارة شبه جملة جار ومجرور وهو قوله:

(١) مجمع البيان في علوم القرآن، الشيخ الطبرسي: ١٩٦/٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٣) ما وراء الفقه: ١/١ ق/ ٨١.

(طهارة للنفوس يعني الإنسان ككل)، ويّين السيد الشهيد محمد الصدر أن المراد في هذه الآية الطهارة المطلقة وليس مطلق الطهارة فقال: " فإن الطهارة يدور أمرها بين أمرين: إما أن تكون بمعنى مطلق الطهارة، التي تنطبق على الكثير، بما فيها الطهارات المتدنية أو القليلة. وإما أن تكون بمعنى الطهارة المطلقة، التي لا تنطبق إلا على أعلى المقامات من الطهارة. والمعنى الثاني هو الذي ينبغي أن نفهمه ، لأنه المناسب مع ارتفاع شأنهم وخاصة بعد أن نلتفت إلى أن كل مرتبة من الكمال لها نحو من التطهير سببا ومسببا فنقول: طهر فوصل إلى هذه المرتبة من الكمال، نقول: وصل إلى هذه المرتبة من الكمال ،فاستحق الطهارة التي تناسبه. فإذا وصل الفرد إلى أقصى مراتب الكمال وأصبح خير الخلق كلهم أجمعين، فإنه يستحق الطهارة المطلقة والمركزة... " ^(١)

و القول بتفسير الطهارة بالطهارة الكلية وإذهاب جميع النقائص عن أهل البيت ﷺ ، قال به المفسرون عند تفسير هذه الآية، قال ابن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ): " و(الرجس) اسم يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسات والنقائص، فأذهب الله جميع ذلك عن (أهل البيت). " ^(٢)

(١) شذرات من فلسفة تأريخ الحسين: ٦٣.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: ٣٨٤/٤. وينظر أيضا : تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد

الثالثة عشر: السلام عليك أيها التقي النقي

التقي اسم فاعل من الفعل اتقى، والنقي كذلك. والتقوى تجنب المحرمات والشبهات، وطاعة الله تعالى، وبالتقوى تقبل الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧) المائدة: ٢٧، والإمام الحسن (عليه السلام) إمام المتقين وسيدهم وقائدهم، وبه تقبل الطاعة.

النقي من النقاء والصفاء وخلوص النفس من جميع الشوائب، وهذه الصفة لا تكون إلا في النفوس العظيمة ذات الصفات الحميدة، والنقي بمراتب متباينة جدا، والإمام الحسن (عليه السلام) يمثل أعلى مراتب النقاء لأنه معصوم بالعصمة الكبرى وقد ذهب الله عنه الرجس...

الرابعة عشر: السلام عليك أيها الحق الحقيق

الحق اسم من اسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْقِفَ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦) الحج: ٦، قال الشيخ الطوسي: "والحق وهو ما كان معتقده على ما أعتقده...""^(١) ويمثل الحق الاستقامة والخلو من جميع الشوائب. وفي هذه الزيارة سمي الإمام الحسن (عليه السلام) بالحق؛ لأنه مصدر من

الرازي: ٢٥ / ٢١٠. وينظر أيضا: الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي:

حقّ وتسمية الاسم بالمصدر للدلالة على المبالغة، كما تقول: زيد عدل، أي عادل، وهكذا هنا فالإمام هو الحق وبه يعرف الحق ويدور معه الحق حيثما دار. وقد وصف الحق بالحقيق للدلالة على المبالغة والتأكيد والإلزام؛ وهذا إنما للإلزام الحجة على جميع.

الخامسة عشر: السلام عليك أيها الشهيد الصديق

الشهيد إشارة إلى استشهاد الإمام الحسن عليه السلام بالسم على يد جعدة بنت الأشعث بأمر معاوية وبني سفيان وبني أمية والبيزنطيين... ومقام الشهادة من المقامات التي تسبب التكامل الخاص، لذا ورد " لك مقامات لا تنالها إلا بالشهادة " ولهذا نجد أن جميع المعصومين عليهم السلام قد استشهدوا بالسيف أو بالسم، وورد عنهم " ما منا إلا مقتول أو مسموم " (١)

والإمام الحسن عليه السلام له مقام الصديق، وهذا المقام ناله النبي يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ يوسف: ٤٦، أما أمير المؤمنين عليه السلام فهو الصديق الأكبر، وبعده ابنه الإمام الحسن عليه السلام؛ لأنه أهل البيت عليهم السلام أعلى مراتب الكمال والمقامات تكون لديهم أعلى المقامات...

السادسة عشر: السلام عليك يا أبا محمد الحسن ورحمة الله وبركاته

(١) إعلام الوری بأعلام الهدی، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، طهران، الحيدري، ١٣٣٨

٧٠ الإمام الحسن (عليه السلام) القائد المصلح

اختتمت الزيارة بالسلام على الإمام الحسن (عليه السلام) بذكر كنيته (يا أبا محمد)
وذكر اسمه الشريف، قد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: " يا فاطمة اسم
الحسن والحسين في ابني هارون شبر وشبير لكرامتهما على الله عز وجل " (١)

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤٣ / ٤٢.

A vertical decorative element featuring a central rectangular box with rounded corners. Above and below the box are symmetrical, intricate geometric patterns. The top part consists of a series of pointed, interlocking shapes, while the bottom part is a mirror image of the top. The entire design is rendered in black and white.

المبحث الخامس: زوجاته وأولاده

إنَّ الزواج مشروع مقدس، تنتج عنه ذرية تملئ الأرض بمنْ يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله، والزواج من السنة النبوية ولا يتخلف عن هذه السنة مؤمن، فكيف بإمام المؤمنين أبي محمد الحسن السبط عليه السلام، فقد تزوج عدة نساء وأولدهن عدة بنات وأولاد، وأختلف المؤرخون والعلماء في عدد الذرية الطاهرة، وستتابع ذلك إن شاء الله تعالى.

قال أحمد بن علي الحسيني (ابن عتبة): (أبو محمد الحسن - في رواية شيخ الشرف العبيدلي - ستة عشر ولدا منهم خمس بنات واحد عشر ذكرا، هم زيد والحسن المثنى والحسين وطلحة وإسماعيل وعبد الله وحزمة ويعقوب وعبد الرحمان وأبو بكر وعمر. وقال الموضح النسابة: عبد الله هو أبو بكر. وزاد (القاسم) وهي زيادة صحيحة (وأما) البنات فهن أم الحسين رملة، وأم الحسن وفاطمة وأم سلمة وأم عبد الله، وزاد الموضح رقية فهن في روايته ست بنات، وجملة أولاده في روايته سبعة عشر وقال أبو نصر البخاري: أولد الحسن بن علي ثلاثة عشر ذكرا وست بنات. (أعقب) من ولد الحسن أربعة زيد، والحسن، والحسين الأثرم، وعمر إلا أن الحسين الأثرم وعمر انقرضا سريعا وبقي عقب الحسن من رجلين لا غير زيد والحسن المثنى)^(١).

(١) عمدة الطالب في أنساب أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني (ابن عتبة)، منشورات المطبعة

إنَّ العدد الذي ذكره الحسيني نقلًا عن العبيدلي ستة عشر ولدا خمس بنات وأحد عشر ذكرا.

قال أبو نصر البخاري: (أعقب سيدنا أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثلاثة عشر ذكرا وست بنات، العقب منهم لاثنين لا غير، وابنة واحدة أبو محمد الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأبو الحسن زيد بن الحسن ابن علي بن أبي طالب (عليه السلام). وأم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بنو الأثرم لا يصح لهم نسب. وهم المنتسبون إلى الحسين بن الحسن ابن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو المعروف بالأثرم. أبو محمد الحسن بن الحسن بن علي أمه خولة بنت منظور بن زبان ابن سيار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سمى بن مازن بن فزارة بن ذبيان ابن بغيض بن ريث غطفان. أمها مليكة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة المري، وأمها تماضر بنت قيس بن زهير جذيمة.)^(١)

يلاحظ أن العدد الذي ذكره البخاري ثلاثة عشر ذكرا وست بنات فيكون المجموع تسعة عشر، وهذا خلاف قول ابن عنبه.

قال الشيخ المفيد: (أولاد الحسن بن علي (عليه السلام) خمسة عشر ولدا ذكرا

(١) سر السلسلة العلوية، أبو نصر البخاري، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف،

وأثنى: زيد بن الحسن وأخته أم الحسن وأم الحسين أمهم أم بشير بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية. والحسن بن الحسن أمه خولة بنت منظور الفزارية. وعمرو بن الحسن وأخوه القاسم وعبد الله ابنا الحسن أمهم أم ولد. وعبد الرحمن بن الحسن أمه أم ولد. والحسين بن الحسن الملقب بالأثرم وأخوه طلحة بن الحسن وأختها فاطمة بنت الحسن، أمهم أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي. وأم عبد الله وفاطمة وأم سلمة ورقية بنات الحسن عليه السلام لأمهات أولاد شتى^(١).

إن الشيخ ذكر أسماء الأولاد وذكر أسماء أمهاتهم، وفصل القول في بعض أولاد الإمام فذكر عن زيد بن الحسن أنه: فكان على صدقات رسول الله ﷺ، وكان جليل القدر كريم الطبع ظلف النفس كثير البر، ومدحه الشعراء وقصده الناس من الآفاق لطلب فضله. فذكر أصحاب السيرة: أن زيد بن الحسن كان يلي صدقات رسول الله ﷺ فلما ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة: أما بعد فإذا جاءك كتابي هذا، فاعزل زيدا عن صدقات رسول الله ﷺ وادفعها إلى فلان ابن فلان - رجل من قومه - وأعنه على ما استعانك عليه، والسلام. فلما استخلف عمر بن عبد العزيز إذا كتاب قد جاء منه: أما بعد فإن زيد بن الحسن شريف بني هاشم وذو سنهم،. فإذا جاءك كتابي هذا

فاردد إليه صدقات رسول الله ﷺ واعنه على ما استعانك عليه، والسلام.
 وخرج زيد بن الحسن رضي الله عنه من الدنيا ولم يدع الإمامة، ولا ادعاها له
 مدع من الشيعة ولا غيرهم^(١)

وذكر المفيد عن: الحسن بن الحسن أنه: كان جليلا رئيسا فاضلا ورعا،
 وكان يلي صدقات أمير المؤمنين عليه السلام في وقته، وله مع الحجاج خبر رواه الزبير
 بن بكار قال: كان الحسن بن الحسن واليا صدقات أمير المؤمنين عليه السلام في
 عصره، فساير يوما الحجاج بن يوسف في موكبه - وهو إذ ذاك أمير المدينة -
 فقال له الحجاج: أدخل عمر بن علي معك في صدقة أبيه، فإنه عمك وبقية
 أهلك، فقال له الحسن: لا أغير شرط علي ولا أدخل فيها من لم يدخل، فقال له
 الحجاج: إذا أدخله أنا معك. فنكص الحسن بن الحسن عنه (حتى غفل)
 الحجاج، ثم توجه إلى عبد الملك حتى قدم عليه فوقف ببابه يطلب الإذن، فمر
 به يحيى بن أم الحكم فلما رآه يحيى مال إليه وسلم عليه وسأله عن مقدمه
 وخبره، ثم قال: إني سأنفعك عند أمير المؤمنين - يعني عبد الملك - فلما دخل
 الحسن ابن الحسن على عبد الملك رحب به وأحسن مساءلته، وكان الحسن قد
 أسرع إليه الشيب، ويحيى بن أم الحكم في المجلس، فقال له عبد الملك: لقد
 أسرع إليك الشيب يا أبا محمد، فقال يحيى: وما يمنعه يا أمير المؤمنين ؟ شبيهه

أماني أهل العراق، يفد عليه الركب يمنونه الخلافة. فأقبل عليه الحسن فقال: بئس والله الرفد رفدت، لست كما قلت، ولكننا أهل بيت يسرع إلينا الشيب. وعبد الملك يسمع، فأقبل عليه عبد الملك فقال: هلم بما قدمت له، فأخبره بقول الحجاج فقال: ليس ذلك له، أكتب إليه كتابا لا يتجاوزته. فكتب إليه ووصل الحسن بن الحسن فأحسن صلته. فلما خرج من عنده لقيه يحيى بن أم الحكم، فعاتبه الحسن على سوء محضره وقال له: ما هذا الذي وعدتني به ؟ فقال له يحيى: إيها عنك، فوالله لا يزال يهابك، ولولا هييتك ما قضى لك حاجة، وما ألوّتك رفدا. وكان الحسن بن الحسن حضر مع عمه الحسين بن علي عليهما السلام الطف، فلما قتل الحسين وأسر الباقيون من أهله، جاءه أسماء بن خارجة فانتزعه من بين الأسرى وقال: والله لا يوصل إلى ابن خولة أبدا، فقال عمر بن سعد: دعوا لأبي حسان ابن أخته. ويقال إنه أسر وكان به جراح قد أشفى منها. وروي: أن الحسن بن الحسن خطب إلى عمه الحسين عليهما السلام إحدى ابنتيه، فقال له الحسين: " اختر يا بني أحبهما إليك " فاستحيا الحسن ولم يجر جوابا، فقال الحسين عليهما السلام: (فإني قد اخترت لك ابنتي فاطمة، وهي أكثرهما شبها بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم). وقبض الحسن بن الحسن رضوان الله عليه وله خمس وثلاثون سنة وأخوه زيد بن الحسن حي، ووصى إلى أخيه من أمه إبراهيم بن محمد بن طلحة. ولما مات الحسن بن الحسن رحمة الله عليه ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين على قبره فسطاطا، وكانت تقوم الليل

وتصوم النهار، وكانت تشبه بالخور العين لجماها، فلما كان رأس السنة قالت لمواليها: إذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط، فلا أظلم الليل سمعت قائلاً يقول هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر: بل يؤسوا فانقلبوا. ومضى الحسن بن الحسن ولم يدع الإمامة ولا ادعاها له مدع، كما وصفناه من حال أخيه زيد رحمة الله عليهما.^(١)

و ذكر الشيخ الطبرسي ذرية الإمام الحسن (عليه السلام) بقوله: (له من الأولاد ستة عشر ولدا ذكرا وأنثى: زيد بن الحسن، وأخته أم الحسن، وأم الحسين، أمهم أم بشير بنت أبي مسعود الخزرجية. والحسن بن الحسن أمه خولة بنت منظور الفزارية. وعمر بن الحسن وأخوه: عبد الله، والقاسم ابنا الحسن قتلا مع الحسين (عليه السلام) بكربلاء، أمهم أم ولد. وعبد الرحمن بن الحسن أمه أم ولد. والحسين بن الحسن الملقب بالأثرم، وأخوه طلحة، وأختها فاطمة، أمهم أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي. وأبو بكر قتل مع الحسين (عليه السلام). وأم عبد الله، وفاطمة، وأم سلمة، ورقية، لأمهات أولاد شتى)^(٢)

يلاحظ أن الشيخ الطبرسي عدّ من الذرية ستة عشر وبذلك زاد واحدا على قول الشيخ المفيد، والذي أسماه أبو بكر.

(١) ينظر: الإرشاد: ٢ / ٢٣ - ٢٦

(٢) إعلام الوري بأعلام الهدى: ١ / ٤١٦

و جاء عن الشيخ الإربلي عن الشيخ الصدوق قوله: (قال كمال الدين: كان له من الأولاد عددا لم يكن لكلهم عقب بل كان العقب لاثنين منهم فقيل كانوا خمسة عشر وهذه أسماءهم: الحسن وزيد وعمرو والحسين وعبد الله وعبد الرحمن وعبد الله وإسماعيل ومحمد ويعقوب وجعفر وطلحة وحمة وأبو بكر والقاسم وكان العقب منهم للحسن ولزيد ولم يكن لغيرهما منهم عقب. قال ابن الخشاب ولد له أحد عشر ولدا وبنت أسماء بنيه عبد الله والقاسم والحسن وزيد وعمرو وعبد الله وعبد الرحمان واحمد وإسماعيل والحسين وعقيل وأم الحسن فاطمة وهي أم محمد بن علي الباقر.)^(١)

يلاحظ أن القول الأول لابن كمال الدين يوافق قول الشيخ المفيد في العدد فقط فعده خمسة عشر اسم ولكنه جعل هذا عدد الذكور ولم يذكر عدد الإناث وأسماءهن، أما القول الثاني لابن خشان فذكر الأولاد أحد عشر عشرة منهم ذكور وواحدة بنت وهي أم الحسن فاطمة أم الإمام الباقر عليه السلام.

و ذكر ابن سعد في طبقاته خمس وعشرين ولدا للإمام عليه السلام وهم: محمد الأصغر وجعفر وحمة وفاطمة ومحمد الأكبر والحسن وبتتان ماتتا، وزيد وأم الحسن وأم الخير وإسماعيل ويعقوب وجاريتين ماتتا، والقاسم وأبو بكر وعبد الله وقتلوا مع عمهم الحسين عليه السلام في كربلاء، وحسين الأثرم وعبد الرحمن وأم

سلمة، وعمر، وأم عبد الله وطلحة وعبد الله الأصغر.^(١)
 وبهذا فإن ابن سعد قد تجاوز الرقم المعهود، فقد جعل عدد الذكور خمسة عشرة وعدد البنات عشرة، كما أنه ذكر زوجات الإمام وقد عدهن تسعة^(٢)
 وقال الشيخ راضي آل ياسين: (أولاده: كان له خمسة عشر ولداً بين ذكر وأنثى، هم زيد والحسن وعمر والقاسم وعبد الله وعبد الرحمن والحسن الأثرم وطلحة، وأم الحسن وأم الحسين وفاطمة وأم سلمة ورقية وأم عبد الله وفاطمة. وجاء عقبه من ولديه الحسن وزيد، ولا يصح الانتساب إليه من غيرهما.)^(٣)
 وهذا القول موافق لقول الشيخ المفيد.

وذكر السيد محمد الشيرازي أولاد الإمام الحسن (عليه السلام) وعدهم خمسة عشر ما بين ذكر وأنثى وهم: زيد، أم الحسن، وأم الحسين، والحسن، وعمر، والقاسم وعبد الله، وعبد الرحمن، الحسين الأثرم، وطلحة، وفاطمة، وعبد الله،

(١) ينظر: ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، تحقيق: السيد عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ط ٢٩: ٣٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه

(٣) صلح الحسن، الشيخ راضي آل ياسين، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٣٩٣هـ، ط ١: ٦٤

وفاطمة، وأم سلمة، ورقية.^(١)

وعَلَّل السيد مجيء بعض الأسماء باسم أبي بكر وعمر بأنه تحريف في التأريخ، فالاسم إما علي أو عمرو أو عمار أو ما أشبه فقالوا: إنه عمر، وربما بعض الناس يسميهم أو يكتيهم بمثل أبي بكر، أو إن الحكومة لأغراض سياسية كانت تناديهم بذلك، فزعم البعض بأنها أسماءهم.^(٢)

ويلاحظ أن أولاد الإمام الحسن عليه السلام من الزوجات الحرائر وهن ثلاث نساء: أم بشير بنت أبي مسعود... لها ثلاثة أولاد، خولة بنت منظور الفزارية... لها ولد واحد، أم أسحاق بنت طلحة... لها ولدان، وباقي أولاد الإمام من أمهات مملوكات له^(٣)

وبعد هذا العرض لبيان أولاد الإمام وزوجاته وما اختلفت فيه المصادر والمراجع وما نقله النسابة والمؤرخون نقول ما قاله المحقق السيد مرتضى جعفر العاملي: (إن ما رواه المفيد رحمه الله هو المتيقن، والباقي موضع ريب وشك)^(٤)، وهذا لا يعني نفي الباقي بصورة قطعية، وإنما يحتاج لدليل موثوق.

(١) من حياة الإمام الحسن ، السيد محمد الحسيني الشيرازي، منشورات أم أبيها، كربلاء

المقدسة: ٢٥٩ — ٢٦٢

(٢) المصدر نفسه: ٢٦٣

(٣) ينظر: الإمام الحسن في السيرة والتأريخ: ١٢٤ / ٢ — ١٢٥

(٤) المصدر نفسه: ١٢٥

المبحث السادس: علم الإمام الحسن عليه السلام

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ جَعَلَ عِلْمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُتَمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمًا لَدُنِي، يَهَبُهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ، وَبِهِ يَكُونُ التَّبْلِيغُ وَأَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ، وَمَا يُمِيزُ هَذَا الْعِلْمَ أَنَّهُ عِلْمٌ قَاطِعٌ وَلَا يَدْخُلُ الظَّنُّ وَلَوْ بِمَقْدَرِ ذَرَّةٍ، كَمَا أَنَّهُ عِلْمٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بِكُلِّ شَيْءٍ، مِنْ الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرْتُ ذَلِكَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ البقرة: ٢٤٧، إِنَّ نَبِيَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ طَالُوتَ سَيَكُونُ مُلْكًا عَلَيْهِمْ، وَمَا يُمِيزُهُ عَنْهُ أَنَّهُ زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ يوسف: ٧٦، فَالْنَبِيُّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَدَيْهِ ذَلِكَ الْعِلْمُ الْإِلَهِيُّ الَّذِي بِهِ أَخَذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ وَأَصْبَحَ عَزِيزٌ مِصْرَ، وَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَجْعَلُ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾ الرعد: ٤٣، وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ يَكُونُ شَهِيدًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِرِسَالَتِهِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ النمل: ٤٠، الآية الكريمة تثبت علم الكتاب لأصف بن برخيا وصي النبي سليمان (عليه السلام) وقد أستطاع بعلمه هذا أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين في أقل من طرفة عين، ومن الملاحظ أنه لديه علم منالكتاب وليس علم الكتاب كاملا؛ لأن علم الكتاب بتمامه لدى أهل البيت (عليهم السلام) كما تبين من الآية السابقة.

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ الكهف: ٦٥ المقصود من ألف الاثنين في الفعل فوجدا النبي موسى ووصيه يوشع (عليه السلام) عندما وجدا العبد الصالح الخضر (عليه السلام)، والذي آتاه الله تعالى علما من لدنه.

هذه الآيات نماذج لأنبياء وأوصيائهم آتاهم الله تعالى علما، وبذلك يعلم أن علمهم علم لدني وإلهي.

إذا بحثنا في موارد علم الإمام الحسن (عليه السلام) نجده مصدرة من منبعين: أولهما: العلم التكميلي الذي توارثه عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن أبيه أمير المؤمنين وعن أمه فاطمة الزهراء (عليها السلام). وثانيهما: العلم اللدني الذي يفضيه الله

تعالى على الإمام ليكون محيطاً بكل شيء^(١)

و يكفي في المقام مراجعة كتاب أصول الكافي لثقة الإسلام الشيخ الكليني كتاب الحجة؛ فقد ذكر فيه عشرات الروايات عن علوم المعصومين عليه السلام ومواردها بأبواب منظمة وروايات صحيحة ومعتبرة فجزاه الله خيراً.

و سنذكر روايات تمثل ذلك العلم المنقطع النظير للإمام الحسن عليه السلام من ذلك: روي: (إن الحسن بن علي عليه السلام كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن سبع سنين فيسمع الوحي فيحفظه فيأتي أمه فيلقي إليها ما حفظه كلما دخل علي عليه السلام وجد عندها علماً بالتنزيل فيسألها عن ذلك فقالت: من ولدك الحسن، فتخفى يوماً في الدار، وقد دخل الحسن وقد سمع الوحي فأراد أن يلقيه إليها فارتج عليه، فعجبت أمه من ذلك فقال: لا تعجبين يا أمه فإن كبيراً يسمعي، فاستمعه قد أوقفني، فخرج علي عليه السلام فقبله، وفي رواية: يا أمه قل بياني وكل لساني لعل سيداً يرعاني.)^(٢) إن هذه الرواية تؤكد علم الإمام الحسن عليه السلام، فهو يسمع الوحي وعمره سبع سنين، فيحفظه فيأتي به لأمه فاطمة عليها السلام، وتخفى عليه أمير المؤمنين عليه السلام ليرى موقفه فلم يعجب من ذلك وأخذه وقبله.

و عن أبي عبد الله عن الحسن بن علي قال: (إن لله مدينتين إحداهما

(١) ينظر: الإمام موسى بن جعفر ضحية الإرهاب السياسي، الدكتور محمد حسين علي الصغير،

مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م، ط ١: ٦١ - ٦٢

(٢) بحار الأنوار: ٤٣ / ٣٣٨

بالمشرق والأخرى بالمغرب عليهما سور من حديد وعلى كل مدينة الف الف باب لكل باب مصراعان من ذهب، وفيهما سبعون الف لغة يتكلم كل واحد بخلاف لغة صاحبه وأنا أعرف جميع اللغات وما فيها وما بينهما وما عليهما حجة غيري وغير الحسين أخي^(١) إن معرفة الإمام الحسن (عليه السلام) بسبعين لغة، ليس من باب الإعجاز وإنما من باب تعلم العلم من لدن عليم خبير.

وروى ابن شهر آشوب عن: (النعمان في شرح الاخبار بالإسناد عن عبادة بن الصامت، ورواه جماعة سأل اعرابي أبا بكر فقال: اني أصبت بيض نعام فشويته وأكلته وأنا محرم فما يجب علي ؟ فقال له: يا أعرابي أشكلت علي في قضيتك، فdle على عمر، ودله عمر على عبد الرحمن، فلما عجزوا قالوا: عليك بالأصلع، فقال أمير المؤمنين: سل أي الغلامين شئت، فقال الحسن: يا أعرابي ألك إبل ؟ قال: نعم، قال: فاعمد إلى عدد ما أكلت من البيض نوقا فاضربهن بالفحول فما فضل منها فاهده إلى بيت الله العتيق الذي حججت إليه، فقال أمير المؤمنين: ان من النوق السلوب ومنها ما يزلق، فقال: ان يكن من النوق السلوب وما يزلق فان من البيض ما يمرق، قال فسمع صوت: معاشر الناس ان الذي فهم هذا الغلام هو الذي فهمها سليمان بن داود^(٢) عندما عجز أبو بكر

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣/ ١٧٦

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٧٦

وعمر وعبد الرحمن عن إجابة الإعرابي أرشده لأمر المؤمنين عليه السلام وأمير المؤمنين أرشده للإمام الحسن عليه السلام ليعلم الناس علمه وما وهبه الله تعالى، والتعبير بالغلام دلالة واضحة على صغر سنه، ومع إجابة الإمام الحسن عليه السلام سأله الإمام المؤمنين ليجبه فيكون بذلك حجة على جميع الخلق بعده، والصوت الذي سُمع قرن فهم الإمام بارتباطه بالله تعالى كما أفهم الله تعالى سليمان بن داود في قصة الحكم عن النعاج التي نفشت في الحرث، قال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۖ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۖ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۗ﴾ (الأنبياء: ٧٨ - ٧٩).

وروي عن الرضا عليه السلام: (انه أتى عمر برجل وجد على رأسه قتيل وفي يده سكين مملوءة دما، فقال الرجل: لا والله ما قتلته ولا أعرفه وإنما دخلت بهذه السكين أطلب شاة لي عدمت من بين يدي فوجدت هذا القتيل، فأمر عمر بقتله، فقال الرجل القاتل: إنا لله وإنا إليه راجعون قد قتلت رجلا وهذا رجل آخر يقتل بسببي، فشهد على نفسه بالقتل، فأدركهم أمير المؤمنين وقال: لا يجب عليه القود إن كان قتل نفسا فقد أحيى نفسا ومن أحيى نفسا فلا يجب عليه قود، فقال عمر: سمعت رسول الله يقول: أقضاكم علي، وأعطى ديته من بيت المال وفي الكافي والتهذيب، أبو جعفر: ان أمير المؤمنين عليه السلام سأل فتوى ذلك

الحسن فقال: يطلق كلاهما والدية من بيت المال، قال: ولم ؟ قال لقوله: (ومن أحيأها فكأنها أحيى الناس جميعاً))^(١) إن عمر بن الخطاب لا يفقه شيئاً ولم يحكم بشيء قط إلا وأمير المؤمنين خلصه من ورطته ومن ذلك هذه القصة فكاد بجهلة أن يقتل الرجل، ورواية الكافي والتهذيب أن أمير المؤمنين طلب من ابنه الحسن (عليه السلام) حل القضية فأجابه، ولم يكتفِ أمير المؤمنين (عليه السلام) بل طلب منه الدليل، فأجابه الإمام الحسن عليه بآية، وما ذلك كله إلا ليعرف الناس بعلمه وفضله ومقامه.

روي عن داود بن كثير الرقي عن: (أبي عبد الله (عليه السلام) قال لما صالح الحسن بن علي (عليه السلام) معاوية جلسا بالنخيلة فقال معاوية يا ابا محمد بلغني ان رسول الله كان يخرص النخل فهل عندك من ذلك علم فان شيعتكم يزعمون أنه لا يغرب عنكم علم شيء في الأرض ولا في السماء، فقال الحسن ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يخرص كيلا وانا أخرص عددا فقال معاوية كم في هذه النخلة من بسرة قال الحسن أربعة آلاف بسرة وأربع بسرات. وأقول ووجدت قد انقطع من المختصر المذكور كلمات فوجدتها في رواية ابن عياش الجوهري هي، فامر معاوية بها فصرمت، فجاءت أربعة آلاف بسرة وثلاث بسرات، ثم صح الحديث بلفظها، فقال الحسن والله ما كذبت ولا كذبت فنظرنا فإذا في يد عبد

الله بن عامر بن كريز بسرة ثم قال عليه السلام أما والله يا معاوية لولا انك تكفر لأخبرتكم بما اعلم، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في زمان لا يكذب وأنت تكذب وتقول متى سمع من جده على صغر سنه والله لقد عين زياد أو لتقتلن حجرا ويحمل إليك رأس عمرو بن الحمق^(١) إن معاوية بن أبي سفيان الملعون ليعلم علم اليقين أن الإمام الحسن عليه السلام لا يعزب عنه شيء عن عدد البسرات وهي بداية نمو التمرة في النخلة فأجابه الإمام بأنها أربعة آلاف وثلاث، وأضاف ابن طاووس أن عبد الله بن عامر بن كريز أخفى واحدة في يده فكشفه الإمام.

ومن: (أجوبته عن مسائل سأله عنها أمير المؤمنين عليه السلام أو غيره في معان مختلفة قيل له عليه السلام: ما الزهد؟ قال: الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا: قيل: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس. قيل: ما السداد؟ قال: دفع المنكر بالمعروف قيل: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الحرية. قيل: فما النجدة؟ قال: الذب عن الجار والصبر في المواطن والاقدام عند الكريهة. قيل: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغرم وأن تعفو عن الجرم. قيل: فما المروءة؟ قال: حفظ الدين وإعزاز النفس ولين الكنف وتعهد الصنعة وأداء الحقوق والتحبب إلى الناس. قيل: فما الكرم؟ قال: الابتداء بالعطية قبل المسألة وإطعام

(١) فرج المهموم، ابن طاووس، منشورات الرضي، قم ١٣٦٣ ش: ٢٢٥

الطعام في المحل قيل: فما الدنيئة ؟ قال: النظر في اليسير ومنع الحقير. قيل: فما اللؤم ؟ قال: قلة الندى وأن ينطق بالخنى. قيل: فما السماح ؟ قال: البذل في السراء والضراء. قيل: فما الشح ؟ قال: أن ترى ما في يديك شرفا وما أنفقتة تلفا. قيل: فما الإخاء ؟ قال: الإخاء في الشدة والرخاء. قيل: فما الجبن ؟ قال: الجرأة على الصديق والنكول عن العدو. قيل: فما الغنى ؟ قال: رضى النفس بما قسم لها وإن قل. قيل: فما الفقر ؟ قال: شره النفس إلى كل شئ. قيل: فما الجود ؟ قال: بذل المجهود. قيل: فما الكرم ؟ قال: الحفاظ في الشدة والرخاء. قيل: فما الجرأة ؟ قال: مواقف الاقران. قيل: فما المنعة ؟ قال: شدة البأس ومنازعة أعزاء الناس. قيل: فما الذل ؟ قال: الفرق عند المصدوقة. قيل: فما الخرق ؟ قال: مناواتك أميرك ومن يقدر على ضرك. قيل: فما السناء ؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح. قيل: فما الحزم ؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاية والاحتباس من جميع الناس. قيل فما الشرف ؟ قال: موافقة الاخوان وحفظ الجيران. قيل: فما الحرمان ؟ قال: تركك حظك وقد عرض عليك. قيل: فما السفه ؟ قال: اتباع الدناة ومصاحبة الغواة. قيل: فما العي ؟ قال: العبث باللحية وكثرة التنحنح عند المنطق. قيل: فما الشجاعة ؟ قال: موافقة الاقران والصبر عند الطعان. قيل فما الكلفة ؟ قال: كلامك فيما لا يعينك. قيل: وما السفاه ؟ قال: الأحق في ماله

المتهاون بعرضه. قيل: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه وإسلامه عرسه^(١)

لعل سؤال أمير المؤمنين عليه السلام وهو العالم لابنه الإمام الحسن عليه السلام إنما هو لإلزام الحجة على الناس، والنص على إمامته بعده، وأنه يقود الأمة، ومن يدقق في جواب الإمام يلاحظ أنه تناص مع أجوبة أبيه وكأنه نص من نهج البلاغة، وهذا ما ذكرناه سابقا من أثبات الوراثة.

وري: (أن معاوية بعث رجلا متكررا يسأل أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل سأله عنها ملك الروم فلما دخل الكوفة وخاطب أمير المؤمنين عليه السلام أنكره فقرره فاعترف له بالحال فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قاتل الله ابن آكلة الأكباد ما أضله وأضل من معه، قاتله الله لقد أعتق جارية ما أحسن أن يتزوجها، حكم الله بيني وبين هذه الأمة قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي وأضاعوا أيامي. عليّ بالحسن والحسين ومحمد، فدعوا، فقال عليه السلام: يا أخا أهل الشام هذان ابنا رسول الله ﷺ وهذا ابني فاسأل أيهم أحببت، فقال الشامي: أسأل هذا، يعني الحسن عليه السلام. ثم قال: كم بين الحق والباطل؟ وكم بين السماء والأرض؟ وكم بين المشرق والمغرب؟ وعن هذا المحو الذي في القمر. وعن قوس قزح. وعن هذه المجرة. وعن أول شيء انتضح على وجه الأرض. وعن أول شيء اهتز عليها

(١) تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ،

وعن العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين والمشركون. وعن المؤنث. وعن عشرة أشياء بعضها أشد من بعض ؟. فقال الحسن (عليه السلام): يا أخا أهل الشام بين الحق والباطل أربع أصابع، ما رأيت بعينيك فهو الحق وقد تسمع بأذنيك باطلا كثيرا. وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومد البصر فمن قال غير هذا فكذبه. وبين المشرق والمغرب يوم مطرد للشمس تنظر إلى الشمس حين تطلع وتنظر إليها حين تغرب من قال غير هذا فكذبه. وأما هذه المجرة فهي أشراج السماء، مهبط الماء المنهمر على نوح (عليه السلام). وأما قوس قزح: فلا تقل: قزح فإن قزح شيطان ولكنها قوس الله وأمان من الغرق. وأما المحو الذي في القمر فإن ضوء القمر كان مثل ضوء الشمس فمحاه الله. وقال في كتابه: " فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ". وأما أول شئ انتضح على وجه الأرض فهو وادي دلس. وأما أول شئ اهتز على وجه الأرض فهي النخلة. وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين فهي عين يقال: لها سلمى. وأما العين التي تأوي إليها أرواح الكافرين فهي عين يقال لها: برهوت. وأما المؤنث فإنسان لا يدرى امرأة هو أو رجل فينتظر به الحلم، فإن كانت امرأة بانت ثدياها وإن كان رجلا خرجت لحيته وإلا قيل له يبول على الحائط فإن أصاب الحائط بوله فهو رجل وإن نكص كما ينكص بول البعير فهي امرأة. وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض: فأشد شئ خلق الله الحجر وأشد من الحجر الحديد وأشد من الحديد النار وأشد من النار الماء وأشد من الماء السحاب وأشد من السحاب الريح

وأشد من الريح الملك وأشد من الملك ملك الموت وأشد من ملك الموت وأشد من الموت أمر الله. قال الشامي: أشهد أنك ابن رسول الله ﷺ وأن عليا وصي محمد ثم كتب هذا الجواب ومضى به إلى معاوية وأنفذه معاوية إلى ابن الأصفر فلما أتاه قال: أشهد أن هذا ليس من عند معاوية ولا هو إلا من معدن النبوة^(١)

يلاحظ ملك الروم وهم الذين يسمون ببني الأصفر لديه مسائل عجز عنها، وبعث بها لمعاوية؛ وليس ذلك لعلم معاوية وإنما لعلاقة معاوية بهم، فما كان من معاوية إلا أن بعث رجلا بتلك المسائل لأmir المؤمنين عليه السلام؛ لعلمه القطعي بأنه باب مدينة رسول الله وخازن علمه، وعند وصول الشامي للكوفة واعترافه لأmir المؤمنين عليه السلام بحاله، فلعن عليه السلام معاوية ودعا عليه، ومع ذلك دعا بالحسن والحسن ومحمد، وعرف الشامي بهم وطلب منه أن يسألهم؛ ذلك أن معاوية تعمد التكتم على أهل البيت عليه السلام، ولذلك لم يعرفهم الشامي، وقد تصدى الإمام الحسن عليه السلام للإجابة على جميع مسائله، فأمن به وشهد له بالإمامة، ولما أمضى معاوية بالأجوبة لملك الروم قال: (أشهد أن هذا ليس من عند معاوية ولا هو إلا من معدن النبوة) وهذا دليل بعلمه بأهل البيت عليه السلام لكنه معاند ومكابر عن قبول الحق كما هو معاوية.

روي: (أن الحسن عليه السلام وإخوته وعبد الله بن العباس كانوا على مائدة،

(١) تحف العقول عن آل الرسول: ٢٢٨.

فجاءت جرادة ووقعت على المائدة. فقال عبد الله للحسن: أي شيء مكتوب على جناح الجرادة؟ فقال: مكتوب عليه: أنا الله لا إله إلا أنا، ربما أبعث الجراد رحمة لقوم جياع ليأكلوه، وربما أبعثها نقمة على قوم فتأكل أطعمتهم. فقام عبد الله، وقبل رأس الحسن، وقال: هذا من مكنون العلم^(١)

إن عبد الله بن عباس حبر الأمة يسأل الإمام الحسن (عليه السلام) عن جناح البعوضة وما كتب عليه؟ فأجابه الإمام (عليه السلام) فذهل من ذلك وقام وقبل رأس الإمام وقال: هذا من مكنون العلم.

روي عن عبد الله بن عباس قال: (مرت بالحسن بن علي (عليه السلام) بقرة، فقال: هذه حبلى بعجلة أنثى لها غُرَّة في جبهتها، ورأس ذنبها أبيض، فانطلقنا مع القصاب حتى ذبحها، فوجدنا العجلة كما وصف على صورتها.. فقلنا له: أو ليس الله عز وجل ويعلم ما في الأرحام، فكيف علمت، قال: إنا نعلم المخزون المكتوم، الذي لم يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، غير محمد وذريته^(٢)).

إن عبد الله بن عباس ليعجب من علم الإمام الحسن (عليه السلام)، فكيف علم بما في بطن البقرة وصفات العجلة، مما دعاه ومن معه ليذهبوا للقصاب ليذبح

(١) الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٩ هـ، ط ١: ٢٤١.

(٢) الحياة السياسية للإمام الحسن، السيد جعفر مرتضى العاملي، دار المسرة، بيروت، ١٩٩٤،

البقرة ويجدوا ما في بطنها كما وصفه الإمام عليه السلام، فازدادت دهشته ليقول: أن علم ما في الأرحام مختص بالله، فيجبه الإمام عليه السلام بأن لديهم مخزون العلم الذي لم يطلع عليه غيرهم...

و روي: (أنه اغتسل وخرج من داره في بعض الأيام وعليه حلّة فاخرة وبرّة وبردة طاهرة، ومحاسن سافرة [وقسمات ظاهرة] بنفحات [ناشرة] طيّبات عاطرة، ووجهه يشرق حسناً، وشكله قد كمل صورةً ومعنى، [والإقبال] والسعد يلوح من أعطافه، ونضرة النعيم تعرف في أطرافه، و[قاضي القدر] قد [حكم أن السعادة من أوصافه] ركب بغلةً فارهة غير قطوف، وسار مكتنفاً من حاشيته وغاشيته بصفوف [فلو شاهده عبد مناف لأرغم بمفاخرته به معاطس أنوف، وعدّه وآباءه وجدّه في إحراز خصل الفخار يوم التفاخر بألوف].
فعرض له في طريقه شخص من محابج اليهود [همّ في هدم] وعليه مسح من جلود، وقد أنهكته العلة و[أرتكبه] الذلّة [وأهلكته القلّة، وجلده يستر عظامه وضعفه يقيّد أقدامه، وضرّه قد ملك زمامه، وسوء حاله قد حبّب إليه حمامه] وشمس الظهيرة قد تشوى شواه [وقد أحرقت بحرّها أخمصية ويصافح ثرى ممشاه، وعذاب حرّ عريه قد عراه، وطول طواه قد أضعف بطنه وطواه] وهو حامل جرّة ماء على قفاه، فاستوقف الحسن فقال: يا ابن رسول الله ﷺ سؤال فقال: له ما هو؟ قال: جدّك يقول: " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " وأنت المؤمن وأنا الكافر، فما أرى الدنيا إلّا جنة لك تتنعم بها وأنت مؤمن

وتستلذّ بها، وما أراها إلّا سجنًا [لي] قد أهلكني ضرها وأتلفني فقرها. فلمّا سمع الحسن (عليه السلام) كلامه أشرق عليه نور التأييد واستخرج الجواب [بفهمه] من خزانة علمه وأوضح لليهودي خطأ ظنّه وخطل زعمه وقال: يا شيخ لو نظرت إلى ما أعدّ الله تعالى لي وللمؤمنين في دار الآخرة ممّا لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، لعلمت [أني] قبل انتقالي إليه في هذه الدنيا في سجن ضيّك، ولو نظرت إلى ما أعدّ الله لك ولكلّ كافر في الدار الآخرة من سعير نار جهنّم، ونكال العذاب الأليم المقيم لرأيت [أنّك] قبل مصيرك إليه [الآن] في جنّة واسعة ونعمة جامعة. فانظر إلى هذا الجواب الصادع بالصواب^(١)

إن ابن صباغ المالكي نقل الرواية ووضع ما بين القوسين للتحقيق، إن الإمام الحسن (عليه السلام) عند خروجه خرج بهيئة الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) فانبهر اليهودي وظن أنه يفحم الإمام بذكر حديث لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر)، لكن الإمام أجابه بجواب جعله يرجع في ذهنه الأفكار وأنه متوهم، أجابه كما قال أبوه أمير المؤمنين (عليه السلام): كل نعيم دون الجنة جحيم، وأن الله تعالى أعدّ للمؤمن ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت.

A vertical decorative element featuring a central rectangular box with rounded corners. Above and below the box are symmetrical, intricate geometric patterns. The top part consists of a series of pointed, interlocking shapes, while the bottom part is a mirror image of the top. The entire design is rendered in black and white.

المبحث السابع: بلاغة الإمام وفصاحته

إن سلاح الأنبياء والأوصياء عليهم السلام البلاغ، ولا يكون البلاغ إلا مبيناً، قال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا **الْبَلَّغُ الْمُبِينُ**﴾ (المائدة: ٩٢)، وفي ذيل الآية حصر بالأداة أنها بأن وظيفة الرسول البلاغ المبين، وقال تعالى: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا **الْبَلَّغُ** وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (المائدة: ٩٩)، الحصر في هذه الآية بأسلوب النفي والاستفهام، مما يعلم بأهمية البلاغ، ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا **الْبَلَّغُ الْمُبِينُ**﴾ (النحل: ٣٥)، هذه الآية الكريمة تشمل جميع الرسل ولتأكيد المعنى جاءت بأسلوب الحصر، ولكي تكون البلاغة مؤثرة في الناس يجب أن تكون بلسانهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا **بِلِسَانِ قَوْمِهِ** لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (إبراهيم: ٤)، وعللت الآية الكريمة بلاغة الرسول بلسان قومه؛ ليبين لهم ويؤثر فيهم.

ونعني بالبلاغة مطابقة الكلام لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظها، مفردتها ومركبها، وبلاغة المتكلم هي ملكة في النفس يقتدر بها صاحبها على تأليف الكلام البليغ المطابق لمقتضى الحال، وتقسم البلاغة على أقسام ثلاثة: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، ولكل علم منها

موضوعاته الخاصة^(١)

و تتجلى بلاغة الإمام الحسن (عليه السلام) في خطبة ومواعظه ووصاياه وأدعيته وشعره، ومن ذلك: قال الإمام الحسن (عليه السلام): (أيها الناس إنه من نصيح الله وأخذ قوله دليلاً هدياً للتي هي أقوم ووفقه الله للرشاد وسدده للحسنى فإن جار الله آمن محفوظ وعدوه خائف مخذول فاحترسوا من الله بكثرة الذكر. واخشوا الله بالتقوى وتقربوا إلى الله بالطاعة فإنه قريب مجيب، قال الله تبارك وتعالى: " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون " فاستجيبوا لله وآمنوا به فإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاضم، فإن رفعة الذين يعلمون عظمة الله أن يتواضعوا و[عز] الذين يعرفون ما جلال الله أن يتذللوا [له] وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أن يستسلموا له ولا ينكروا أنفسهم بعد المعرفة ولا يضلوا بعد الهدى واعلموا علماً يقيناً أنكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرفة. فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم الفرية على الله والتحريف ورأيتم كيف يهوي من يهوي. ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون. والتمسوا ذلك

(١) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية،

عند أهلهم، فإنهم خاصة نور يستضاء بهم وأئمة يقتدى بهم، بهم عيش العلم وموت الجهل وهم الذين أخبركم حلمهم عن جهلهم وحكم منطقهم عن صمتهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه. وقد خلت لهم من الله سنة ومضى فيهم من الله حكم إن في ذلك لذكرى للذاكرين. واعقلوه إذا سمعتموه عقل رعاية ولا تعقلوه عقل رواية، فإن رواية الكتاب كثير ورعائه قليل والله المستعان.)

مَنْ يطلع على نهج البلاغة وله معرفة بأسلوب أمير المؤمنين عليه السلام ويقارن بينه وبين هذه الخطبة فإنه لا يجد فرقا يذكر، فقد حشد الإمام الحسن عليه السلام في هذا النص جيشا من المعاني والبيان والبديع، ويستطيع دارسي البلاغة أن يلاحظوا ذلك بسهولة، بل كلامه عليه السلام فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق، أضف لذلك أن الإمام عليه السلام حث في هذه الخطبة على التقوى والمعرفة وأتباع أهل البيت عليهم السلام.

روي أن: (طعن أقوام من أهل الكوفة في الحسن بن علي عليهما السلام فقالوا: إنه عي لا يقوم بحجة، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعا الحسن فقال: يا ابن رسول الله إن أهل الكوفة قد قالوا فيك مقالة أكرهها؟ قال: وما يقولون يا أمير المؤمنين؟ قال: يقولون: إن الحسن بن علي عي اللسان لا يقوم بحجة، وإن هذه الأعواد فأخبر الناس فقال: يا أمير المؤمنين لا أستطيع الكلام وأنا أنظر إليك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام إني متخلف عنك فناد أن الصلاة جامعة، فاجتمع

المسلمون فصعد (عليه السلام) المنبر فخطب خطبة بليغة وجيزة فضج المسلمون بالبكاء ثم قال: أيها الناس اعقلوا عن ربكم إن الله عز وجل اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم، فنحن الذرية من آدم والأسرة من نوح، والصفوة من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، وآل من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نحن فيكم كالسما المرفوعة، والأرض المدحوة، والشمس الضاحية، وكالشجرة الزيتون، لا شرقية ولا غربية التي بورك زيتها، النبي أصلها، وعلي فرعها، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجاة، ومن تخلف عنها في النار هوى، فقام أمير المؤمنين من أقصى الناس يسحب رداءه من خلفه حتى علا المنبر مع الحسن (عليه السلام) فقبل بين عينيه، ثم قال: يا ابن رسول الله أثبت على القوم حجتك وأوجب عليهم طاعتك، فويل لمن خالفك^(١)

يلاحظ أن أهل الكوفة طعنوا في الإمام الحسن (عليه السلام) - وسيتضح موقفهم في فصول لاحقة - وقالوا بأنه عي بمعنى لا يقدر على الكلام والفصاحة وأمر أمير المؤمنين (عليه السلام) بعدما علم بأن يرتقي الإمام الحسن (عليه السلام) المنبر ويخطب في الناس ليتضح لهم تضلعه في البلاغة وأنه ابن من سنّ الفصاحة لقريش، فأجابه الإمام الحسن (عليه السلام) بأنه لا يستطيع الكلام بمحضر أبيه احتراماً

وهيبة منه، فتخلف عنه أمير المؤمنين عليه السلام، وخطب الإمام بالناس وأثر فيهم لدرجة البكاء، فكانت خطبة بليغة وعظيمة أثبت فيها حق أهل البيت عليهم السلام وأنهم ورثة الأنبياء، مما جعل أمير المؤمنين عليه السلام يقبل بين عينيه أي جبهته، ويقول له: يا ابن رسول الله أثبت على القوم حجتك وأوجبت عليهم طاعتك، فويل لمن خالفك.

و من وصايا الإمام الحسن عليه السلام وصيته لجنادة بن أبي أمية عندما كان عائدا للإمام عليه السلام فقال له: عظمي يا بن رسول الله. فأجابه الإمام قائلا: (يا جنادة استعد لسفرك وحصل زادك قبل حلول أجلك واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه واعلم أنك لا تكسب من المال شيئا فوق قوتك إلا كنت فيه خازنا لغيرك، واعلم أن الدنيا في حلالها وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيك فإن كان حلالا كنت قد زهدت فيه وإن كان حراما لم يكن فيه وزر فأخذت منه كما أخذت من الميتة وإن كان العقاب فالعقاب يسير واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وإذا أردت عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عز وجل وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك وإذا أخذت منه صانك وإذا أردت منه معونة أعانك وإن قلت صدق قولك وإن صلت شدّ صولتك وإن مددت يدك بفضل مدّها وإن بدت

منك ثلثة سدّها وإن رأى منك حسنة عدّها وإن سألت أعطاك وإن سكت عنه ابتدأك وإن نزلت بك إحدى الملّات واساك، من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق وإن تنازعتما منقسما أثرك^(١) إن هذه الوصية تحفة ذهبية وهي أغلى وأثمن من الجواهر وقد كشفت عن أسرار إمامته (عليه السلام)^(٢)، ولو لم يكن في هذا الكتاب سوى هذه الوصية لكفاه فخرا وذخرا في الدنيا والآخرة.

و روي عن الشعبي وأبي مخنف ويزيد بن أبي حبيب المصري أنهم قالوا: (لم يكن في الإسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل، أكثر ضجيجا ولا أعلى كلاما ولا أشد مبالغة في قول، من يوم اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان عمرو بن عثمان بن عفان، وعمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، والمغيرة بن أبي شعبة، وقد تواطؤا على أمر واحد. فقال عمرو بن العاص: لمعاوية ألا تبعث إلى الحسن بن علي فتحضره، فقد أحيى سنة أبيه، وخفقت النعال خلفه، أمر فأطيع، وقال فصدق، وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منهما، فلو بعثت إليه فقصرنا به وبأبيه، وسببناه وسببنا أباه، وصغرنا بقدرة وقدر أبيه، وقعدنا لذلك حتى صدق لك فيه، فقال

(١) أعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي، المجمع العالمي لأهل البيت، قم، ١٤٣٠هـ، ط ٥: ٤/

١٨٦ — ١٨٧.

(٢) ينظر المصدر نفسه

لهم معاوية: إني أخاف أن يقلدكم قلايد يبقى عليكم عارها، حتى يدخلكم قبوركم، والله ما رأيته قط إلا كرهت جنابه، وهبت عتابه، وإني إن بعثت إليه لأنصفه منكم. قال عمرو بن العاص: أتخاف أن يتسامى باطله على حقنا، ومرضه على صحتنا قال: لا قال: فابعث إذا إليه. فقال عتبة: هذا رأي لا أعرفه، والله ما تستطيعون أن تلقوه بأكثر ولا أعظم مما في أنفسكم عليه، ولا يلقاكم بأعظم مما في نفسه عليكم، وإنه لأهل بيت خصم جدل، فبعثوا إلى الحسن فلما أتاه الرسول قال له: يدعوك معاوية. قال: ومن عنده؟ قال الرسول: عنده فلان وفلان، وسمى كلا منهم باسمه. فقال الحسن عليه السلام: ما لهم خر عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. ثم قال: يا جارية أبلغيني ثيابي. ثم قال: اللهم إني أدرأ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم بما شئت، وأنى شئت، من حولك وقوتك، يا أرحم الراحمين. وقال للرسول: هذا كلام الفرج، فلما أتى معاوية رحب به، وحياه وصافحه. فقال الحسن عليه السلام: إن الذي حييت به سلامة، والمصافحة أمن. فقال معاوية: أجل إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ليقروك: أن عثمان قتل مظلوما، وأن أباك قتله، فاسمع منهم، ثم أجبههم بمثل ما يكلمونك، فلا يمنعك مكاني من جوابهم. فقال الحسن: فسبحان الله البيت بيتك والإذن فيه إليك! والله لئن أجبتهم إلى ما أرادوا إني لأستحيي لك من الفحش، وإن كانوا غلبوك على ما تريد، إني لأستحيي لك من الضعف، فبأيها تقر، ومن أيها

تعتذر، وأما إني لو علمت بمكانهم واجتماعهم، لجئت بعدتهم من بني هاشم مع
أني مع وحدتي هم أوحش مني من جمعهم، فإن الله عز وجل لوليي اليوم وفيما
بعد اليوم، فمرهم فليقولوا فأسمع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
فتكلم عمرو بن عثمان بن عفان فقال: ما سمعت كاليوم أن بقي من بني عبد
المطلب على وجه الأرض من أحد بعد قتل الخليفة عثمان بن عفان، وكان ابن
أختهم، والفاضل في الإسلام منزلة، والخاص برسول الله إثرة، فبئس كرامة الله
حتى سفكوا دمه اعتداء، وطلبوا للفتنة، وحسدا، ونفاسة، وطلب ما ليسوا
بأهلين لذلك، مع سوابقه ومنزلته من الله، ومن رسوله، ومن الإسلام، فيا ذلاه
أن يكون حسن وسائر بني عبد المطلب قتلة عثمان، أحياء يمشون على مناكب
الأرض وعثمان بدمه مخرج، مع أن لنا فيكم تسعة عشر دما يقتلي بني أمية ببدر
ثم تكلم عمرو بن العاص: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أي ابن أبي تراب
بعثنا إليك لنقرررك أن أباك سم أبا بكر الصديق، واشترك في قتل عمر الفاروق
وقتل عثمان ذي النورين مظلوما، وادعى ما ليس له حق، ووقع فيه، وذكر
الفتنة، وعيره بشأنها ؟ ثم قال: أنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليطيعكم
الملك فتركبون فيه ما لا يحل لكم، ثم أنت يا حسن تحدث نفسك بأنك كائن
أمير المؤمنين وليس عندك عقل ذلك، ولا رأيه، وكيف وقد سلبته، وتركت
أحمق في قريش، وذلك لسوء عمل أبيك، وإنما دعوناك لنسبك وأباك. ثم إنك
لا تستطيع أن تعيب علينا، ولا أن تكذبنا به، فإن كنت تري أنا كذبناك في شيء،

وتقولنا عليك بالباطل، وادعينا عليك خلاف الحق فتكلم، وإلا فاعلم أنك وأباك من شر خلق الله، فأما أبوك فقد كفانا الله قتله وتفرد به، وأما أنت فإنك في أيدينا نتخير فيك، والله أن لو قتلناك ما كان في قتلك إثم عند الله، ولا عيب عند الناس ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان، فكان أول ما ابتدأ به أن قال: يا حسن إن أباك كان شر قريش لقريش، أقطعه لأرحامها، وأسفكه لدمائها وإنك لمن قتلة عثمان، وإن في ألحق أن نقتلك به، وإن عليك القود في كتاب الله عز وجل، وإنا قاتلوك به، وأما أبوك فقد تفرد الله بقتله فكفانا أمره، وأما رجاءك الخلافة فلست فيها، لا في قدحة زندك، ولا في رجحة ميزانك. ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط بنحو من كلام أصحابه فقال: يا معشر بني هاشم كنتم أول من دب بعيب عثمان وجمع الناس عليه، حتى قتلتموه حرصا على الملك، وقطيعة للرحم، واستهلاك الأمة، وسفك دمائها، حرصا على الملك، وطلبا للدنيا الخبيثة، وحبا لها، وكان عثمان خالكم، فنعم الخال كان لكم، وكان صهركم، فكان نعم الصهر لكم، قد كنتم أول من حسده وطعن عليه، ثم وليتم قتله، فكيف رأيتم صنع الله بكم. ثم تكلم المغيرة بن شعبة: فكان كلامه وقوله كله وقوعا في علي عليه السلام ثم قال: يا حسن إن عثمان قتل مظلوما فلن لم يكن لأبيك في ذلك عذر برئ، ولا اعتذر مذنب، غير أنا يا حسن قد ظننا لأبيك في ضمه قتلة عثمان، وإيوائه لهم، وذبه عنهم، أنه بقتله راض، وكان والله طويل السيف واللسان، يقتل الحي ويعيب الميت، وبنو أمية خير لبني هاشم من بني هاشم

لبنى أمية، ومعاوية خير لك يا حسن منك لمعاوية، وقد كان أبوك ناصب رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته وأجلب عليه قبل موته، وأراد ؟ ؟ قتله، فعلم ذلك من أمره رسول الله صلى الله عليه وآله ثم كره أن يبايع أبا بكر حتى أتى به قودا، ثم دس عليه فسقاه سما فقتله، ثم نازع عمر حتى هم أن يضرب رقبتة، فعمد في قتله، ثم طعن على عثمان حتى قتله، كل هؤلاء قد شرك في دمهم فأى منزلة له من الله يا حسن: وقد جعل الله السلطان لولي المقتول في كتابه المنزل فمعاوية ولي المقتول بغير حق، فكان من الحق لو قتلناك وأخاك، والله ما دم علي بأخطر من دم عثمان، وما كان الله ليجمع فيكم فيكم يا بني عبد المطلب الملك والنبوة. ثم سكت فتكلم أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام فقال: الحمد لله الذي هدى أولكم بأولنا، وآخركم بآخرنا، وصلى الله على جدي محمد النبي وآله وسلم. اسمعوا مني مقالتي وأعبروني فهمكم وبك أبدء يا معاوية: إنه لعمر الله يا أزرق ما شتمني غيرك وما هؤلاء شتموني، ولا سبني غيرك وما هؤلاء سبوني ولكن شتمتني، وسببتني، فحشا منك، وسوء رأي، وبغيا، وعدوانا، وحسدا علينا، وعداوة لمحمد صلى الله عليه وآله، قديما وحديثا، وأنه والله لو كنت أنا وهؤلاء يا أزرق مشاورين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وحولنا المهاجرون والأنصار ما قدروا أن يتكلموا به، ولا استقبلوني بما استقبلوني به. فاسمعوا مني أيها الملأ المجتمعون المتعاونون علي، ولا تكتموا حقا علمتوه، ولا تصدقوا بباطل إن نطقت به، وسأبدأ بك يا معاوية ولا أقول فيك إلا دون ما فيك. أنشدكم بالله هل تعلمون أن الرجل

الذي شتمتموه صلى القبلتين كلتيهما وأنت تراهما جميعا وأنت في ضلالة تعبد اللات والعزى، وبائع البيعتين كلتيهما بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأولى كافر، وبالأخرى ناكث. ثم قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أن ما أقول حقا، أنه لقيكم مع رسول الله ﷺ يوم بدر ومعه راية النبي ﷺ والمؤمنين، ومعك يا معاوية راية المشركين وأنت تعبد اللات والعزى، وترى حرب رسول الله ﷺ فرضا واجبا، ولقيكم يوم أحد ومعه راية النبي، ومعك يا معاوية راية المشركين، ولقيكم يوم الأحزاب ومعه راية رسول الله ﷺ، ومعك يا معاوية راية المشركين، كل ذلك يفلج الله حجته، ويحق دعوته، ويصدق أحوثته، وينصر رايته، وكل ذلك رسول الله يرى عنه راضيا في المواطن كلها ساخطا عليك. ثم أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ حاصر بني قريضة وبني النضير، ثم بعث عمر بن الخطاب ومعه راية المهاجرين، وسعد بن معاذ ومعه راية الأنصار فأما سعد بن معاذ فجرح وحمل جريحا، وأما عمر فرجع هاربا وهو يجبن ويحبن أصحابه ويحبنه أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: "لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، ثم لا يرجع حتى يفتح الله عليه يديه" فتعرض لها أبو بكر وعمر، وغيرهما من المهاجرين والأنصار وعلي يومئذ أرمد شديد الرمد، فدعاه رسول الله ﷺ فتفل في عينيه فبرأ من رمده، وأعطاه الراية فمضى ولم يشن حتى فتح الله عليه بمنه وطوله، وأنت يومئذ بمكة عدو لله ولرسوله. فهل يستوي بين رجل

نصح لله ولرسوله، ورجل عادى الله ورسوله ثم أقسم بالله ما أسلم قلبك بعد، ولكن اللسان خائف فهو يتكلم بما ليس في القلب. أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه استخلفه على المدينة في غزاة تبوك ولا سخط ذلك ولا كراهة، وتكلم فيه المنافقون فقال: لا تخلفني يا رسول الله فإني لم أتخلف عنك في غزوة قط، فقال رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه: أنت وصيي وخليفتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: أيها الناس من تولاني فقد تولى الله، ومن تولى عليا فقد تولاني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع عليا فقد أطاعني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب عليا فقد أحبني. ثم قال: أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه قال في حجة الوداع: أيها الناس إني قد ركت فيكم ما لم تضلوا بعده: كتاب الله وعترتي أهل بيتي فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا بما أنزل الله من الكتاب، وأحبوا أهل بيتي وعترتي، ووالوا من والاهم، وانصروهم على من عاداهم، وأنهما لن يزالا فيكم حتى يردا علي الحوض يوم القيامة. ثم دعا وهو على المنبر عليا فاجتذبه بيده فقال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، اللهم من عادى عليا فلا تجعل له في الأرض مقعدا، ولا في السماء مصعدا، واجعله في أسفل درك من النار؟ وأنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه قال له: أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة تذود عنه كما يذود أحدكم الغريبة من وسط إبله؟ أنشدكم بالله أتعلمون أنه دخل على رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه في مرضه الذي توفي فيه

فبكى رسول الله ﷺ فقال علي: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: يبكيني أني أعلم: أن لك في قلوب رجال من أمتي ضغائن، لا يدونها لك حتى أتولى عنك؟ أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة واجتمع عليه أهل بيته قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي، اللهم وال من ولاهم وعاد من عاداهم" وقال: "إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من دخل فيها نجى، ومن تخلف عنها غرق؟ وأنشدكم بالله أتعلمون: أن أصحاب رسول الله ﷺ قد سلموا عليه بالولاية في عهد رسول الله ﷺ وحياته؟ أنشدكم بالله أتعلمون أن عليا أول من حرم الشهوات كلها على نفسه من أصحاب رسول الله، فأنزل الله عز وجل: "يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون" وكان عندهم علم المنايا، وعلم القضايا، وفصل الكتاب، ورسوخ العلم، ومنزل القرآن، وكان رهط لا نعلمهم يتممون عشرة، نبأهم الله أنهم مؤمنون، وأنتم في رهط قريب من عدة أولئك لعنوا على لسان رسول الله ﷺ، فأشهد لكم وأشهد عليكم: أنكم لعناء الله على لسان نبيه كلكم وأنشدكم بالله هل تعلمون: أن رسول الله ﷺ بعث إليك لتكتب له لبني خزيمة حين أصابهم خالد بن الوليد فانصرف إليه الرسول فقال: "هو يأكل" فأعاد الرسول إليك ثلاث مرات كل ذلك ينصرف الرسول إليه ويقول "هو يأكل" فقال رسول الله ﷺ "اللهم لا تشبع بطنه" فهي والله في نهمتك، وأكلك

إلى يوم القيامة ثم قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أن ما أقول حقا إنك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر يقوده أخوك هذا القاعد، وهذا: يوم الأحزاب، فلعن رسول الله القائد والراكب والسائق، فكان: أبوك الراكب، وأنت يا أزرق السائق، وأخوك هذا القاعد القائد؟ أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان في سبعة مواطن أولهن: حين خرج من مكة إلى المدينة وأبو سفيان جاء من الشام، فوقع فيها أبو سفيان فسيبه، وأوعده، وهم أن يبطش به، ثم صرفه الله عز وجل عنه. والثانية: يوم العير حيث طردها أبو سفيان ليحرزها من رسول الله. والثالثة: يوم أحد قال رسول الله: الله مولانا ولا مولى لكم، وقال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم، فلعنه الله، وملائكته، ورسله، والمؤمنون أجمعون. والرابعة يوم حنين: يوم جاء أبو سفيان يجمع قريش وهوازن، وجاء عينية بغطفان واليهود، فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا، هذا: قول الله عز وجل أنزل في سورتين في كليتهما يسمي أبا سفيان وأصحابه كفارا، وأنت يا معاوية يومئذ مشرك على رأي أبيك بمكة، وعلي يومئذ مع رسول الله ﷺ وعلى رأيه ودينه. والخامسة: قول الله عز وجل: "والهدي معكوكا أن يبلغ محله" وصددت أنت وأبوك ومشركو قريش رسول الله، فلعنه الله لعنة شملته وذريته إلى يوم القيامة. والسادسة: يوم الأحزاب يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش، وجاء عينية بن حصين بن بدر بغطفان، فلعن رسول الله القادة والأتباع، والساقة إلى يوم القيامة. فقل: يا رسول الله أما في الأتباع مؤمن

؟ قال: لا تعيب اللعنة مؤمنا من الأتباع، أما القادة فليس فيهم مؤمن، ولا محب، ولا ناج. والسابعة: يوم الثانية، يوم شد على رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلا، سبعة منهم من بني أمية، وخمسة من سائر قريش، فلعن الله تبارك وتعالى ورسول الله من حل الثانية غير النبي ﷺ وسائقه وقائده. ثم أنشدكم بالله هل تعلمون أن أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخي هل علينا من عين ؟ فقال: لا. فقال أبو سفيان: تداولوا الخلافة يا فتيان بني أمية فوالذي نفس أبي سفيان بيده، ما من جنة ولا نار. وأنشدكم بالله أتعلمون أن أبا سفيان أخذ بيد الحسين حين بويع عثمان وقال: يا بن أخي أخرج معي إلى بقيع الغرقد، فخرج حتى إذا توسط القبور اجتراه فصاح بأعلى صوته: يا أهل القبور ! الذي كنتم تقاتلوننا عليه صار بأيدينا وأنتم رميم. فقال الحسين بن علي عليه السلام: قبح الله شييتك، وقبح وجهك، ثم نثر يده وتركه، فلو لا النعمان بن بشير أخذ بيده ورده إلى المدينة لهلك. فهذا لك يا معاوية فهل تستطيع أن ترد علينا شيئا. ومن لعنتك يا معاوية إن أباك أبا سفيان كان يهم أن يسلم، فبعثت إليه بشعر معروف مروي في قريش وغيرهم، تنهاه عن الإسلام وتصدده. ومنها أن عمر بن الخطاب ولاك الشام فخنت به، وولاك عثمان فتربصت به ريب المنون، ثم أعظم من ذلك جرأتك على الله ورسوله: أنك قاتلت عليا عليه السلام وقد عرفته وعرفت سوابقه، وفضله وعلمه على أمر هو أولى به منك، ومن غيرك عند الله وعند الناس، ولأذيته بل أوطأت الناس

عشوة، وأرقت دماء خلق من خلق الله بخدعك وكيدك وتمويهك، فعل من لا يؤمن بالمعاد، ولا يخشى العقاب، فلما بلغ الكتاب أجله صرت إلى شر مثوى، وعلي إلى خير منقلب، والله لك بالمرصاد. فهذا لك يا معاوية خاصة، وما أمسكت عنه من مساويك وعيوبك فقد كرهت به التطويل. وأما أنت يا عمرو بن عثمان فلم تكن للجواب حقيقاً بحمقك، أن تتبع هذه الأمور فإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة: استمسكي فإني أريد أن أنزل عنك، فقالت لها النخلة: ما شعرت بوقوعك، فكيف يشق علي نزولك. وإني والله ما شعرت أنك تجسر أن تعادي لي فيشق علي ذلك، وإني لمجيبك في الذي قلت: إن سبك عليا عليه السلام أينقص في حسبه، أو يباعده من رسول الله، أو بسوء بلائه في الإسلام، أو بجور في حكم أو رغبة في الدنيا؟ فإن قلت واحدة منها فقد كذبت. وأما قولك: إن لكم فينا تسعة عشر دماً بقتلي مشركي بني أمية ببدر، فإن الله ورسوله قتلهم، ولعمري لتقتلن من بني هاشم تسعة عشر وثلاثة بعد تسعة عشر ثم يقتل من بني أمية تسعة عشر وتسعة عشر في موطن واحد سوى ما قتل من بني أمية لا يحصي عددهم إلا الله، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا بلغ ولد الوزغ ثلاثين رجلاً: أخذوا مال الله بينهم دولا، وعباده خولا، وكتابه دغلا، فإذا بلغوا ثلاثمائة وعشر حقت اللعنة عليهم ولهم، فإذا بلغوا أربعمائة وخمسة وسبعين كان هلاكهم أسرع من لو كثر تمر، فأقبل الحكم بن أبي العاص وهم في ذلك الذكر والكلام فقال رسول الله: أخفضوا أصواتكم فإن الوزغ

يسمع، وذلك حين رآهم رسول الله ﷺ ومن يملك بعده منهم أمر هذه الأمة - يعني في المنام - فساءه ذلك وشق عليه، فأنزل الله عز وجل في كتابه، " وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن " يعني: بني أمية، وأنزل أيضا " ليلة القدر خير من ألف شهر " فأشهد لكم، وأشهد عليكم، ما سلطانكم بعد قتل علي إلا ألف شهر التي أجلها الله عز وجل في كتابه. وأما أنت يا عمرو بن العاص الشاني اللعين الأبر، فإنما أنت كلب أول أمرك، أن أمك بغية، وأنت ولدت على فراش مشترك، فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن الحرب، والوليد بن المغيرة، وعثمان بن الحرث، والنضر بن الحرث بن كلفة، والعاص بن وائل، كلهم يزعم أنك ابنه، فغلبهم عليك من بين قريش الأأمهم حسبا، وأخبثهم منصبا، وأعظمهم بغية، ثم قمت خطيبا وقلت: أنا شاني محمد، وقال العاص بن وائل: إن محمدا رجل أبر لا ولد له، فلو قد مات انقطع ذكره، فأنزل الله تبارك وتعالى: " إن شانتك هو الأبر " وكانت أمك تمشي إلى عبد قيس تطلب البغية، تأتيهم في دورهم ورجالهم وبطون أوديتهم ثم كنت في كل مشهد يشهده رسول الله من عدوه أشدهم له عداوة، وأشدهم له تكذيبا ثم كنت في أصحاب السفينة: الذين أتوا النجاشي والمهجر الخارج إلى الحبشة في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وسائر المهاجرين إلى النجاشي، فحاق المكر السيء بك، وجعل جدك الأسفل، وأبطل أمنيته، وخيب سعيك، وأكذب أحوثتك، وجعل كلمة الذين كفروا

السفلى، وكلمة الله هي العليا. وأما قولك في عثمان، فأنت يا قليل الحياء والدين اهبت عليه نارا، ثم هربت إلى فلسطين تتربص به الدوائر، فلما أتاك خبر قتله حبست نفسك على معاوية، فبعته دينك يا خبيث بدنيا غيرك، ولسنا نلومك على بغضنا، ولم نعاتبك على حبنا، وأنت عدو لبني هاشم في الجاهلية والإسلام، وقد هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبعين بيتا من شعر، فقال رسول الله: " اللهم إني لا أحسن الشعر، ولا ينبغي لي أن أقوله فالعن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة " ثم أنت يا عمرو المؤثر دنياك على دينك أهديت إلى النجاشي الهدايا، ورحلت إليه رحلتك الثانية، ولم تنهك الأولى عن الثانية، كل ذلك ترجع مغلوبا، حسيرا، تريد بذلك هذاك جعفر وأصحابه، فلما أخطأك ما رجوت وأملت أحلت على صاحبك عمارة بن الوليد. وأما أنت يا وليد بن عقبة فوالله ما ألومك أن تبغض عليا وقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة، وقتل أباك صبورا بيده يوم بدر، أم كيف تسبه وقد سماه الله مؤمنا في عشرة آيات من القرآن، وسماك فاسقا، وهو قول الله عز وجل: " أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون " وقوله: " إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " وما أنت وذكر قريش وإنما أنت ابن علع من أهل صفورية اسمه: " ذكوان " وأما زعمك أنا قتلنا عثمان فوالله ما استطاع طلحة، والزبير، وعائشة، أن يقولوا ذلك لعلي بن أبي طالب فكيف تقوله أنت، ولو سألت أمك من أبوك إذ تركت ذكوان فألصقتك بعقبة بن أبي معيط،

اكتسبت بذلك عند نفسها سناء ورفعة، مع ما أعد الله لك ولأبيك ولأمك من العار والخزي في الدنيا والآخرة، وما الله بظلام للعبيد. ثم أنت يا وليد والله أكبر في الميلاد ممن تدعى له، فكيف تسب عليا ولو اشتغلت بنفسك لتثبت نسبك إلى أبيك لا إلى من تدعى له، ولقد قالت لذلك أمك " يا بني أبوك والله ألام وأخبت من عقبة ". وأما أنت يا عتبة بن أبي سفيان: فوالله ما أنت بحصيف فأجوابك، ولا عاقل فأعاقبك، وما عندك خير يرجى، وما كنت ولو سببت عليا لأعير به عليك، لأنك عندي لست بكفو لعبد علي بن أبي طالب فأرد عليك، وأعاتبك، ولكن الله عز وجل لك ولأبيك وأمك وأخيك لبالمرصاد، فأنت ذرية آبائك الذين ذكرهم الله في القرآن فقال: " عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية - إلى قوله - من جوع ". وأما وعيدك إياي أن تقتلني، فهلا قتلت الذي وجدته على فراشك مع حليلتك، وقد غلبك على فرجها وشركك في ولدها حتى الصق بك ولدا ليس لك ويلا لك لو شغلت نفسك بطلب ثارك منه كنت جديرا، ولذلك حريا، إذ تسومني القتل وتوعدني به، ولا ألومك أن تسب عليا وقد قتل أخاك مبارزة، واشترك هو وحمزة بن عبد المطلب في قتل جدك حتى أصلاهما الله على أيديهما نار جهنم وأذاقهما العذاب الأليم، ونفى عمك بأمر رسول الله. وأما رجائي الخلافة، فلعمر الله إن رجوتها فإن لي فيها ملتمسا، وما أنت بنظير أخيك، ولا بخليفة أبيك، لأن أخاك أكثر تمردا على الله، وأشد طلبا لإهراقه دماء المسلمين، وطلب ما ليس له بأهل،

يخادع الناس ويمكرهم، ويمكر الله والله خير الماكرين. وأما قولك: "إن عليا كان شر قريش لقريش" فوالله ما حقر مرحوما ولا قتل مظلوما. وأما أنت يا مغيرة بن شعبه ! فإنك لله عدو، ولكتابه نابذ، ولنبيه مكذب وأنت الزاني وقد وجب عليك الرجم، وشهد عليك العدول البررة الأتقياء، فأخر رجمك، ودفع الحق بالأباطيل، والصدق بالأغاليط وذلك لما أعد الله لك من العذاب الأليم، والحزى في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، وأنت الذي ضربت فاطمة بنت رسول الله ﷺ حتى أدميتها وألقت ما في بطنها، استدلالا منك لرسول الله ﷺ ومخالفة منك لأمره، وانتهاكا لحرمته وقد قال لها رسول الله ﷺ: "يا فاطمة أنت سيدة نساء أهل الجنة" والله مصيرك إلى النار، وجاعل وبال ما نطقت به عليك، فبأي الثلاثة سببت عليا، أنقصا في نسبه، أم بعدا من رسول الله، أم سوء بلاء في الإسلام، أم جورا في حكم، أم رغبة في الدنيا ؟ ! إن قلت بها فقد كذبت وكذبتك الناس، أتزعم أن عليا عليه السلام قتل عثمان مظلوما ؟ ! فعلي والله أتقى وأنقى من لائمه في ذلك، ولعمري لئن كان علي قتل عثمان مظلوما فوالله ما أنت من ذلك في شيء، فما نصرته حيا ولا تعصبت له ميتا، وما زالت الطائف دارك تتبع البغايا، وتحبي أمر الجاهلية، وتميت الإسلام، حتى كان ما كان في أمس. وأما اعتراضك في بني هاشم وبني أمية فهو ادعاءك إلى معاوية. وأما قولك في شأن الإمارة وقول أصحابك في الملك الذي ملكتموه، فقد ملك فرعون مصر أربعمئة سنة، وموسى وهارون نبيان مرسلان عليهما السلام يلقيان ما

يلقيان من الأذى، وهو ملك الله يعطيه البر والفاجر، وقال الله: " وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين " وقال: " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ". ثم قام الحسن فنفض ثيابه وهو يقول: " الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات " هم والله يا معاوية: أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك، " والطيبون للطيبات - أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم " ثم: علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه وشيعته. ثم خرج وهو يقول لمعاوية: ذق وبال ما كسبت يداك وما جنت، ما قد أعد الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة. فقال معاوية لأصحابه: وأنتم فذوقوا وبال ما جنيتم. فقال الوليد بن عقبة: والله ما ذقنا إلا كما ذقت، ولا اجترأ إلا عليك. فقال معاوية: ألم أقل لكم إنكم لن تنتقصوا من الرجل فهلا أطعتموني أول مرة فانتصرتم من الرجل إذ فضحككم، فوالله ما قام حتى أظلم علي البيت، وهممت أن أسطوبه فليس فيكم خير اليوم ولا بعد اليوم. قال: وسمع مروان بن الحكم بما لقي معاوية وأصحابه المذكورون من الحسن بن علي عليهما السلام، فأتاهم فوجدهم عند معاوية في البيت فسألهم: ما الذي بلغني عن الحسن وزعله ؟ قالوا: قد كان كذلك. فقال لهم مروان: أفلا أحضرتوني ذلك. فوالله لأسبته ولأسبن أباه وأهل البيت سبا تتغنى به الإماء والعبيد. فقال معاوية والقوم: لم يفتك شئ وهم يعلمون من مروان بذو لسان وفحش فقال مروان: فأرسل إليه يا معاوية فأرسل معاوية إلى

الحسن بن علي. فلما جاء الرسول قال له الحسن عليه السلام ما يريد هذا الطاغية مني؟ والله إن أعاد الكلام لأوقرن مسامعه ما يبقى عليه عاره وشناره إلى يوم القيامة، فأقبل الحسن فلما جاءهم وجدهم بالمجلس على حالتهم التي تركهم فيها، غير أن مروان قد حضر معهم في هذا الوقت، فمشى الحسن عليه السلام حتى جلس على السرير مع معاوية وعمرو بن العاص. ثم قال الحسن لمعاوية: لم أرسلت إلي؟ قال: لست أنا أرسلت إليك ولكن مروان الذي أرسل إليك. فقال مروان: أنت يا حسن السباب لرجال قريش؟ فقال له الحسن: وما الذي أردت؟ فقال مروان: والله لأسبئك وأباك وأهل بيتك سبا تتغنى به الإماء والعبيد. فقال الحسن عليه السلام: أما أنت يا مروان فلست أنا سببتك ولا سببت أباك، ولكن الله عز وجل لعنك ولعن أباك، وأهل بيتك، وذريتك، وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة، على لسان نبيه محمد والله يا مروان ما تنكر أنت ولا أحد ممن حضر هذه اللعنة من رسول الله ﷺ لك ولأبيك من قبلك، وما زادك الله يا مروان بما خوفك إلا طغيانا كبيرا، وصدق الله وصدق رسوله يقول الله تبارك وتعالى: " والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا " وأنت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة في القرآن، وذلك عن رسول الله ﷺ عن جبرئيل عن الله عز وجل. فوثب معاوية فوضع يده على فم الحسن وقال: يا أبا

محمد ما كنت فحاشا ولا طياشا، فنفض الحسن عليه السلام ثوبه، وقام فخرج، فتفرق القوم عن المجلس بغیظ، وحزن، وسواد الوجوه في الدنيا والآخرة.^(١)

لعل القارىء يجد النص طويلا جدا، نعم ومع ذلك فهو وثيقة مهمة جدا تكشف عن اجتماع بني أمية الذي هو امتداد للسقيفة وما يخططون له في الخفاء، لطمس الدين، ولأهمية النص نعلق عليه بأمور عدة:

١- إن اجتماع معاوية والوليد بن أبي معيط والمغيرة بن أبي شعبة وعمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان وعمرو بن عثمان بن عفان إنما هو اجتماع المنافقين الذين يظهرون للناس الإيثار وإذا خلوا أظهروا كفرهم وزندقته، وهم كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨) يُخٰدِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ اِلَّا اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ بِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ (١٠) وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوْا فِي الْاَرْضِ قَالُوْا اِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُوْنَ (١١) اَلَا اِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُوْنَ وَلٰكِنْ لَا يَشْعُرُوْنَ (١٢) وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوْا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوْا اَنْتُمْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ اَلَا اِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلٰكِنْ لَا يَعْلَمُوْنَ (١٣) وَاِذَا لَقُوا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا قَالُوْا ءَامَنَّا وَاِذَا خَلَوْا اِلَىٰ شَيْطٰنِهِمْ قَالُوْا اِنَّا مَعَكُمْ اِنَّمَا نَحْنُ مُّسْتَهْزِءُوْنَ (١٤) اللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيٰنِهِمْ يَعْمَهُوْنَ (١٥) اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوْا الضَّلٰلَةَ بِالْهٰدِىِّ فَمَا رَحِمَتْ جَبْرَتُهُمْ وَمَا كَانُوْا

مُتَّهَدِينَ ﴿١٦﴾ البقرة: ٨ - ١٦ ، وهذه الآيات نزلت في آبائهم وهم على سيرتهم مقتدون...

٢. إن اتفاقهم على محاجة الإمام الحسن عليه السلام هو مكر مكروه، وانكر عليهم معاوية ذلك ليس محبة بهم ولا محبة بالإمام، وإنما لحفظ نفسه من الفضيحة؛ لعلمه القطعي ببلاغة الإمام وأن له الحجة البالغة، وقد خبره في مواقف سابقة فألقمه حجرا وملك فمه ترابا، فصار له دراسا وضحا.

٣. إن الإمام الحسن عليه السلام يعلم بمكرهم وأنهم فسقة، وعندما يلقي الحجة عليهم قد يعمدون إلى قتله، لذا لم يخرج إليهم إلا بدعاء استعان بالله عليهم ليأمن شرهم وكيدهم، وما يؤكد هذا المعنى أنه لم يتكلم عند معاوية الملعون إلا بعد أن أعطاه الأمان.

٤. وضح معاوية الملعون سبب الاجتماع مفاده: أن عثمان بن عفان قُتل مظلوما، وهم بذلك اتخذوا قميصه ذريعة بائسة لقتال أمير المؤمنين عليه السلام، ولذا أول من تكلم مع الإمام الحسن عليه السلام عمرو بن عثمان، وقد حشد الكذب والافتراء ليكون معينا له في حجته، وتكلم بعده عمر بن العاص الداهية والثعلب الماكر وقد اتهم أمير المؤمنين عليه السلام بقتل أبا بكر وعمر وعثمان... فما أكذبه، وتكلم بعده الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقد أعاد مظلومة عثمان المزعومة والاتهام بمقتله، بعده تكلم المغيرة بن شعبة وقد كرر ما قاله الوليد

وهو يناغمه في الكذب والافتراء... بعدما أدلوا بكذبهم وهم يظنون أنهم يحسون صنعا وظنوا أن كلامهم بليغا مفحما، انتظروا رد الإمام الحسن عليه السلام.

٥. بعدما سمع الإمام كذبهم أبتدأ بالرد على معاوية بن أبي سفيان؛ لأنه رأسهم وكبيرهم الذي علمهم الكذب والمكر ولأنهم مجتمعون عنده، أخذ الإمام بتوبيخهم وليقرع أسماعهم بالأدلة الدامغة التي جعلتهم في ندم وحيرة...

٦. اجتماعهم إنما كان للانتقاص من أمير المؤمنين عليه السلام، مما جعل الإمام الحسن عليه السلام يعدد بمناقبه وفضائله وخصائصه ويقارن بينه وبين بني أمية ليكشف نفاقهم وأن من يمثلهم معاوية، فأمر المؤمنين علي عليه السلام صلى القبلتين ومعاوية يعبد اللات والعزى، وبايع البيعتين ومعاوية كافر وناكث بهما، ومعه راية رسول الله ﷺ ومع معاوية راية الشرك، ومع علي فتح خيبر وأبي بكر وعمر كلاهما يجبنان أصحابهم مهزومون مخذولون، وأمر المؤمنين عليه السلام خلفه رسول الله ﷺ على تبوك وكذا أثبات إمامته في غدير خم، وأخذ الإمام الحسن عليه السلام بتعداد فضائل أبيه وكلهم يقرون بذلك، وذكر الإمام الحسن عليه السلام أن رسول الله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن وأخذ في ذكرها، وذكر حادثة أبي سفيان مع عثمان وأنه أنكر الجنة والنار والتوحيد والرسالة، بكل ذلك أحتج الإمام على معاوية الملعون فلم يتحرك لسانه بحرف إقرارا له بكل ما قال. وذكر الإمام عليه السلام معاوية الملعون بتأريخ معاوية المليء بالنفاق وأنه ولاه عمر

وعثمان على الشام.

٧. بعدما أفحم معاوية، اتجه الإمام (عليه السلام) لعمر بن عثمان ومثله بالبعوضة التي تطلب من النخلة التمسك حتى تنزل، وهذا تشبيهه بليغ للدلالة على ضعف عثمان وأنه من الأسفلين، ورد الإمام كذبه وجعله في حيرة لا يجيد جوابا.

٨. جاء الدور لعمر بن العاص اللعين الأبر، وقد بين الإمام للحاضرين أن عمر ابن بغية ولا يعرف أبيه، وذكر الإمام فضائحه وما نزلت فيه الآيات من الوعيد له بالعذاب، وأنه الفاسق، مع الرد على كذبه وتدليسه كل ذلك وعمر يسمع والحاضرون ولا أحد يستطيع أن يتنفس الهواء لضيق أنفسهم بالحجج البالغة الدامغة.

٩. أما المغيرة بن شعبه فوصفه الإمام بأنه عدو الله وأنه الزاني الذي وجب عليه الحد، وأنه من الأعداء الذين انتهكوا حرمة رسول الله (ﷺ) بضربه فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ورد عليه الإمام تدليسه وكذبه؛ مما جعله لا يحير جوابا.

١٠. خرج الإمام الحسن (عليه السلام) من المجلس بعد أن أظهر نفاقهم وكفرهم وكذبهم ودجلهم ومكرهم وحيلهم، فما كان منهم بعد ذلك إلا أن يلوموا أحدهم الآخر مما افتضحوا وذاقوا وبال ما كسبوا.

١١. بعدما انشر خبر مجلس الإمام الحسن (عليه السلام) وفضحه لآل أمية في عقر دارهم وفي قصر شيطانهم معاوية الملعون، علم مروان بن الحكم وظن أنه قادر

على الرد على الإمام فبعث إليه ليحضر.

١٢. بعد مجيء الإمام الحسن عليه السلام لمجلس معاوية مرة أخرى وبحضور مروان بن الحكم ما كان من الإمام إلا أن كشف الستار عن الماضي الفاضح والتأريخ الأسود لهذا الملعون وأنه الملعون وذريته على لسان الله ورسوله وأنه الشجرة الملعونة في القرآن، وبعد أن خشي معاوية بالفضيحة الكبرى طفق ينهي المجلس بأقل الفضائح، فنفض الإمام الحسن عليه السلام ثوبه وخرج.

١٣. إن هذا النص يمثل أسمى مراتب البلاغة؛ ذلك أن من وظيفة البلاغة أقناع المخاطب والزامه بالحجة بتحشيد المعاني واستعمال الأسلوب البليغ.

و من موارد الفصاحة والبلاغة لدى الإمام الحسن عليه السلام ما ورد في أدعيته من ذلك أنه كان يدعو بهذا على الظالمين والمعتدين: (اللهم يا من جعل بين البحرين حاجزا وبرزخا وحجرا محجورا يا ذا القوة والسلطان يا علي المكان كيف أخاف وأنت أُملي وكيف أضام وعليك متكلي فغطني من أعدائك بسترِكَ وأظهرني على أعدائي بأمرِكَ وأيدني بنصرِكَ إليك اللجأ ونحوكَ الملتجأ فاجعل لي من أمري فرجا ومخرجا يا كافي أهل الحرم من أصحاب الفيل والمرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ارم من عاداني بالتنكيل اللهم إني أسألك الشفاء من كل داء والنصر على الأعداء والتوفيق لما تحب وترضى يا إله من في السماء والأرض وما بينهما وما تحت الثرى بك أستشفى وبك أستعفي

وعليك أتوكل فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم^(١)

و يلاحظ أن الدعاء متضمن لمفاهيم قرآنية كالحاجز بين البحرين، وذكر أصحاب الفيل وإرسال طير أبابيل عليهم، وأنه إله في الأرض والسماء، واقتباس آية فسيكفيكهم الله، مما يدل على أنه لغة وبلاغته الإمام (عليه السلام) مشربة بالقرآن الكريم.

و من قنوته (عليه السلام): (يا من بسلطانه ينتصر المظلوم وبعونه يعتصم المكلم سبقت مشيتك وتمت كلمتك وأنت على كل شيء قدير وبها تمضيه خير يا حاضر كل غيب وعالم كل سر وملجأ كل مضطر ضلت فيك الفهوم وتقطعت دونك العلوم أنت الله الحي القيوم الدائم الديموم قد ترى ما أنت به عليم وفيه حكيم وعنه حلیم وأنت بالتناصر على كشفه والعون على كفه غير ضائق وإليك مرجع كل أمر كما عن مشيتك مصدرة وقد أبنت عن عقود كل قوم وأخفيت سرائر آخرين وأمضيت ما قضيت وأخرت ما لا فوت عليك فيه وحملت العقول ما تحملت في غيبك ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإنك أنت السميع العليم الأحد البصير وأنت الله المستعان وعليك التوكل وأنت ولي من توليت لك الأمر كله تشهد الانفعال وتعلم الاختلال وترى تحاذل أهل الجبال [الفساد] وجنوحهم إلى ما جنحوا إليه من عاجل فان وحطام

(١) مهج الدعوات ومنهج العبادات، السيد ابن طاووس، (د. ط) : ٤٧

عقباه حميم آن وقعود من قعد وارتداد من ارتد وخلوي من النصار وانفرادي
عن الظهار وبك أعتصم وبحبك أستمسك وعليك أتوكل اللهم فقد تعلم أني
ما ذخرت جهدي ولا منعت وجدي حتى أنفل حدي وبقيت وحدي فاتبعت
طريق من تقدمني في كف العادية وتسكين الطاغية عن دماء أهل المشايعة
وحرست ما حرسه أوليائي من أمر آخري ودنيائي فكنت ككظمهم أكظم
وبنظامهم أنتظم ولطريقتهم أتسنم وبميسمهم أتسم حتى يأتي نصرك وأنت
ناصر الحق وعونه وأن بعد المدى عن المرتاد ونأى الوقت عن إفناء الأضداد
اللهم صل على محمد وآله وأمزجهم مع النصاب في سرمد العذاب وأعم عن
الرشد أبصارهم وسكعهم في غمرات لذاتهم حتى تأخذهم بغتة وهم غافلون
وسحرة وهم نائمون بالحق الذي تظهره واليد التي تبطش بها والعلم الذي
تبديه إنك كريم عليم^(١)

مَنْ يطالع الدعاء يجد فيه فنون البلاغة من علم المعاني والبيان والبدیع،
ولا يسع المقام لرصد كل تلك الفنون بجملها، فنتركها للقارئ الذي لديه المام
بعلم البلاغة.

و كذا دعاؤه في قنوته (اللهم إنك الرب الرؤف الملك العطوف المتحنن
المألوف وأنت غياث الحيران الملهوف ومرشد الضال المكفوف تشهد خواطر

(١) مهج الدعوات ومنهج العبادات: ٢٩٧.

أسرار المسرين كمشاهدتك أقوال الناطقين أسألك بمغيبات علمك في بواطن
أسرار سرائر المسرين إليك أن تصلي على محمد وآله صلاة يسبق بها من اجتهد
من المتقدمين ويتجاوز فيها من يجتهد من المتأخرين وأن تصل الذي بيننا وبينك
صلة من صنعته لنفسك واصطنعته لغيرك فلم تتخطفه خاطفات الظنن ولا
واردات الفتن حتى نكون لك في الدنيا مطيعين وفي الآخرة في جوارك
خالدين^(١)

بهذا الدعاء العظيم ننهي هذا المبحث عن بلاغة الإمام، وما ذكرناه ما هو
إلا نماذج وأمثلة كشواهد، وإلا جمع تلك الكنوز العظيمة من الخطب والوصايا
والحكم يحتاج إلى مؤلف بتمامه.

المبحث الثامن: الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين

المبحث الثامن: الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين ١٣٣

إن اجتماع السقيفة غصب الخلافة عن أمير المؤمنين عليه السلام، مما جعله يعيش خمس وعشرين سنة مقصي عنها، ولا نفصل القول في ذلك، بل نورد الخطبة الشقشقة والتي ذكرها الشريف الرضي في نهج البلاغة، وما يميزها أنها تختصر تلك الأحداث بلسان أمير المؤمنين عليه السلام إذ قال: (أما والله لقد تقمصها فلان وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده، ثم تمثل بقول الأعشى:

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

فيا عجباً بينا هو يستقيها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر لكني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا فصغى رجل

منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن إلى أن قام ثالث القوم نافجا
 حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة
 الربيع إلى أن انتكث فتله وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعني إلا
 والناس كعرف الضبع إلي يتثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسان.
 وشق عطفائي مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة
 ومرقت أخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: (تلك
 الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة
 للمتقين) بلى والله لقد سمعوها ووعوها. ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم
 وراقهم زبرجها أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام
 الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا
 سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم
 دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز (قالوا) وقام إليه رجل من أهل السواد
 عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فأقبل ينظر فيه قال له ابن
 عباس رضي الله عنهما يا أمير المؤمنين لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت
 فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرأ قال ابن عباس: فوالله
 ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام

بلغ منه حيث أراد^(١)

إن تقمص أبي بكر للخلافة، وخلفها لعمر بعده، وما صيرها عمر بالشورى لعثمان، كل ذلك بيّنه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذه الخطبة فكان وثيقة تاريخية ترصد تلك الحقبة، وعاش الإمام الحسن عليه السلام تلك الظلمات، وخذلان الأمة لخليقة رسول الله الشرعي أبيه أمير المؤمنين عليهما، ولأدور الإمام الحسن عليه السلام في عهد خلافة بيها نسلط عليه الضوء هنا فنقول:

بعدما بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة خطب خطبة وأجاب على مسائل القوم، وخطب بعده ابنه الإمام الحسن وبعده الإمام الحسين عليهما، وتفصيل ذلك كما ذكره الصدوق إذ روى عن: (الأصبغ بن نباتة، قال: لما جلس علي عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس، خرج إلى المسجد متعمما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله، لابسا بردة رسول الله صلى الله عليه وآله متعللا نعل رسول الله صلى الله عليه وآله، متقلدا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله فصعد المنبر، فجلس عليه متمكنا، ثم شبك بين أصابعه، فوضعها أسفل بطنه، ثم قال: يا معشر الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سبط العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا ما زقني رسول الله صلى الله عليه وآله زقا زقا، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي وسادة، فجلست عليها، لأفتيت

(١) نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، جمع الشريف الرضي، شرح محمد عبده، دار الذخائر،

أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟ ولولا آية في كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وبما يكون، وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) ثم قال عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو سألتُموني عن آية آية، في ليل أنزلت، أو في نهار أنزلت، مكيتها ومدنيها، سفرها وحضرها، ناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، إلا أخبرتكم. فقال إليه رجل يقال له ذعلب، وكان ذرب اللسان، بليغا في الخطب، شجاع القلب، فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة، لأخجلنه اليوم لكم في مسألتني إياه. فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك؟ فقال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره. قال: فكيف رأيته؟ صفه لنا. قال: ويلك! لم تره العيون بمشاهدة الابصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان، ويلك يا ذعلب، إن ربي لا يوصف بالعبء ولا بالحركة ولا بالسكون، ولا بقيام - قيام انتصاب - ولا بجيئة ولا بذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف باللفظ، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف

المبحث الثامن: الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين ١٣٧

بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقّة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسة، قائل لا بلفظ، هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كل شيء ولا يقال شيء فوقه، أمام كل شيء ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج. فخر ذعلب مغشيا عليه، ثم قال: تا لله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها. ثم قال عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني. فقام إليه الأشعث بن قيس، فقال: يا أمير المؤمنين، كيف تؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب، ولم يبعث إليهم نبي؟ فقال: بلى يا أشعث، قد أنزل الله عليهم كتابا، وبعث إليهم نبيا، وكان لهم ملك سكر ذات ليلة، فدعا بابتته إلى فراشه فارتكبها، فلما أصبح تسامع به قومه، فاجتمعوا إلى بابه، فقالوا: أيها الملك، دنست علينا ديننا فأهلكته، فاخرج نظهرك ونقم عليك الحد. فقال لهم: اجتمعوا واسمعوا كلامي، فإن يكن لي مخرج مما ارتكبت وإلا فشأنكم. فاجتمعوا، فقال لهم: هل علمتم أن الله عز وجل لم يخلق خلقا أكرم عليه من أبينا آدم وأمنا حواء؟ قالوا: صدقت أيها الملك. قال: أفليس قد زوج بنيه من بناته، وبناته من بينه؟ قالوا: صدقت، هذا هو الدين، فتعاقدوا على ذلك، فمحا الله ما في صدورهم من العلم، ورفع عنهم الكتاب، فهم الكفرة، يدخلون النار بلا حساب، والمنافقون أشد حالا منهم. فقال الأشعث: والله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها أبدا. ثم قال عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني. فقام إليه رجل من

أقصى المسجد، متوكتاً على عكازة، فلم يزل يتخطى الناس حتى دنا منه فقال: يا أمير المؤمنين، دلني على عمل إذا أنا عملته نجاني الله من النار. فقال له: اسمع يا هذا، ثم افهم، ثم استيقن، قامت الدنيا بثلاثة: بعالم ناطق مستعمل لعلمه، وبغني لا يبخل بماله على أهل دين الله عز وجل، وبفقر صابر، فإذا كتم العالم علمه، وبخل الغني، ولم يصبر الفقير، فعندها الويل والثبور، وعندها يعرف العارفون بالله أن الدار قد رجعت إلى بدئها، أي إلى الكفر بعد الإيمان. أيها السائل، فلا تغترن بكثرة المساجد، وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتى. أيها الناس، إنما الناس ثلاثة: زاهد، وراغب، وصابر، فأما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه، ولا يحزن على شيء منها فات، وأما الصابر فيتمناها بقلبه، فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها، وأما الراغب فلا يبالي من حل أصابها أم من حرام. قال: يا أمير المؤمنين، فما علامة المؤمن في ذلك الزمان؟ قال: ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حق فيتولاه، وينظر إلى ما خالفه فيتبرأ منه وإن كان حبيباً قريباً. قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين، ثم غاب الرجل فلم نره، وطلبه الناس فلم يجدوه، فتبسم علي عليه السلام على المنبر ثم قال: ما لكم، هذا أخي الخضر عليه السلام. ثم قال عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني. فلم يقم إليه أحد، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال للحسن عليه السلام: يا حسن، قم فاصعد المنبر، فتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي، فيقولون: إن الحسن لا يحسن شيئاً. قال الحسن عليه السلام: يا أبة، كيف

المبحث الثامن: الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين ١٣٩

أصعد وأتكلم وأنت في الناس تسمع وترى ؟ قال: بأبي وأمي أوارى نفسي عنك، وأسمع وأرى ولا تراني. فصعد الحسن عليه السلام المنبر، فحمد الله بمحامد بليغة شريفة، وصلى على النبي وآله صلاة موجزة، ثم قال: أيها الناس، سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وهل تدخل المدينة إلا من بابها، ثم نزل، فوثب إليه علي عليه السلام فتحمله، وضمه إلى صدره. ثم قال للحسين عليه السلام: يا بني، قم فاصعد فتكلم بكلام لا تجهلك قریش من بعدي، فيقولون: إن الحسين بن علي لا يبصر شيئاً، وليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك، فصعد الحسين عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه وآله صلاة موجزة، ثم قال: معاشر الناس، سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: إن علياً مدينة هدى، فمن دخلها نجاً، ومن تخلف عنها هلك. فوثب علي عليه السلام فضمه إلى صدره وقبله، ثم قال: معاشر الناس، اشهدوا أنهما فرخا رسول الله ﷺ ووديعته التي استودعنيها، وأنا استودعكموها. معاشر الناس، ورسول الله ﷺ سائلكم عنهما^(١)

تضمنت هذه الرواية أمور منها:

١. خروج أمير المؤمنين عليه السلام لابساً زي رسول الله ﷺ بعمامته وبردته ونعله وسيفه كل ذلك ليلقي الحجة على القوم وأنه نفس رسول الله وأحق

(١) الأماي، الشيخ الصدوق، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ، ط ١: ٤٢٢ — ٤٢٥

القوم بالخلافة.

٢. إن رسول الله ﷺ قد زقّ أمير المؤمنين (عليه السلام) العلم زقا، لذا يبين لهم الأمير أنه أعلم بالتوراة والإنجيل والقرآن، ويطلب من القوم أن يسألوه قبل أن يفقدوه.

٣. إن ذعلب الخطيب توهم أنه يخجل أمير المؤمنين (عليه السلام) بسؤاله: هل رأيت ربك؟ واندesh بالجواب فخر مغشيا عليه...

٤. سؤال الأشعث بن قيس عن سبب أخذ الجزية من المجوس معتقدا أنهم بدون نبي وهذا لا يجوز في الشرع، فأجابه أمير المؤمنين (عليه السلام) بجواب جعله متحيرا ويقسم أنه لا يعود لمثلها أبدا.

٥. سؤال رجل عن عمل ينجيه من النار؟ لا يكون من أولئك القوم الجاهلين، بل هو سؤال الخضر (عليه السلام)، وقد أجابه أمير المؤمنين (عليه السلام) بأبلغ جواب.

٦. طلب أمير المؤمنين (عليه السلام) من الإمام الحسن عليه أن يلقي خطابا ليكون حجة على القوم، وكان الابن يهاب أبيه، فقال له: اسمع وأرى ولا تراني، فخطب الإمام خطبة بليغة، جعل أمير المؤمنين يحمله ويضمه إلى صدره رغم أنه في سن الشباب.

٧. وتكرر الأمر مع الإمام الحسين (عليه السلام) فخطب في القوم فأخذه أمير المؤمنين (عليه السلام) وضمه ل صدره.

المبحث الثامن: الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين..... ١٤١

٨. إن الإمام علي عليه السلام طلب من الحسين عليه السلام أن يخطباً لأن هناك أعداء يسعون لإسقاط محلها عند الناس، ويكون ذلك بجهد أكبر بعد رحيل أبيهما، لأنهم يعلمون أنهما الوريثان الشرعيان لأبيهما وجدتهما، وهذا يوضح محاولة قريش أن تهدم الإمامة عن الحسين^(١)

٩. إن موقف أمير المؤمنين عليه السلام تدل على أنه يستشرف المستقبل ويعلم الغيب ويعرف مسارات الأمور، ويعرف تفكير الأعداء وتخطيطهم ومكرهم الشيطاني، ولذلك يخطط لإفشال هذا المكر، برفع مستوى الوعي والإدراك وإيضاح الأمور للناس.^(٢)

١٠. إن الحسين عليه السلام ابنا رسول الله وهذا ما سيحاول أعداؤهما إنكاره، وأنهما وديعتا رسول الله صلى الله عليه وآله عند أمير المؤمنين عليه السلام ولا بد من حفظ الوديعة، وفي إشارة إلى الخطر الذي يهددهما.^(٣)

ولم تستقر الدولة لأمر المؤمنين بعد البيعة، فبينما كان الإمام علي عليه السلام يتهياً لمواجهة معاوية لما تمرد على حكومته ورفض البيعة، جاء خبر هيجان أهل مكة بتحريض من عائشة وطلحة والزبير والأمويين يطالبون بدم عثمان، وعندها انشقت الكلمة واختلف المسلمون، ويمثل معاوية الخطر الأكبر، فعمد

(١) ينظر: سيرة الحسن في الحديث والتاريخ: ١٥ / ٦

(٢) المصدر نفسه: ١٦ / ٦

(٣) المصدر نفسه

أمير المؤمنين (عليه السلام) للإقامة بالربذة أياما، وأوفد لأهل الكوفة بكتاب بيد محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر جاء فيه: (إني اخترتكم على الأمصار، وفزعت إليكم لما حدث، فكونا لدين الله أعوانا وأنصارا، وأيدونا وانهضوا إلينا، فالإصلاح ما نريده لتعود الأمة أخوانا، ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحق ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وأغمضه) وعرض الرسولان الكتاب على أبي موسى الأشعري والي الكوفة فلم يستجب لهما، فأرسل أمير المؤمنين (عليه السلام) هاشم المرقال لكنه لم يؤثر في الأشعري بسبب إصراره وتمرده^(١)

إن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) علم أنه لا يكون كفوا لمهمة عزل الأشعري سوى ابنه الإمام الحسن (عليه السلام)، لذا أرسله مع عمار بن ياسر لعزل الأشعري عن إمارة الكوفة، وبعدما وصلا الكوفة وجرى حوار بين عمار والأشعري، خطب الإمام الحسن (عليه السلام) قائلا: (أيها الناس قد كان في مسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ورؤوس العرب، وقد كان من طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بعائشة ما قد بلغكم، وتعلمون أن وهن النساء وضعف رأيهن إلى التلاشي، ومن أجل ذلك جعل الله الرجال قوامين على النساء، وأيم الله لو لم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار كفاية، فانصروا الله ينصركم) فما كان من الأشعري إلا أن يثبط الناس، ويدعوهم للقعود، فرد

(١) ينظر: اعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي: ٨٤ / ٤ - ٨٥

المبحث الثامن: الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين ١٤٣

عليه الإمام الحسن عليه السلام: (اعتزل عملنا أيها الرجل، وتنحّ عن منبرنا لا أم لك) وقام الإمام عليه السلام خطيباً بالناس فقال لهم: (أيها الناس أجيئوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد إلى هذا الأمر من ينفر إليه، والله لئن يليه اولو النهى أمثل في العاجل والآجل وخير في العاقبة، فأجيئوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتكم، وأن أمير المؤمنين يقول: قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً، وأني أذكر الله رجلاً رعى حق الله إلا نفر، فإن كنت مظلوماً أعاني، وإن كنت ظالماً أخذ، والله إن طلحة والزبير لأول من بايعني، وأول من غدرا، فهل استأثرت بمال أو بدلت حكماً فانفروا وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر) فكان هذا الخطاب البليغ مؤثراً في نفوس أهل الكوفة فاستجابوا للإمام عليه السلام، أما الأشعري فقد أخرج ماله الأشتر من القصر ليتم الأمر بخير، وعجت الكوفة بالنفير وساروا تحت قيادة الإمام عليه السلام وهم ألاف والتقوا بأمر المؤمنين عليه السلام في ذي قار^(١).

إن إرسال الإمام الحسن عليه السلام لأهل الكوفة وسيرهم تحت قيادته، إنما هو تخطيط أمير المؤمنين عليه السلام ليكون أهل الكوفة بمعرفة بالإمام وحنكة قيادته، وتمهيدا ليقود الدولة الإلهية من بعده، لئلا يعترضوا مستقبلاً ويشككوا في القائد فيخسروا ويكونوا ضحية الاعلام المضلل والتدليس.

(١) ينظر: اعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي: ٤ / ٨٧ — ٨٩

و مع بلاغة الإمام عليه السلام وقيادته الإلهية إلا أن بعض مرضى النفوس من أهل الكوفة شككوا في الإمام عليه السلام، فقد نقل العلامة المجلسي: (طعن أقوام من أهل الكوفة في الحسن بن علي عليهما السلام فقالوا: إنه عي لا يقوم بحجة، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعا الحسن فقال: يا ابن رسول الله إن أهل الكوفة قد قالوا فيك مقالة أكرهها ؟ قال: وما يقولون يا أمير المؤمنين ؟ قال: يقولون: إن الحسن بن علي عي اللسان لا يقوم بحجة، وإن هذه الأعواد فأخبر الناس فقال: يا أمير المؤمنين لا أستطيع الكلام وأنا أنظر إليك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام إني متخلف عنك فناد أن الصلاة جامعة، فاجتمع المسلمون فصعد عليه السلام المنبر فخطب خطبة بليغة وجيزة فضج المسلمون بالبكاء ثم قال: أيها الناس اعقلوا عن ربكم إن الله عز وجل اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم، فنحن الذرية من آدم والأسرة من نوح، والصفوة من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، وآل من محمد عليه السلام نحن فيكم كالسما المرفوعة، والأرض المدحوة، والشمس الضاحية، وكالشجرة الزيتون، لا شرقية ولا غربية التي بورك زيتها، النبي أصلها، وعلي فرعها، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن تخلف عنها إلى النار هوى، فقام أمير المؤمنين من أقصى الناس يسحب رداءه من خلفه حتى علا المنبر مع الحسن عليه السلام فقبل بين عينيه، ثم قال: يا ابن رسول الله أثبت على القوم حجتك وأوجب عليهم طاعتك، فويل لمن

خالفك^(١)

أنها الحجة الدامغة على أهل الكوفة وعلى كل من يشكك، وقد فصلنا القول في مبحث بلاغة الإمام مع ذكر الشواهد من خطبه ووصاياہ وأدعيته.

إن جيش الحق بقيادة أمير المؤمنين عليه السلام وولده الإمام الحسن عليه قد ألتقى بجيش الضلال جيش عائشة، ولم تنفع كتب الإمام عليه السلام في دعوة عائشة وطلحة والزبير لحقن الدماء، ومع وجود عبد الله بن الزبير كان التحريض أشد على الفتنة وإراقة الدماء، وقد قام خطيبا في جموع البصريين وأخذ يفترى على أمير المؤمنين عليه السلام بأنه قتل عثمان، وجهزه الجيوش لقتال أهل البصرة... ولما بلغ أمير المؤمنين خطاب ابن الزبير، أوعز للإمام الحسن عليه السلام بالرد عليه، فقام عليه السلام وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (قد بلغتنا مقالة ابن الزبير في أبي وقوله فيه: إنه قتل عثمان، وأنتم يا معشر المهاجرين والأنصار وغيرهم من المسلمين، غلتم بقول الزبير في عثمان، وما كان اسمه عنده، وما كان يتجنى عليه، وأن طلحة يومذاك ركز رايته على بيت ماله وهو حي، فأنى لهم أن يرموا أبي بقتله وينطقوا بدمه، ولو شئنا القول فيهم لقلنا. وأما قوله: أن عليا ابتز الناس أمرهم، فإن أعظم حجة لأبيه زعم أنه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه، فقد أقر بالبيعة وأدعى الوليعة، فليأت على ما ادعاه ببرهان وأنى له ذلك؟ وأما تعجبه من

تورد أهل الكوفة على أهل البصرة فما عجبه من أهل حق توردوا على أهل الباطل، أما أنصار عثمان فليس لنا معهم حرب ولا قتال، ولكننا نحارب راكبة الجمل وأتباعها^(١)

إن الإمام أمير المؤمنين ببعث الإمام الحسن (عليه السلام) ليرد على ابن الزبير ليلقي عليه وعلى أهل البصرة الحجة، وقد فند الإمام (عليه السلام) في خطابه جميع الافتراءات التي قالها ابن الزبير، بل كشف مطامعهم وأنهم ركزوا رأيهم على بيت مال عثمان وهو حي، والزبير بايع بيده ولم يبايع بقلبه، وكل هذا وهم يدافعون عن عثمان ويطالبون بدمه؟!.

و بعد أن وضعت الحرب أوزارها بقي أمير المؤمنين (عليه السلام) شهرا في البصرة، ثم غادر إلى الكوفة م خلفا عبد الله بن عباس عليها، وبعد أن ثبت أمير المؤمنين (عليه السلام) الولاية ونظم الأمور جهز العدة لمواجهة معاوية بعد أن كان هناك مراسلة كتب بينهما^(٢).

و كما كان للإمام الحسن (عليه السلام) الدور الكبير في معركة الجمل، فقد استنفر المسلمين في الكوفة، واستمر في مسؤوليته الإعلامية التوجيهية لدرء الدعايات الباطلة والافتراءات المزعومة، كذلك كان له الدور الكبير في مواجهة معاوية

(١) اعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي: ٤ / ٨٩ - ٨٩ .

(٢) المصدر نفسه: ٩٠

المبحث الثامن: الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين ١٤٧

في عهد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك في معركة صفين، تلك الحرب التي أزهرت فيها أرواح عشرات الألوف من المسلمين، حتى ضجت الصحاري بالأشلاء، كل ذلك بسبب معاوية اللعين وامتناعه عن بيعه أمير المؤمنين عليه السلام ليتسلط على رقاب الناس بالظلم والعدوان^(١).

و جد الناس ونشطوا وتأهبوا، فسار علي عليه السلام بالناس من الكوفة في مئة ألف وتسعين ألفاً، فجعل على المقدمة الأشتر النخعي، وعلى ساقته شريح بن هانئ، وعلى المهاجرين والأنصار محمد بن أبي بكر، وعلى أهل البصرة عبد الله بن عباس، وعلى الكوفة عبد الله بن جعفر، وعلى جماعة الخيل عمار بن ياسر، وعلى القلب الحسن بن علي^(٢) وموقع الإمام الحسن عليه السلام في القلب يدل على قيادته وشجاعته في الحرب، فهو وريث جده وأبيه صلى الله عليهما وآلهما.

وما أن احتشد الجيشان في تلك الصحرى صفين، قام أمير المؤمنين عليه السلام خطيباً في الجيش قائلاً: (الله قد أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته، فانصبوا أنفسكم في أداء حقه، وتنجزوا موعوده، واعلموا أن الله جعل أُمَراس الإسلام متينة، وعراه وثيقة، ثم جعل الطاعة حظ الأنفس برضا الرب، وغنيمة

(١) ينظر: سيرة الأئمة الأثني عشر، الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار المؤرخ العربي، بيروت،

لبنان، ٢٠١٢م: ط١: ١/ ١٦٢

(٢) ينظر: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، انتشارات الشريف الرضي، قم،

١٤١٣هـ، ط١: ١/ ١٢٤

الأكياس عند تفريط الفجرة. وقد حملت أمر أسودها وأحمرها، ولا قوة إلا بالله. ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سفه نفسه، وتناول ما ليس له وما لا يدركه: معاوية وجنده، الفئة الباغية الطاغية، يقودهم إبليس، ويبرق لهم ببارق تسويفه، ويدليهم بغروره. وأنتم أعلم الناس بحلاله وحرامه، فاستغنوا بما علمتم، واحذروا ما حذرکم الله من الشيطان، وارغبوا فيما أنالکم من الأجر والكرامة، واعلموا أن المسلوب من سلب دينه وأمانته، والمغرور من أثر الضلالة على الهدى. فلا أعرف أحدا منكم تقاعس عني وقال: في غيري كفاية، فإن الذود إلى الذود إبل، ومن لا يزد عن حوضه يتهدم. ثم إني آمرکم بالشدة في الأمر، والجهاد في سبيل الله، وألا تغتابوا مسلما. وانتظروا النصر العاجل من الله إن شاء الله) (١).

إن أمير المؤمنين (عليه السلام) وضح سبب الحرب بأن معاوية ومن اتبعه هم فئة باغية، ويجب قتالهم بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْ بَعِثَةِ الْيَوْمِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتُلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقْتُلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ الحجرات: ٩، وأن هذه الفئة يقودها الشيطان ويدليهم بغروره.

(١) وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري، المؤسسة العربية الحديثة للطباعة، القاهرة، ١٣٨٢، ط ٢:

المبحث الثامن: الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين..... ١٤٩

و بعد هذا الخطاب قام الإمام الحسن بن علي خطيباً فقال: (الحمد لله لا إله غيره، وحده لا شريك له، وأثنى عليه بما هو أهله. ثم قال: إن مما عظم الله عليكم من حقه، وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره، ولا يؤدي شكره، ولا يبلغه صفة ولا قول. ونحن إنما غضبنا الله ولكم، فإنه من علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءه وبلاءه ونعماءه قولاً يصعد إلى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفة الصدق، يصدق الله فيه قولنا، ونستوجب فيه المزيد من ربنا، قولاً يزيد ولا يبيد، فإنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم، واستحكمت عقيدتهم. فاحتشدوا في قتال عدوكم: معاوية وجنوده، فإنه قد حضر. ولا تحاذلوا، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب، وإن الإقدام على الأسنة نجدة وعصمة، لأنه لم يمتنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة، وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم الملة والصلح تأخذ منه ما رضيت [به] والحرب يكفيك من أنفاسها جرع)^(١)

في خطاب الإمام الحسن عليه السلام تناص مع خطاب أبيه، فقد دعا القوم لقتال معاوية، وأن يشتد أمرهم ويستحكموا عقيدتهم.

و ظن معاوية بعد أن عرف موقع الإمام الحسن عليه السلام وقيادته أنه يستطيع يأثر عليه ويمنه، فأرسل له عبيد الله بن عمر إذ قال له: (إن أباك قد وتر قريشا

أولا وآخرا، وشئووه فهل لك أن تخلفه ونوليك هذا الأمر؟! فأجاب الإمام الحسن (عليه السلام): (كلا والله لا يكون ذلك... لكأني أنظر إليك مقتولا في يومك أو غدك، أما إن الشيطان قد زين لك وخدعك حتى أخرجك مخلقا بالخلق وترى نساء أهل الشام موقوفك، وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلا) ورجع عبيد الله يجر أذيال الخيبة وهو خاسر حسير، فقال له معاوية (إنه ابن أبيه) وخرج عبيد الله يقاتل فلقي حتفه على يد رجل من قبيلة همدان، فتحقق ما قاله الإمام الحسن (عليه السلام).^(١)

و لم تكن حرب صفين على وتيرة واحدة، بل كانت مناوشات بين الجيشين، وأول مواجهة اتخذت شكل الالتحام العام رأى أمير المؤمنين (عليه السلام) ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) وهو يشد على أهل الشام، فقال لمن حوله: (املكوا عني هذا الغلام لا يهديني فإنني أنفُس بهذين الغلامين لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله)^(٢)

و يعلم من ذلك شجاعة الإمام الحسن (عليه السلام) وبسالته في الحرب. و ما هي إلا شهور مضت على المواجهة بين الجيشين، أوشك جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يحقق النصر ويدحر معاوية، لولا دهاء الملعون عمر بن

(١) اعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي: ٩٣ - ٩٤

(٢) المصدر نفسه: ٩٤ - ٩٥

العاص عندما دعا جيش معاوية لرفع المصاحف والمطالبة بالتحكيم، وصرح أمير المؤمنين عليه السلام بأنها كلمة حق يراد بها باطل، لكن جهل القوم وضغطهم جعل أبا موسى الأشعري يمثلهم وعمرو بن العاص يمثل الشاميين، وما أن خدع ابن العاص الأشعري تبين للقوم جهلهم، فأعدوا التحكيم خطأ فادحا فرفعوا شعار لا حكم إلا لله، ومن هنا بدأت البذرة الأولى للخوارج لعنهم الله. ولكي يوضح أمير المؤمنين عليه السلام الحق للقوم ويبطل حكم الأشعري وابن العاص بالدليل والبرهان، قال لابنه الإمام الحسن عليه السلام: قم يا بني فقل في هذين الرجلين... فقام الإمام الحسن عليه السلام خطيبا قائلا: (أيها الناس قد أكثرتم في هذين الرجلين، وإنما بعثنا ليحكم بالكتاب على الهوى، فحكمنا بالهوى على الكتاب، ومن كان هكذا لم يسم حكما ولكنه محكوم عليه، وقد أخطأ عبد الله ابن قيس إذ جعلها لعبد الله بن عمر فأخطأ في ثلاث خصال: واحدة أنه خالف أباه إذ لم يرضه لها ولا جعله من أهل الشورى، وأخرى أنه لم يستأمر في نفسه، وثالثها أنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يعقدون الإمارة ويحكمون بها على الناس. وأما الحكومة فقد حكم النبي صلى الله عليه وآله سعد بن معاذ في بني قريظة فحكم بما يرضى الله به، ولا شك لو خالف لم يرضه رسول الله صلى الله عليه وآله المقصود بعبد بن قيس في قول الإمام عليه السلام هو أبو موسى الأشعري، وعرض الإمام في خطابه النقاط الرئيسية الحساسة التي تمثل محور النزاع والفتنة، فذكر أن المختار للتحكيم إنما يتبع هواه وقوله، وأبو موسى غير خاضع للحق فقد اتبع هواه في

اختيار عبد الله بن عمر للخلافة، مع أن أباه كان لا يراه أهلاً لذلك، وذكر الإمام (عليه السلام) أن التحكيم مشروع كتحكيم رسول الله (صلى الله عليه وآله) لسعد بن معاذ في بني قريظة، ومع هذه الحجج الدامغة رفض الخوارج^(١)

و عندما رجع الإمام علي (عليه السلام) من صفين وفي منطقة حاضرين وجه وصية لابنه الإمام الحسن (عليه السلام) جاء فيها: (من الوالد الفان المقر للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدهر الدام للدينا، الساكن مساكن الموتى. والظاعن عنها غدا إلى المولود المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام ورهينة الأيام. ورمية المصائب وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا وأسير الموت وحليف الهموم وقرين الأحزان ونصب الآفات وصريع الشهوات، وخليفة الأموات أما بعد فإن فيما تبينت من إدبار الدنيا عني وجموح الدهر علي وإقبال الآخرة إلى ما يزعني عن ذكر من سواي، والاهتمام بما ورائي، غير أني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي، فصدفني رأبي وصرفني عن هواي، وصرح لي محض أمري فأفضى بي إلى جد لا يكون فيه لعب، وصدق لا يشوبه كذب. ووجدتك بعضي بل ووجدتك كلي حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وكأن الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعينني من أمر نفسي فكتبت إليك

(١) ينظر: اعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي: ٤ / ٩٥ - ٩٧، نقلاً عن حياة الإمام الحسن،

للشيخ القرشي.

المبحث الثامن: الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين..... ١٥٣

مستظهدا به إن أنا بقيت لك أو فنت فيني أوصيك بتقوى الله أي بني ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به ؟ أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوه باليقين، ونوره بالحكمة، وذكه بذكر الموت، وقرره بالفناء، وبصره فجائع الدنيا، وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا وأين حلوا ونزلوا، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة، وحلوا ديار الغربه، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم فاصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك. ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لم تكلف وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته فإن الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال. وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك وبأين من فعله بجهدك وجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم وخض الغمرات للحق حيث كان، وتفقه في الدين، وعود نفسك التصبر على المكروه ونعم الخلق التصبر. وألجئ نفسك في الأمور كلها إلى إلهك فإنك تلجئها إلى كهف حرير، ومانع عزيز وأخلص في المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان، وأكثر الاستخارة وتفهم وصيتي ولا تذهبن عنها صفحا فإن خير القول ما نفع. واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع، ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه، أي بني إني لما رأيته قد بلغت سنا، ورأيتني أزداد وهنا بادرت بوصيتي إليك،

وأوردت خصالاً منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي،
وأن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي، أو يسبقني إليك بعض غلبات
الهمى وفتن الدنيا، فتكون كالصعب النفور وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية
ما ألقى فيها من شئ قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشغل لبك
لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفأك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون
قد كفيت مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة، فأناك من ذلك ما قد كنا
نأتيه، واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه، أي بني إني وإن لم أكن عمرت عمر
من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم
حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى
آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من
كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله، وصرفت عنك مجهوله، ورأيت حيث عناني
من أمرك ما يعني الوالد الشفيق وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت
مقبل العمر ومقتبل الدهر، ذو نية سليمة ونفس صافية، وأن أبتدئك بتعليم
كتاب الله وتأويله، وشرائع الاسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أجاوز ذلك
بك إلى غيره، ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم
وآرائهم مثل الذي التبس عليهم، فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك
له أحب إلي من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك به الهلكة، ورجوت أن يوفقك
الله فيه لرشدك، وأن يهديك لقصدك، فعهدت إليك وصيتي هذه واعلم يا بني

أن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آباءك، والصالحون من أهل بيتك، فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر، وفكروا كما أنت مفكر، ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم، لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات. وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بإلهك والرغبة إليه في توفيقك وترك كل شائبة أو لجتك في شبهة، أو أسلمتك إلى ضلالة. فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع، وتم رأيك فاجتمع، وكان همك في ذلك هما واحدا فانظر فيما فسر لك. وإن أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك، وفراغ نظرك وفكرك فاعلم أنك إنما تحبط العشواء وتتورط الظلماء، وليس طالب الدين من خبط أو خلط، والامساك عن ذلك أمثل، فتفهم يا بني وصيتي، وأعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة، وأن الخالق هو المميت، وأن المفني هو المعيد، وأن المبتي هو المعافي، وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء، والابتلاء، والجزاء في المعاد أو ما شاء مما لا نعلم، فإن أشكل عليك شئ من ذلك فاحمله على جهالتك به فإنك أول ما خلقت خلقت جاهلا ثم علمت وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك، ثم تبصره بعد ذلك. فاعتصم بالذي خلقتك ورزقك وسواك، وليكن له تعبدك وإليه رغبتك ومنه شفقتك، واعلم يا بني أن أحدا لم ينبئ عن الله كما أنبأ عنه

الرسول ﷺ، فارض به رائدا، وإلى النجاة قائدا، فإني لم ألك نصيحة، وإنك لم تبلغ في النظر لنفسك وإن اجتهدت مبلغ نظري لك واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضاده في ملكه أحد، ولا يزول أبدا، ولم يزل أول قبل الأشياء بلا أولية، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية عظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر، فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره، وقلة مقدرته، وكثرة عجزه، وعظيم حاجته إلى ربه في طلب طاعتك، والرغبة من عقوبته، والشفقة من سخطه، فإنه لم يأمرك إلا بحسن ولم ينهك إلا عن قبيح يا بني إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزواها وانتقالها، وأنبأتك عن الآخرة وما أعد لأهلها فيها، وضربت لك فيهما الأمثال لتعتبر بها وتحذو عليها. إنما مثل من خبر الدنيا كمثّل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فأموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا، فاحتملوا وعشاء الطريق وفراق الصديق، وخشونة السفر، وجشوبة المطعم ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم، فليس يجدون لشيء من ذلك ألما، ولا يرون نفقة مغرما، ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم، وأدناهم من محلهم ومثل من اغتر بها كمثّل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم إلى منزل جديب، فليس شيء أكره إليهم ولا أفضع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما

المبحث الثامن: الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين..... ١٥٧

تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك. واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وأرض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك. ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب، فاسع في كدحك ولا تكن خازنا لغيرك، وإذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك واعلم أن أمامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة، وأنه لا غنى لك فيه عن حسن الارتياح، قدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر، فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك، وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غدا حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمله إياه، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده، واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك واعلم أن أمامك عقبة كؤودا، المخف فيها أحسن حالا من المثقل، والمبطئ عليها أقبح حالا من المسرع، وأن مهبطك بها لا محالة على جنة أو على نار. فارتد لنفسك قبل نزولك ووطئ المنزل قبل حلولك، فليس بعد الموت مستعتب، ولا إلى الدنيا منصرف. واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء وتكفل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك وتسترحه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعاجلك بالنقمة، ولم يعيرك بالإنابة ولم يفضحك حيث الفضيحة

بك أولى، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة، ولم يناقشك بالجريمة، ولم يؤيسك من الرحمة. بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة، وحسب سيئتك واحدة، وحسب حسنتك عشرا، وفتح لك باب المتاب، فإذا ناديتك سمع نداءك، وإذا ناجيته علم نجواك فأفضيت إليه بحاجتك، وأبشثته ذات نفسك، وشكوت إليه همومك، واستكشفته كروبك، واستعنته على أمورك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطاء غيره من زيادة الاعمار وصحة الأبدان وسعة الأرزاق ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطنك إبطاء إجابته فإن العطية على قدر النية، وربما أخرجت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيرا منه عاجلا أو آجلا، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته. فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله وينفى عنك وباله. فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له واعلم أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا، وللبقاء لا للموت لا للحياة، وأنت في منزل قلعة ودار بلغة، وطريق إلى الآخرة، وأنت طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه، ولا بد أنه مدركه، فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهلكت نفسك يا بني أكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت إليه حتى يأتيك وقد أخذت منه حذر،

المبحث الثامن: الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين..... ١٥٩

وشددت له أزره، ولا يأتيك بغتة فيبهرك، وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، وتكالبهم عليها، فقد نبأك الله عنها، ونعت لك نفسها، وتكشفت لك عن مساوئها، فإنما أهلها كلاب عاوية، وسباع ضارية، يهر ببعضها بعضا، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة، وأخرى مهملة قد أضلت عقولها وركبت مجهولها، سروح عاهة بواد وعث، ليس لها راع يقيمها، ولا مقيم يسيّمها، سلكت بهم الدنيا طريق العمى، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى، فتاهوا في حيرتها، وغرقوا في نعمتها، واتخذوها ربا فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها رويدا يسفر الظلام، كأن قد وردت الأظعان، يوشك من أسرع أن يلحق. واعلم أن من كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن كان واقفا، ويقطع المسافة وإن كان مقيما وادعا، واعلم يقينا أنك لن تبلغ أملك ولن تعدو أجلك، وأنت في سبيل من كان قبلك، فخفض في الطلب، وأجمل في المكتسب فإنه رب طلب قد جر إلى حرب فليس كل طالب بمرزوق، ولا كل مجمل بمحروم وأكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب فإنك لن تعترض بما تبذل من نفسك عوضا، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا وما خير خير^١ لا ينال إلا بشرا، ويسر لا ينال إلا بعسر وإياك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة، وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فإنك مدرك قسمك وأخذ سهمك. وإن اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه وإن كان كل منه

وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك، وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء وحفظ ما في يديك أحب إلى من طلب ما في يد غيرك ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس. والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور والمرء أحفظ لسره، ورب ساع فيما يضره، من أكثر أهجر ومن تفكر أبصر، قارن أهل الخير تكن منهم وباين أهل الشر تبين عنهم بئس الطعام الحرام وظلم الضعيف أفحش الظلم، إذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا، ربما كان الدواء داء والداء دواء، وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح، وإياك واتكالك على المنى فإنها بضائع الموتى، والعقل حفظ التجارب، وخير ما جريت ما وعظك، بادر الفرصة قبل أن تكون غصة، ليس كطالب يصيب، ولا كل غائب يؤوب، ومن الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد، ولكل أمر عاقبة، سوف يأتيك ما قدر لك، التاجر مخاطر، ورب يسير أنمى من كثير، لا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين، ساهل الدهر ما ذل لك قعوده، ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه، وإياك أن تجمع بك مطية اللجاج، أحمل نفسك من أخيك عند صرمة على الصلة، وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنو، وعند شدته على اللين، وعند جرمه على العذر حتى كأنك له عبد وكأنه ذو نعمة عليك، وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه أو أن تفعله بغير أهله، لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك، واحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة. وتجرع الغيظ فإنني لم أر جرعة

أحلى منها عاقبة ولا ألد مغبة ولن لمن غالظك فإنه يوشك أن يلين لك. وخذ على عدوك بالفضل فإنه أحلى الظفرين وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية ترجع إليها إن بدا له ذلك يوما ما ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ولا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه، ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك، ولا ترغبن فيمن زهد فيك، ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الاحسان، ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنه يسعى في مضرته ونفعك، وليس جزاء من سرك أن تسوءه واعلم يا بني أن الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك فإن أنت لم تأته أذاك. ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى ؟ إن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك، وإن جزعت على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل إليك استدل على ما لم يكن بما قد كان فإن الأمور أشباه ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة إلا إذا بالغت في إيلامه، فإن العاقل يتعظ بالآداب والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب. اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين من ترك القصد جار والصاحب مناسب والصديق من صدق غيبه والهوى شريك العناء رب قريب أبعد من بعيد، ورب بعيد أقرب من قريب والغريب من لم يكن له حبيب. من تعدى الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر على قدره كان أبقى له. وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله. ومن لم يبالك فهو عدوك قد يكون اليأس إدراكا إذا كان الطمع هلاكا ليس

كل عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب ، وربما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده، آخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل، من أمن الزمان خانه، ومن أعظمه أهانه، ليس كل من رمى أصاب، إذا تغير السلطان تغير الزمان، سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار، إياك أن تذكر في الكلام ما يكون مضحكا وإن حكيت ذلك عن غيرك، وإياك ومشاورة النساء فإن رأين إلى أفن وعزمهن إلى وهن، واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن فإن شدة الحجاب أبقي عليهن، وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن، وإن اسطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل. ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانه ولا تعد بكرامتها نفسها، ولا تطمعها في أن تشفع بغيرها، وإياك والتغاير في غير موضع غيرة فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب واجعل لكل إنسان من خدمك عملا تأخذه به فإنه أحرى أن لا يتواكلوا في خدمتك، وأكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول. أستودع الله دينك ودنياك. وأسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة. والسلام^(١).

إن هذه الوصية العظيمة فيها عدة أمور:

المبحث الثامن: الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين..... ١٦٣

١. إن الوصية بلسان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام إلا أنها بلغة إياك أعني فاسمعي يا جارة، فالمخاطب الإمام الحسن عليه السلام والمراد به غيره وعموم الأمة.

٢. إن الإمام علي عليه السلام وأن وصف نفسه بالوالد الفان... إلا أن ذلك بلسان الحكيم الذي خبرته الحياة، وهذا لا ينافي عصمه، فهو تواضع منه، وصاغ الوصية بهذا الأسلوب لتكون أكثر تأثيراً في المخاطب.

٣. حشد الإمام علي عليه السلام في وصيته الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة والسجايا الحسنة، والتي ينبغي على كل مؤمن أن يتحلى بها ليكون قدوة حسنة.

٤. أبدأ الإمام علي عليه السلام وصيته بتقوى الله والتي تمثل العماد، وجميع الفضائل تركز عليها...

٥. ذكر الإمام علي عليه السلام في هذه الوصية العظيمة الموت وحال الدنيا والتوحيد والحساب وغيرها لتكون وصية شاملة كاملة.

٦. بعد ذكر تلك الموضوعات والتي ينبغي التحلي بها اختتمت الوصية بالسلام، وهذا بمثابة السلام من الإمام علي عليه السلام لابنه الإمام الحسين عليه السلام، واستشعار أن من يعمل بهذه الوصية فهو في سلام في الدنيا والآخرة.

وما انقضت حرب صفين وما انتجته من تحكيم أدى لبروز نفاق وتمرد الجهلاء والمتظاهرين بالتدين والذين كانوا في جيش أمير المؤمنين عليه السلام فمروا وأصبحوا فرقة عرفت بالخوارج، وبعد أن اتخذوا منطقة النهروان مقراً لهم،

توجه إليهم أمير المؤمنين عليه السلام وألقى الحجة عليهم فلم يهتدوا، ففضى عليهم جميعهم باستثناء أفراد معدودين، ومن بين الناجين عبد الرحمن بن ملجم المراد والذي كان المنفذ للجريمة الكبرى في اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة المعظم سنة أربعين للهجرة^(١).

و كان أمير المؤمنين عليه السلام قد أعد العدة لحرب التصفية مع معاوية، وقد عقد لابنه الإمام الحسن عليه السلام على عشرة آلاف^(٢)، ولكن تخطيط الخوارج ومعاوية بقتل أمير المؤمنين عليه السلام حال دون ذلك.

و لم يترك أمير المؤمنين عليه السلام الأمة إلا بعد أن نص على الخليفة الشرعي بعده والإمام الحسن عليه السلام فقد روي عن: (عن أبان، عن سليم بن قيس قال: شهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمدا وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لابنه الحسن عليه السلام: يا بني أمرني رسول الله ﷺ أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتي وسلاحي كما أوصى إلي رسول الله ﷺ ودفع إلى كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين عليه السلام، ثم اقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال، وأمرك رسول الله ﷺ أن

(١) ينظر: اعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي: ٤/ ١٠٢ - ١٠٣

(٢) ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر: ١/ ١٦٤

المبحث الثامن: الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين..... ١٦٥

تدفعها إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين عليه السلام ثم قال لعلي بن الحسين: وأمرك رسول الله ﷺ أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي وقرأه من رسول الله ﷺ ومني السلام^(١).

إن أمير المؤمنين عليه السلام دفع كتبه وسلاحه للإمام الحسن عليه السلام وأشهد بني هاشم ورؤساء الشيعة وأن ذلك بأمر رسول الله ﷺ، ويكون الأمر من بعده لأخيه الإمام الحسين عليه السلام ومن بعده لابنه الإمام علي السجاد عليه السلام وكان حاضرا عند أمير المؤمنين عليه السلام وأمره أن يكون الأمر من بعده لابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام وأن يبلغه سلام رسول الله ﷺ.

وأخذ الإمام الحسن عليه السلام في تجهيز أبيه بعدما قضى نحبه، فغسله وطيّبه بالحنوط، وأدرجه في أكفانه، وخرج بنعشه ليلا مع حفنة من أصحابه، ودفنه في الغري في النجف الأشرف، ورجع الإمام وقد أستولى عليه الأسى وأحاط به الحزن، وفي صباح الليلة التي دفن فيها أباه خطب الإمام عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ﷺ ثم قال: (لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله ﷺ يوجهه برأيه فيكنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه. ولقد توفي عليه السلام في

الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، وفيها قبض يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم، فضلت عن عطائه أراد أن يتتاع بها خادما لأهله) ثم خنقته العبرة فبكى وبكى معه الناس ثم قال: (أنا ابن البشير أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بأذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، أنا من أهل بيت فرض الله مودتهم في كتابه فقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِضْ حَسَنَةً نَّزَّلَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ الشورى: ٢٣ فالحسنة مودتنا أهل البيت^(١)

إن الإمام الحسن عليه السلام بعد أن رثى أباه بتلك الكلمات الموجزة في اللفظ العظيمة في المعنى، ذكر أنه الوريث الشرعي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأمير المؤمنين عليه السلام، والأمة ملزمة بمودتهم لأنهم ذوي القربى الذين نص الكتاب الكريم على لزوم مودتهم وهذا يمثل أجر رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

A vertical decorative element featuring a central rectangular box with rounded corners. Above and below the box are symmetrical, intricate geometric patterns. The top part consists of a series of pointed, interlocking shapes, while the bottom part features a similar but more complex design with a central diamond shape. The entire pattern is rendered in black and white.

المبحث التاسع: القيادة

القيادة هي الجهة الإنسانية التي تصدر القرار في الحياة السياسية والاجتماعية والدولية وشؤون الحياة بالعامه، وهذه الجهة تتحمل مسؤولية القرار سلبا وإيجابا^(١)

و القيادة السماوية هي الجهة التي تتلقى القرار من السماء لتنفيذه في الأرض، وهي قيادة الرسل والأنبياء والأوصياء عليهم السلام جميعا، ويمكن تمثيل ذلك بجهاز الإرسال وجهاز الاستقبال للأمواج الصوتية، فالأمر والنهي يتلقاه النبي من الروح الأمين مرسلا له، والنبي يستقبله ويبلغه على أتم وجه، ويكون الأمر تشريعا سواء كان وجوبا أو استحبابا أو إباحة، وإن كان الوحي ناهيا فيكون التشريع بالحرمة أو الكراهة.^(٢)

و إن الإسلام يرى أن القيادة لا تكون للجيش أو الولاية للبلاد، وشؤون الناس مكسبا دنيويا للقائد أو امتياز له أو تسلطا على الناس كما يتصور بعض الحكام، والسبب في ذلك حتى لا يكون المجتمع بؤرة مؤامرات ووشايات وإجرام وقهر وحرمان وظلم وسلب الأمن ومثال القائد الدنيوي قيادة معاوية لعنه الله^(٣)

(١) ينظر: الإمام الحسن رائد التخطيط الرسالي، الدكتور محمد حسين علي الصغير، مؤسسة

البلاغ، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م، ط ١: ١٦٦

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: سيرة الحسن في الحديث والتأريخ: ٦/ ٢٧٢ — ٢٧٣

و لا يكون القائد إلا خاضعا لما خطه المعصومون (عليه السلام) ف (الإسلام انطلق في اختيار القائد، والوالي، والأمير والحاكم من القاعدة التي وضعها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قال: (ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم، أو من أهل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) والمقصود بأهل الرسول هم الأئمة الطاهرون (عليه السلام) القادرون على تحمل مسؤولية رعاية وهداية وتدبير شؤون الأمة، من موقع العلم والطهارة والعصمة والحكمة ومن موقع المحبة والحنان والرحمة واليسر حيث يكون الإمام للأمة كالوالد الرحيم...)^(١)

و بهذا يعلم أن القيادة الإلهية تختلف عن قيادة أهل الدنيا، قال السيد الشهيد محمد الصدر: (أننا لا ينبغي، ونحن ننظر إلى فهم التاريخ الإسلامي، أن ننظر إلى القادة المعصومين سلام الله عليهم كقادة دنيويين، كما عليه تفكير طبقة من الناس، يدعون التمسك بالفكر الديني ولكنهم متأثرون بالاتجاه المادي الدنيوي. فهم يعتبرون المعصومين قادة دنيويين كبراء. بل هم بهذه الصفة خير من خير القادة الموجودين خلال العصور كلها. في اتصافهم بعمق التفكير وحصافة الرأي وشجاعة التنفيذ ونحو ذلك. ومعه يكونون هم المسؤولون عن أهداف حركاتهم وأقوالهم وأفعالهم ولا تكون تلك الأمور منسوبة إلى الحكمة الإلهية بأي حال. إلا انني أعتبر ذلك خطأ لا يغتفر، بل لا بد في النظر إليهم

كقادة، من أخذ كل الأصول الدينية والعقائد الصحيحة بنظر الاعتبار. وقد ثبت أنهم معصومون مسددون من قبل الله سبحانه. فالسؤال عن الحكمة لا بد وان يكون راجعاً إلى الحكمة الإلهية لا إلى آرائهم الشخصية مهما كانت مهمة. وأوضح دليل على ذلك: هو أننا إذا اعتبرناهم قادة دنيويين، فإننا ينبغي ان نعترف بفشلهم في كثير من المهمات التي قاموا بها فعلاً. وتكون كثير من أفعالهم خالية من الحكمة والمصلحة، بل تكون واضحة الفشل من الناحية الدنيوية. فمثلاً أن الإمام الحسين عليه السلام قد خرج إلى الكوفة وبالتالي إلى كربلاء وهو يعلم انه سوف يموت وان عائلته سوف تسبى. وليس الأمر منحصرأ به. بل يعلم بذلك عدد مهم من الناس. ومن هنا نصحه المتعددون أن يعيد النظر في عمله ويستدرك مهمته. ولكنه مع ذلك كان مهتماً بها مقبلاً عليها، مهما كانت النتائج. فلو نظرنا إليها نظراً دنيوياً لكانت في نظرنا حركة فاشلة تماماً. واذا جردنا من الإمام الحسين عليه السلام قائداً دنيوياً كان رأيه خالياً من الرشد والحكمة، وحاشاه. إذن، فالأمر لا بد عائد إلى الأمر الإلهي والحكمة الإلهية، والله سبحانه يريد بإيجاد هذه الحركة أهدافاً تعدل هذه التضحيات الجسام التي قدمها هذا الإمام العظيم سلام الله عليه، والإمام نفسه مؤيد ومسدد من قبل الله سبحانه^(١).

(١) أضواء على ثورة الحسين، السيد الشهيد محمد الصدر، دار ومكتبة البصائر، بيروت، لبنان،

و إن اتخذ السيد الشهيد الإمام الحسين (عليه السلام) مثالا إلا أن الكلام يشمل جميع الأئمة (عليهم السلام) بدليل ذكره المعصومين، ومفاد كلامه: أن المعصومين (عليهم السلام) لهم قيادة ولكن ليست قيادة دنيوية بل قيادة إلهية وسماوية؛ وبذلك يكون المعصوم مسدد بالوحي والإلهام والعلم اللدني... وبذلك يكون للمعصوم تكليفان ظاهري وباطني و(ان المعصومين (عليهم السلام) عموماً، بما فيهم النبي (صلى الله عليه وآله) وغيره لهم عالمان: عالم الظاهر الذي يعيشون به الناس وعالم الباطن الذي يتصلون عن طريقه بالله سبحانه. ويأخذون منه التسديد والتأييد. ومن الممكن القول: ان لكل من هذين العالمين قوانينه وقواعده الخاصة به. وأن كلا من هذين العالمين يؤثر ويشغل بالاستقلال عن العالم الثاني)^(١).

و تتوقف معرفة قيادة المعصوم على معرفة المعصوم نفسه و: (إن هناك معرفة عامة للإمام (عليه السلام) تشمل معرفة تاريخه وسيرته ويكون ذلك عبر دراسة المتون التاريخية وكتب السيرة والتي تكون صحيحة ومحقة بعيدا عن التحريف. والمعرفة الأخرى هي حق المعرفة وهذه تكون معرفة قلبية تمثل الإيمان بالإمام وطاعته وكما تعبر بعض الروايات أن تعلم أنه إمام مفترض الطاعة وهذه المعرفة لا تكون بالدراسة والقراءة وإنما بالطاعة المطلقة للإمام. والمعرفة الأخيرة هي المعرفة الكاملة وهي معرفة حقيقة المعصوم وكنهه وذاته وهذه المعرفة

متعذرة على غير المعصوم)^(١)

و لكي نعرف القيادة الإلهية نتخذ من طالوت مثالا قرآنية على ذلك، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧﴾ وقال لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُم مُّبْتَلَوْنَ بِنَهْرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِطَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٢٤٩﴾ البقرة: ٢٤٧-٢٤٩ ، قال الشيخ الطوسي في بيان الآية ٢٤٧: (قال السدي، ووهب بن منبه: إنما أنكروا أن يكون طالوت ملكا، لأنه لم يكن من سبط النبوة، ولا سبط المملكة بل كان من أجل سبط في بني إسرائيل. وقوله: "إن الله اصطفاه" معناه اختاره في قول ابن

(١) زاد الزائرين في معرفة المعصومين، سالم رحيم معله (المؤلف): ٣٠

عباس، وابن زيد، وأصله الصفوة من الأدناس. وقوله: " وزاده بسطة في العلم والجسم " قيل في معناه قولان: قال الحسن: زيادة في العلم وعظما في الجسم. وقال الجبائي: كان إذا قام الرجل، فبسط يده رافعا لها نال رأسه^(١) وبين شيخ الطائفة الآية ٢٤٨ بقوله: (قال الحسن: وجه الآية في التابوت أن الملائكة كانت تحمله بين السماء والأرض يرونه عيانا وقال ابن عباس ووهب: إن الله انتزعه من أيدي أعدائهم الذين نهبوه منهم، فرد عليهم " تحمله الملائكة " وقيل: إن التابوت كان في أيدي أعداء بني إسرائيل من العمالة الذين غلبوهم عليه - على قول ابن عباس، ووهب -، وروي ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام). وقال قتادة: كان في بركة التيه: خلفه هناك يوشع ابن نون. وقال وهب بن منبه: كان قدر التابوت نحوا من ثلاث أذرع في ذراعين. وروي عن علي (عليه السلام) أنه قال: السكينة التي كانت فيه ريح هفافة لها وجه كوجه الانسان. وقال مجاهد لها رأس كرأس الهرة، وروي ذلك في أخبارنا. وقال وهب: روح من الله تكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف. وقال عطا: كان فيه آية يسكنون إليها. والسكينة مصدر وقع موقع الاسم نحو القضية والبقية والعزيمة وأخذ من معنى السكون لان نفوسهم تسكن إليه والبقية التي ترك آل موسى، وآل هارون قال ابن عباس،

(١) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ط ١: ٢ /

وقتادة، والسدي: إنها عصا موسى ورصاص للألواح، وهو المروي عن أبي جعفر. وقال أبو جعفر التابوت هو الذي وضعت أم موسى فيه موسى حين ألقته في اليم. وأقوى هذه الأقوال أن يحمل على أنه كان فيه ما يسكنون إليه، ويجوز أن يكون ذلك عصا موسى والرصاص، وغير ذلك مما اختلفوا فيه بعد أن يكون فيه ما تسكن النفس إليه، لأنه تعالى بين أن فيه سكينه، وهي فعيلة من السكون، ولا يقطع بشيء من ذلك إلا بدليل يوجب العلم. وقال الحسن: كان فيه التوراة وشيء من ثياب موسى^(١) أما الآية ٢٥٠ فقال في تفسيرها: (قوله: "إن الله مبتليكم بنهر" فمعنى الابتلاء هاهنا؟ الصادق من الكاذب في قوله - على قول الحسن - . وقال وهب بن منية: السبب الذي لأجله ابتلوا بالنهر شكايتهم قلة المياه، وخوف التلف من العطش. والنهر الذي ابتلوا به، قال ابن عباس، والربيع، وقتادة: هو نهر بين الأردن، وفلسطين. وروي عن ابن عباس أيضا أنه نهر فلسطين. وقوله: "فمن شرب منه" الهاء عائدة على النهر في اللفظ، وهو في المعنى الماء. وقوله: "فليس مني" معناه ليس على ديني، ولا من أهل ولايتي، فحذف ودلت من عليه... وقال ابن عباس، وقتادة، والربيع: من استكثر من ذلك الماء عطش، ومن لم يشرب إلا غرفة روي. وقال الفراء، والحسن، وقتادة، والربيع: والذين جازوا النهر مع طالوت كان عددهم مثل

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٢ / ٢٩٦.

عدد أهل بدر، وهم ثلاثة وبضعة عشر، وهم المؤمنون خاصة. وقال ابن عباس، والسدي: جاوزه الكافر، والمؤمن إلا أن الكافرين انخزلوا عنهم، وبقي المؤمنون على عدد أهل بدر. وهذا قوي، لقوله تعالى: " فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه "، فلما رأوا كثرة جنود جالوت قال الكفار منهم " لا طاقة لنا اليوم بجالوت " وقال المؤمنون حينئذ الذين عدتهم عدة أهل بدر " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله " قال البلخي: ويجوز أن يكونوا كلهم مؤمنين، غير أن بعضهم أشد إيقانا وأقوى اعتقادا، وهم الذين قالوا: " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله...)^(١) .

الملاحظ في الآيات أن نبي بني إسرائيل (عليه السلام) جعل من صفتي العلم والبسط في الجسم وورثة موسى وهارون ومجيء التابوت الذي تحمله الملائكة من مقومات الملك طالوت الذي يقود بني اسرائيل، واستطاع طالوت أن يحقق النصر بأذن الله تعالى بعد أن عرض أصحابه لاختبار النهر، فمنهم من فاز بالاختبار ومنهم من خسر، ويُعلم أن القائد الرسالي الرباني يضع أصحابه في اختبار مع ما يمتاز به من صفات تؤهله لقيادة الجماهير والأمة.

بعد هذا البيان نقول: إن الإمام الحسن عليه المعصوم بنص القرآن الكريم وحديث جده وأبيه صلى الله عليهما وآلهما وسلم قائد فذ كانت له مواقف قيادية

في تأريخه وسيرته في عهد جده وأبيه، فقد نشأ الإمام الحسن عليه السلام في رحاب جده، فتولى تربيته بنفسه وصقل موهبته، فمنحه من عطفه ورضاه ما اشتهر في الأحاديث ولا ينكرها إلا جاحد وحاقد، وما ان أرتحل رسول الله ﷺ للرفيق الأعلى، تولى أمير المؤمنين عليه السلام إعداد الإمام الحسن عليه السلام فكان ابن أبيه في العلم والعمل والتقوى والشجاعة والسياسة والحنكة والقيادة، فالإمامة نفسها والعصمة نفسها والرعاية الإلهية مستمرة في تأييده^(١)

إن القرآن الكريم أشار لقيادة أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الحسن عليه السلام، ومن تلك الآيات آية التطهير وآية القربى وآية المباهلة وآيات النذر في سورة الدهر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ٣٣ الأحزاب: ٣٣، ذكر السيوطي في تفسيره: (وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط رجل من شعر اسود فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما فأدخلهما معه ثم جاء على فادخله معه ثم قال: (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وأخرج ابن جرير والحاكم وابن مردويه عن سعد قال نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فادخل عليا وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثم قال اللهم

(١) ينظر: الإمام الحسن رائد التخطيط الرسالي: ٣٦

هؤلاء أهلي وأهل بيتي. وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فاطمة ومعه حسن وحسين وعلى حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسنا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه وأنا مستدبرهم ثم تلا هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا). وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة رضي الله عنها إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول الصلاة يا أهل البيت الصلاة (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)^(١)

إن جميع الروايات التي ذكرها السيوطي كلها بأسانيد سنية، وكلها تؤكد أن آية التطهير نزلت في أمير المؤمنين وفاطمة والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام جميعا، وتطهيرهم يقتضي عصمتهم وعصمتهم تقتضي امتيازهم بالعلم وجميع المقومات التي تؤهل لقيادة الأمة.

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت،

و قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (١٣) الشورى: ٢٣ ، قال السيد العلامة: (وفيه أخرج أبو نعيم والديلمي من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى أن تحفظوني في أهل بيتي وتودوهم لي. وفيه أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قالوا: يا رسول الله من قربتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم قال: علي وفاطمة وولداها)^(١).

إن السيد العلامة نقل الروايات عن أبناء العامة لتكون عليهم الحجة، ويكون من باب ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم، فهم يؤمنون بقيادة الصحابة وأنهم أولى بهم من أنفسهم، ويعرضون عن أهل البيت ﷺ الذين ثبتت موتهم في الكتاب الكريم وما روه عن رسول الله ﷺ.

و قال تعالى: ﴿فَمَن حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (١١) آل عمران: ٦١ ، قال الواحدي: (أخبرني عبد الرحمن بن

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد العلامة محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي،

الحسن الحافظ فيما أذن لي في روايته حدثنا أبو حفص عمر ابن أحمد الواعظ، حدثنا عبد الرحمن بن سليمان بن الأشعث، حدثنا يحيى ابن حاتم العسكري، حدثنا بشر بن مهران، حدثنا محمد بن دينار، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله قال: قدم وفد أهل نجران على النبي صلى الله عليه وسلم العاقب والسيد، فدعاهما إلى الاسلام، فقالا أسلمنا قبلك، قال كذبتما إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الاسلام: فقالا: هات أنبئنا، قال: حب الصليب، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، فدعاهما إلى الملاعنة، فوعدها على أن يغادياه بالغداة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيد علي وفاطمة وبيد الحسن والحسين، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا، فأقرا له بالخراج فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي بعثني بالحق لو فعلا لمطر الوادي نارا. قال جابر: فنزلت فيهم هذه الآية - فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم - قال الشعبي: أبناءنا: الحسن والحسين، ونساءنا: فاطمة، وأنفسنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم^(١).

إنَّ مباهلة رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ليس حجة على المسلمين، بل حجة على جميع الناس والعالم بما فيهم النصارى، وعرف أهل نجران صدقهم وقربهم لله تعالى، وأنهم لو يباهلون لمطر الوادي

(١) أسباب نزول الآيات، الواحدي النيسابوري، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٨م: ٦٧.

نارا كما قال رسول الله ﷺ، وخروج الحسين عليهما مع أنها صغيران بالعمر إلا أن رسول الله ﷺ أراد أن يثبت للجميع قيادتهما وأنها الوريثان الشرعيان له.

و قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا (١٠) فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شُرَازِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَشَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَابِتٍ مِّنْ فضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا (١٥) قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُهَا وَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنَا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْشُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مِّنْ سُندُسٍ خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ وَهَلْؤُاْ أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا (٢٢) ﴿ الإنسان: ٧ - ٢٢، روى الشيخ المجلسي بسنده عن: (مسلمة بن خالد عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما في قوله عز وجل: (يوفون بالنذر) قالوا: مرض الحسن والحسين عليهما وهما صبيان صغيران فعادهما رسول الله ﷺ ومعه رجلان، فقال أحدهما: يا أبا الحسن لو نذرت في ابنك نذرا إن الله عافاهما، فقال: أصوم ثلاثة أيام شكرا لله عز وجل، وكذلك قالت فاطمة عليها، وقال الصبيان: ونحن أيضا نصوم ثلاثة أيام،

وكذلك قالت جاريتهم فضة، فألبسهما الله عافيته، فأصبحوا صياما وليس عندهم طعام، فانطلق علي (عليه السلام) إلى جار له من اليهود يقال له شمعون يعالج الصوف، فقال: هل لك أن تعطيني جزء من صوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة أصوع من شعير؟ قال: نعم، فأعطاه فجاء بالصوف والشعير وأخبر فاطمة (عليها السلام) فقبلت وأطاعت، ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف، ثم أخذت صاعا من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد قرصا، وصلى علي (عليه السلام) مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المغرب؟ ثم أتى منزله فوضع الخوان وجلسوا خمستهم، فأول لقمة كسرها علي (عليه السلام) إذا مسكين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني بما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة، فوضع اللقمة من يده ثم قال:

فاطم ذات المجد واليقين	يا بنت خير الناس أجمعين
أماترين البائس المسكين	جاء إلى الباب له حنين
يشكو إلى الله ويسـتـكـين	يشكو إلينا جائعا حزين
كل امرئ بكسبه رهين	من يفعل الخير يقف سمين
موعده في جنة دهين	حرمها الله على الضنين
وصاحب البخل يقف حزين	تهوي به النار إلى سجين

شرا به الحميم والغسلين

فأقبلت فاطمة عليها السلام تقول:

أمرك سمع يا ابن عم وطاعة ما بي من لؤم ولا رضاة
غديت باللب وبالبراعة أرجو إذا أشبعت من مجاعة
أن ألق الأخيـار والجماعة وأدخل الجنة في شفاة
وعمدت إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين، وباتوا جياعا
وأصبحوا صياما لم يذوقوا إلا الماء القراح. ثم عمدت إلى الثلث الثاني من
الصوف فغزلته، ثم أخذت صاعا من الشعر وطحنته وعجنته وخبزت منه
خمسة أقرصة لكل واحد قرصا، وصلى علي المغرب مع النبي صلى الله عليهما ثم
أتى منزله فلما وضع الخوان بين يديه وجلسوا خستهم فأول لقمة كسرها علي
عليه السلام إذا يتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل
بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله علي
موائد الجنة، فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده ثم قال:

فاطم بنت السيد الكريم بنت نبي ليس بالزيم
قد جاءنا الله بهذا اليتيم من يرحم اليوم هو الرحيم
موعده في جنة النعيم حرمها الله على اللئيم
وصاحب البخل يقف ذميم تهوي به النار إلى الجحيم
شرا به الصديد والحميم

فأقبلت فاطمة عليها السلام وهي تقول:

فسوف اعطيه ولا أبالي	وأؤثر الله على عيالي
أمسوا جوعاً وهم أشبالي	أصغرهم يقتل في القتال
بكر بلا يقتل باغتيال	لقاتليه الويل مع وبال
يهودي به النار إلى سفال	كبوله زادت على الأكبال

ثم عمدت فأعطته عليها السلام جميع ما على الخوان، وباتوا جوعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح، وأصبحوا صياماً، وعمدت فاطمة عليها السلام فغزلت الثلث الباقي من الصوف، وطحنت الصاع الباقي وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً، وصلى علي عليه السلام المغرب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم أتى منزله، فقرب إليه الخوان وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها علي عليه السلام إذا أسير من اسراء المشركين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا؟ فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده ثم قال:

فاطم يا بنت النبي أحمد	بنت نبي سيد مسود
قد جاءك الأسير ليس يهتدي	مكبلاً في غلله مقيّد
يشكو إلينا الجوع قد تقدد	من يطعم اليوم يحده في غد
عند العلي الواحد الموحد	ما يزرع الزارع سوف يحصد

فأعطيه لا تجعله ينكد

فأقبلت فاطمة عليها السلام وهي تقول:

لم يبق مما كان غير صاع قد دبّرت كفي مع الذراع
 شبلاي والله هما جِيع يا رب لا تتركهما ضياع
 أبوهما للخير ذو اصطناع عبل الذراعين طويل الباع
 وما على رأسي من قناع إلا عبنا نسجتها بصاع
 وعمدوا إلى ما كان على الخوان فأعطوه وباتوا جِيعا، وأصبحوا مفطرين
 وليس عندهم شيء. قال شعيب في حديثه: وأقبل علي بالحسن والحسين عليهما السلام
 نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وهما يرتعشان كالفرخ من شدة الجوع، فلما بصر بهم النبي
صلى الله عليه وآله قال: يا أبا الحسن شد ما يسوؤني ما أرى بكم ! ؟ انطلق إلى ابنتي فاطمة،
 فانطلقوا إليها وهي في محرابها، قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت
 عيناها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله ضمها إليه وقال: واغوثاه بالله ؟ أنتم منذ
 ثلاث فيما أرى ؟ فهبط جبرئيل فقال: يا محمد خذ ما هيا الله لك في أهل بيتك،
 قال: وما آخذ يا جبرئيل ؟ قال: (هل أتى على الانسان حين من الدهر) حتى إذا
 بلغ (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا). وقال الحسن بن مهران في
 حديثه: فوثب النبي صلى الله عليه وآله حتى دخل منزل فاطمة عليها السلام فرأى ما بهم فجمعهم
 ثم انكب عليهم يبكي ويقول: أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم ؟ فهبط
 عليه جبرئيل بهذه الآيات: (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا
 عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) قال: هي عين في دار النبي صلى الله عليه وآله يفجر
 إلى دور الأنبياء والمؤمنين (يوفون بالنذر) يعني عليا وفاطمة والحسن والحسين

عليه السلام وجاريتهم (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) يكون عابسا كلوحا (ويطعمون الطعام على حبه) يقول: على شهوتهم للطعام وإيثارهم له (مسكينا) من مساكين المسلمين (وييتيما) من يتامى المسلمين (وأسيرا) من أسارى المشركين ويقولون إذا أطعموهم: (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) قال: والله ما قولوا هذا لهم ولكنهم أضمره في أنفسهم فأخبر الله بإضمارهم، يقولون: لا نريد جزاء تكافوننا به ولا شكورا تثنون علينا به، ولكن إنما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه قال الله تعالى ذكره (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة) في الوجوه (وسرورا) في القلوب (وجزاهم بما صبروا جنة) يسكنونها (وحريرا) يفترشونه ويلبسونه (متكئين فيها على الأرائك) والأريكة: السرير عليه الحجلة (لا يرون فيها شمسا ولا زمهيرا) قال ابن عباس: فبينا أهل الجنة في الجنة إذا رأوا مثل الشمس قد أشرقت لها الجنان، فيقول أهل الجنة: يا رب إنك قلت في كتابك: (لا يرون فيها شمسا) ؟ ! فيرسل الله جل اسمه إليهم جبرئيل فيقول: ليس هذه بشمس ولكن عليا وفاطمة ضحكا فأشرقت الجنان من نور ضحكهما، ونزلت (هل أتى) فيهم إلى قوله تعالى: (وكان سعيكم مشكورا)^(١)

إن السنة والشيعة ذكروا هذا السبب لنزول هذه الآيات من سورة الدهر

ولن ينكر ذلك إلا جاحد ناصبي، والملاحظ أن الله تعالى جعل من اطعام أهل البيت عليهم السلام لثلاث ليالٍ منقبة سطرها في كتابه المجيد تتلى آناء الليل وأطراف النهار، وذلك لانقطاعهم التام الله تعالى وإخلاصهم المنقطع النظير، فهم لا يريدون جزاءً ولا شكوراً، كل ذلك قرينة لله تعالى، وهذه من صفات القائد الرسالي أن تكون صفة الإيثار صفة متجذرة في نفسه ومن الملكات الراسخة فيه، ليكون قدوة حسنة لجميع الخلق، والإمام الحسن عليه السلام ضرب أروع الأمثلة في الإيثار والعطاء، وتكفي مطالعة سريعة لكتب السيرة لمعرفة ذلك.

وإن كانت الآيات (آية التطهير، وآية المودة، آية المباهلة، آيات النذر في سورة الدهر) تشمل الإمام الحسن عليه السلام وهو في سن الطفولة وهذا لا ينفي قيادة الإمام الحسن عليه السلام وفضله؛ ذلك أن سنة الله تعالى في أنبيائه وأوصيائه تتخطى الزمن والعمر، وهذا ما ثبت للنبي عيسى عليه السلام وهو في المهد، قال تعالى ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِئٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (٢٧) يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) ﴿ مريم: ٢٧ - ٣٤، قال الشيخ محمد جواد

مغنية في بيان هذه الآيات: (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ). وضعت مريم وليدها، فحملته إلى قومها، وهي آمنة مطمئنة لأن الحمل الذي تسبب في اتهامها هو أصدق شاهد على نزاهتها (قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) بدعواك الحمل من غير دنس ومواقعة.. انها محض افتراء (يَا أُخْتَ هَارُونَ) هو أخو موسى، وهي من نسله، والقصد تذكيرها بأصلها الطيب، وانه إذا زكا الأصل يجب ان يزكو الفرع، فكيف صدر منها ما لم يصدر مثله عن أصلها (مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا). فمن تشبهين أنت بفعلتك هذه التي لا يقدم عليها إلا من كانت بنتا لرجل سوء، أو بنت امرأة بغية !. (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) تستشهده على براءتها، وهو أصدق الشاهدين، لأنه ينطق بلسان الله (قَالُوا) متعجبين: (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا). ولكن الذي في المهد كلمهم قبل ان يكلموه (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) أي سيجعلني نبيا فيما بعد، لأن الرضيع لا يكون قدوة للناس، وحجة عليهم، كيف وهو غير مسؤول عن أقواله وأفعاله فهل يكون مسؤولا عن تبليغ رسالات الله إلى عباده ؟. وفيما سبق نقلنا عن الأناجيل ان عيسى بعث في سن الثلاثين، وانما تكلم في المهد لتبرئة أمه من الزنا والفجور، لا لأنه نبي مرسل، انظر عيسى ونبوة الأطفال ج ٣ ص ١٤٤. (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ). وكل من ينفع الناس بجهة من الجهات فهو مبارك وميمون، وكل من يضار بواحد من الناس فضلا عن الجماعة فهو شر وشؤم وفساد: (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا

بِوَالِدَيْهِ). لقد أقر بهذا على نفسه بالطاعة والعبودية لله، ونفى أن يكون إلهاً أو ولداً للإله أو شريكاً له كما يزعم النصارى (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً) كما يزعم اليهود، بل هو عبد صالح، ونبي مرسل كما يعتقد المسلمون (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) سبق نظيره قريباً في الآية ١٥. (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) أي يشكون ويختلفون. هذه هي كلمة الحق والعلم والعدل في السيد المسيح، لا هو جبار شقي كما قال اليهود، ولا هو إله أو ابنه أو شريكه كما قال النصارى.. انه نبي يبلغ رسالات ربه، وعبد من عباده يصلي ويزكي، وهو مبارك ينفع الناس، ومتواضع محسن لأمه وغيرها)^(١)

إن عيسى بن مريم وهو طفل رضيع بين يدي أمه تكلم في المهد وكان حجة على قومه ومعجزة لكل من سمعه مباشرة أو نقل له ذلك، وهذا يبين أن العمر لا يقف حاجز ولا يكون حائلاً دون الوصول للمقامات العالية وقيادة الأمة.

وإن كان عيسى المسيح مثلاً قرآنياً للرضيع الحجة على عبادة، فإن القرآن الكريم ضرب النبي يحيى عليه سلام مثلاً على الصبي الحجة، قال تعالى:

(١) التفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م،

﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (١٢) مريم: ١٢، قال الشيخ مغنية: ((يا يحيى) اكتفى سبحانه بهذا النداء عن القول: ان يحيى قد ولد، وانه أصبح يعقل ويفهم ما يقال له، وقادرا على العمل بالتوراة، وهي الكتاب الذي عناه الله بقوله: (خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) ومعنى أخذه بقوة التزام العمل به بجد واخلاص^(١) ويحيى بن زكريا (عليه السلام) نبي في سن الصبا وقد أمر بأخذ التوراة، وذلك يكون مشرعا، وحجة على قومه.

إن الإمام الحسن (عليه السلام) قد أشاد به الله تعالى في كتابه الكريمة، ورسوله ﷺ في أحاديثه وفي مواقف كثيرة، وكذا أمير المؤمنين (عليه السلام)، كل ذلك والإمام (عليه السلام) في مرحلة الصبا، وفي كل ذلك تصريح فصيح للأمة بقيادة الإمام الحسن (عليه السلام).

ومن مقومات القيادة العلم والبلاغة والشجاعة وقد عرضنا في المباحث السابقة نماذج عن علم الإمام الحسن (عليه السلام) وبلاغته وشجاعته في الحروب، ومواقفه مع أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد عرضنا ذلك في مبحث خاص، كل ذلك يثبت قيادة الإمام الحسن (عليه السلام) وأنه السبط الأكبر لرسول الله ﷺ والنجل الأكبر لأمر المؤمنين (عليه السلام) والورث الشرعي لهما صلوات الله وسلامه عليهم جميعا.

المبحث العاشر: المجتمع المدني

إن جميع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام عاشوا في مجتمعات مليئة بالتناقض، ومتدنية في التكامل، وبذلك خذولهم وكانوا عليهم غمة، ولم يستجيبوا لهم، ومن ذلك المجتمع في زمن النبي نوح ومجتمع هود ومجتمع صالح ومجتمع إبراهيم ومجتمع موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين فكل هذه المجتمعات لم يؤمن منهم إلا قليل، وقد أخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ يَكُونُ نَبُوءُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهِمُمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩﴾ إبراهيم: ٩، فهذه المجتمعات والأمم لم تكن منقادة للأنبياء والمصلحين، وكان ديدنهم الكفر والمخالفة.

و هذا ما عليه المجتمع الكوفي والمسلم في زمن حكومة أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يكن مجتمع منقاد للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكن له معينا في تطبيق حكومته العادلة والإطاحة بالحكومات الظالمة والغاصبين للخلافة، بل كان ديدنهم مخالفته وقد بين الإمام عليه السلام في مواطن عديدة ذكرت في نهج البلاغة، نتابع ذكرها ليكون القارئ على بينة من الأمر، وليعلم طبيعة المجتمع التي واجهه الإمام الحسن عليه السلام.

من ذلك خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في أصحابه في استنفارهم إلى أهل

الشام لقتال الفئة الباغية إذ قال لهم: (أف لكم لقد سئمت عتابكم، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً وبالذل من العز خلفاً، إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة، ومن الدهول في سكرة يرجع عليكم حوارى فتعمهون فكأن قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون، ما أنتم لي بثقة سجين الليالي، وما أنتم بركن يمال بكم ولا زوافر عز يفتقر إليكم، ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر، لبئس لعمر الله سعر نار الحرب أنتم تكادون ولا تكيدون، وتنقص أطرافكم فلا تمتعضون، لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، غلب والله المتخاذلون وأيم الله إني لأظن بكم أن لو حمس الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس والله إن امرأ يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه، ويفري جلده لعظيم عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره، أنت فكن ذاك إن شئت فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام وتطيح السواعد والأقدام، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء أيها الناس إن لي عليكم حقاً ولكم علي حق، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا. وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم)^(١)

يبتدأ أمير المؤمنين عليه السلام خطبته بالسأم والضجر من أصحابه ويبين أنه سأم من عتابهم وفي ذلك إشارة واضحة لكثرة عتابه لهم، لأنهم رضوا بالحياة الدنيا ولا يجيبون للجهاد فأن عيونهم تدور من الموت خوفاً، وهم ينفرجون في الحرب ويتركون أمير المؤمنين عليه السلام، ويصف الإمام شجاعته وبأسه في الحرب، ويختتم الإمام عتابه بذكر حقه على القوم وحقهم عليه، وذكر بأن حقهم فالنصيحة له وأن كان معصوما لا يحتاج نصيحة من أحد، وإنما ذكر ذلك لبيان وظيفة المحكوم اتجاه الحاكم، وكذا توفير فيئهم وتعليمهم وتأديبهم، أما وظيفتهم اتجاه الإمام فالبيعة له والطاعة حين الأمر.

و من خطبته معهم قوله: (أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتم حيدي حياذ، ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل، دفاع ذي الدين المطول لا يمنع الضيم الدليل، ولا يدرك الحق إلا بالجد، أي دار بعد داركم تمنعون، ومع أي إمام بعدي تقاتلون، المغرور والله من غررتموه. ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخيب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع في نصركم ولا أوعد العدو بكم ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طبكم؟ القوم رجال أمثالكم، أقولا بغير عمل وغفلة من غير ورع،

وطمعا في غير حق^(١)

إن هذا النص يبين خذلان للإمام المصلح (عليه السلام) فهم وأن كانوا كثيرين إلا أنهم متفرقون، وأنهم في مجالسهم الخاصة يتكلمون بأشياء وما أن تحضر الحرب حتى يهربوا كل ذلك بسبب غرورهم، مما جعل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يصدق قولهم فهم كاذبون ولا يطمع في نصرتهم فهم متخاذلون، والإمام يتعجب هؤلاء القوم المتخاذلين عن الجهاد، بينما قوم معاوية قوم أمثالهم، وهذا ما يوضحه الإمام في الخطبة اللاحقة.

فقد خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) فيهم يحثهم على الجهاد ومما قال: (فيا عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلت هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحر وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلت هذه صبارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فراراً من الحر والقر فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فإذا أنتم والله من السيف أفر، يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرت ندماً وأعقبت سداً قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً،

وشحتتم صدري غيظا، وجرعتموني نغب التهام أنفاسا، وأفسدتم على رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراسا وأقدم فيها مقاما مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع^(١)

إن الإمام علي عليه السلام يعجب من اجتماع قوم معاوية على باطلهم، وتفرق قومه على حقهم، وبذلك صار غرضا يرمى وأصبحوا أذلة يغار عليهم ولا يغيرون، وهم لا يطيعون الإمام في تحشيدهم بالجهاد فيتعذرون في القيظ بشدة الحر وفي الشتاء يتعللون بشدة البرد، كل هذا فرارا من السيف، وعبر عنهم الإمام بأنهم أشباه الرجال، وتمنى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه لم يعرف هكذا قوم، فقد ملأوا قلبه قيحا وشحنوا صدره غيظا وجرعوه الجرعة بعد الجرعة، وأفسدوا على الإمام رأيه بالعصيان، ويختم الإمام خطبته بتذكيرهم بشجاعته وشدة بأسه بأنه نهض بالحرب في العشرين وها هو يخاطبهم وهو في الستين من عمره، وختم حسرته بالحكمة التي اشتهرت عنه لا أمر لمن لا يطاع. ومن كلامه عليه السلام في الخوارج لما سمع قولهم لا حكم إلا لله قال عليه السلام: (كلمة حق يراد باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا

لله: وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقا تل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح به بر ويستراح من فاجر (وفي رواية أخرى أنه (عليه السلام) لما سمع تحكيمهم قال) حكم الله أنتظر فيكم (وقال) أما الإمرة البرة فيعمل فيها التقى، وأما الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي إلى أن تنقطع مدته وتدركه منيته^(١)

إن الخوارج فئة خرجت من حرم المجتمع، وبهذا يعرف تدني المجتمع، واتخاذ الخوارج شعارا خاصا بهم إنما لخلط الأوراق والتأثير في الناس البسطاء، ولكن أمير المؤمنين (عليه السلام) رد عليهم هذا القول الباطل وعبر عن شعارهم بأنه حق ولكنهم يريدون به باطل، فهم ينفون الحكومة والحاكم، وهذا لا يكون فلا بد من حاكم سواء كان برا أو فاجرا فالغرض منه يجمع الفيء ويقا تل العدو ويؤمن الطرق ويؤخذ للضعيف من القوي، وبذلك تنتهي الفوضى.

ومن كلامه (عليه السلام): (كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة والثياب المتداعية كلما حيصت من جانب تهكت من آخر أكلما أطل عليكم منسر من مناسر أهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه وانجحر انجحر الضبة في جحرها والضبع في وجارها، الدليل والله من نصرتموه ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق

ناصل وإنكم والله لكثير في الباحات قليل تحت الرايات وإني لعالم بما يصلحكم
ويقيم أودكم ولكني لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي أضرع الله خدودكم
وأنعس جدودكم لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل ولا تبطلون الباطل
كإبطالكم الحق^(١)

إن الإمام عليه السلام يداري أصحابه كما يداري الفتى من الأبل، وكما تراعى
التياب البالية، وهذا كله تشبيه بليغ، ووضح الإمام تخاذلهم عن جهاد أهل
الشام فكلما طلع عليهم جماعة من الجيش أغلقوا أبوابهم ودخلوا بيوتهم كما
يفعل الضبع، وهم بذلك كثيرون في الساحات قليلون في المعارك، ويذكر لهم
الإمام بأنه يعرف صلاحهم بالشدة والقسوة وترك المداراة وهذا ما لا يستعمله
الإمام؛ لأنه خلاف سيرته بالعدل والحق.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف أصحابه وما يعانیه منهم: (لئن أمهل
الظالم فلن يفوت أخذه وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه وبموضع الشجى من
مساغ ريقه أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى
بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطائكم عن حقي ولقد
أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها وأصبحت أخاف ظلم رعيتي استنفرتكم
للجهاد فلم تنفروا وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرا وجهرا فلم

تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا أشهود كغياب وعبيد كأرباب ؟ أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها وأعظكم بالموعظة البالغة فتفرقون عنها وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتى على آخر القول حتى أراكم متفرقين أيادي سبا ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم أقومكم غدوة وترجعون إلى عشية كظهر الحية، عجز المقوم وأعضل المقوم أيها الشاهدة أبدانهم الغائبة عقولهم المختلفة أهواؤهم المبتلى بهم أمراؤهم صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم يا أهل الكوفة منيت بكم بثلاث واثنين: صم ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار لا أحرار صدق عند اللقاء ولا إخوان ثقة عند البلاء تربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب آخر والله لكأنني بكم فيما إخال أن لو حمس الوغى وحمي الضراب وقد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها وإني لعلى بينة من ربي، ومنهاج من نبيي وإني لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطا انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم ففضلوا، ولا تتأخروا عنهم

فتهلكوا^(١)

يبين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حاله مع قومه فهو يدعوهم للجهاد فينفرون منه، ويأمرهم فلم يستجيبوا له، ويتلو عليهم المواعظ سرا وجهرا فلم يتعظوا، وهم مع ذلك متفرقون عن الحق بينما قوم معاوية مجتمعون على باطلهم، مما دعا الإمام عليه السلام يتمنى أن يبدله معاوية بأصحابه ويصرفهم صيرفة الدينار بالدرهم فيأخذ منهم عشرة ويعطيه واحدا، ويبين الإمام عليه السلام أنه أبتلي بأهل الكوفة فهم ينفرجون عنه في الحرب وشبه ذلك بانفراج المرأة عن قبلها، وهذا تشبيه يدل على ذمهم، واختتم الإمام عليه السلام خطبته بأن يلتزم الناس بأهل البيت عليهم السلام فهم الطريق إلى الله تعالى ومن يسبقهم يضل ومن يتأخر عنهم يهلك.

ومن كلامه عليه السلام وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا فقال عليه السلام: (ما بالكم أحرصون أنتم؟ فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين إن سرت سرنا معك، فقال عليه السلام: ما بالكم: لا سدتم لرشد، ولا هديتم لقصد، أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج؟ إنما يخرج في مثل هذا رجل ممن أرضاه من شجعانكم وذوي بأسكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين، ثم أخرج في كتيبة أتبع أخرى

أثقل ثقل القدر في الجفير الفارغ، وإنما أنا قطب الرحي تدور علي وأنا بمكاني، فإذا فارقت استبحار مدارها واضطرب ثفالها هذا لعمر الله الرأي السوء والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدو - لو قد حم لي لقاءه - لقربت ركابي، ثم شخصت عنكم فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال إنه لا غناء في كثرة عددكم مع قلة اجتماع قلوبكم، لقد حملتكم على الطريق الواضح التي لا يهلك عليها إلا هالك، من استقام في الجنة ومن زل في النار^(١)

إن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يخاطبهم فلا يجيبونه ويدعوهم فلا يستجيبون له، ويوصف نفسه بأنه قطب الرحي وكل شيء يدور حوله، ولا يخرج في كل الغارات يتقلقل تقلقل السهم في مكانه، ومع كثرة الأصحاب إلا أنه لا فائدة فيهم، ومع ذلك الإمام لا يتركهم فقد أوضح لهم الطريق الذي من زل عنه في النار.

ومن كلامه (عليه السلام) يذم فيه أصحابه: (أحمد الله على ما قضى من أمر وقدر من فعل، وعلى ابتلائي بكم أيها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب، إن أمهلتكم خضتكم، وإن حوربتكم خرتكم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجبتم إلى مشاققة نكصتم، لا أبا لغيركم ما تنتظرون نصركم والجهاد على حقكم؟ الموت أو الذل لكم فوالله لئن جاء يومي - وليأتيني -

ليفرقن بيني وبينكم وأنا لصحبكم قال، وبكم غير كثير لله أنتم أما دين يجمعكم ؟ ولا حمية تشحذكم ؟ أوليس عجباً أن معاوية يدعو الجفأة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء وأنا أدعوكم - وأنتم تريكة الاسلام وبقية الناس - إلى المعونة وطائفة من العطاء فتفرقون عني وتختلفون عليّ، إنه لا يخرج إليكم من أمري رضى فترضونه، ولا سخط فتجتمعون عليه وإن أحب ما أنا لاق إلى الموت، قد دارستكم الكتاب، وفاتحتكم الحجاج، وعرفتكم ما أنكرتم، وسوغتكم ما مجعتم، لو كان الأعمى يلحظ، أو النائم يستيقظ، وأقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معاوية، ومؤدبهم ابن النابغة^(١)

يلاحظ أن أمير المؤمنين عليه السلام يكرر القول بأنه مبتلي بهم وأنهم فرقة لا تطيعه وأنهم متفرقون، ولا يطيعون، ومن الحرب ينفرون، ويكرر الإمام عليه السلام مقارنتهم بأصحاب معاوية الذين يطيعونه ويسيطرون بأمره، والإمام عليه السلام قد بلغ فيهم الكتاب وعرفهم ما يحتاجونه، ومع ذلك لم يهتدوا على غرار قوم قائدهم معاوية ومؤدبهم ابن النابغة عمر بن العاص.

و من النصوص السابقة نذكر الخصائص التي تميز بها المجتمع الكوفي اتجاه المعصوم المصلح أمير المؤمنين عليه السلام وذلك بنقاط منها:

١. إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أبتلي بهم؛ ذلك أنهم لا يمثلون

المجتمع المصلح الذي يبلغ الإسلام لسائر الأمم.

٢. إنّ المجتمع الذي أحب الدنيا وملذاتها وانغمس في الراحة، ليس مجتمعاً مؤهلاً لمفارقة الحياة بالموت في الجهاد.

٣. لم يستجيب المجتمع للأوامر السياسية والعسكرية للإمام علي (عليه السلام) فأرادوا التحكيم ومن ثم أعترضوا عليه ومن ثم خرج بفرقة ضالة سموا بالخوارج.

٤. لم يكونوا عوناً للإمام (عليه السلام) في جهاد الفئة الباغية معاوية فلا في الصيف يجاهدون ولا في الشتاء وهم بذلك يتعللون بالظروف الجوية!.

٥. لم يكن لهم الدين والورع والعلم والإيمان ليعرفوا الحق العظيم لقائدهم الإمام علي (عليه السلام)، فكانوا ينظرون له رجل سياسة ودولة فقط.

٦. لم تنفع معهم مدرّة الإمام علي (عليه السلام) وما قد أوجب على أنفسهم من عطائهم وتوفير العيش الكريم لهم.

٧. إنّ أفراد المجتمع الكوفي كانوا أكثرهم في شك من القائد العظيم أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم يكن مسلم له؛ لأنه مجتمع يريد الشهوات والملذات ومبتعد عن الطاعة والعبادة، وهذا ما لا ينسجم مع طريقة الإمام (عليه السلام)، ومع أن أمير المؤمنين (عليه السلام) خيرة أصحابه من الكوفة؛ إلا أن الكلام عن المجتمع الكوفي بصورة عامة ومع كثافته السكانية فأن فيه كثير من الشاكين في قيادة أمير المؤمنين (عليه السلام).

٨. مقارنة الإمام علي عليه السلام بين أصحابه وأصحاب معاوية وأن أصحابه يتفرون عن حقهم وأصحاب معاوية يجتمعون على باطلهم يكشف عن طبيعة المجتمعين والتناقض الحاصل فيهما.

٩. إن الظروف التي عاشها المجتمع الكوفي والمجتمع الذي عاشه فيه أمير المؤمنين عليه السلام وما عاناه منه مجتمع يحصل من أكثر أفراد الشاكن الخذلان للإمام الحسن عليه بصورة طبيعية؛ لما فيه من صفات ذكرت في النقاط أعلاه، وغيرها من الصفات التي يمكن للقارئ اللبيب أن يستنبطها من النصوص السابقة.

و بعد استلام الإمام الحسن عليه السلام زمام الخلافة بعد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام تفاقمت عوامل الشك لدى المجتمع وذلك لعدة عوامل ذكرها السيد محمد باقر الصدر منها^(١):

العامل الأول: لحظة الفراغ، فبينما كان الإمام علي عليه السلام يملأ المركز السياسي، وفقد الإمام في لحظة مفاجئة دون تمهيد وتخطيط أو تمهيد، لأن الإمام اغتيل اغتيالاً، وبذلك عاش المجتمع لحظة فراغ سياسي.

العامل الثاني: عند تقلد الإمام الحسن عليه السلام للحكم كان هناك كيان

(١) ينظر: أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية، السيد محمد باقر الصدر،

٢٠٦ الإمام الحسن (عليه السلام) القائد المصلح

سياسي قائم يحكم الشام، وهذا الكيان يراه أهل الشام شرعي بعد معركة صفين، ومجيء الإمام الحسن (عليه السلام) يعد هو الطارئ في ذهن الإنسان العادي على كيان السياسة.

العامل الثالث: الاعتبار الشخصية القائمة في أمير المؤمنين (عليه السلام)، على الرغم من أن الإمام الحسن (عليه السلام) وأبيه في منطق العصمة سواء، إلا أن الجماهير والمجتمع لا يفهم العصمة، فأمر المؤمنين (عليه السلام) له سوابقه مع رسول الله (ﷺ) وصحبته الطويلة له، ومواقفه العظيمة في الإسلام، وسلطته الروحية والعلمية، كل ذلك يعد مؤهلات له، أما الإمام الحسن (عليه السلام) لصغر سنه، وعدم وجود تأريخ مماثل له مع أبيه، لم يكن المجتمع خاضعا له. ويمكن القول بعبارة أخرى: الإمام الحسن (عليه السلام) معروف لدى جميع الأمة الإسلامية أنه ابن رسول الله (ﷺ) على عكس أبيه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي كان يعد صحابيا ومن عشيرة بني هاشم، بينما الحسن ابن رسول الله (ﷺ).

العامل الرابع: تسلم الإمام الحسن بعد أبيه (عليه السلام) رسوخ في المجتمع التصور الخاطئ بأن المعركة بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية معركة أسرية وقبلية، وهذا ما منع الإمام علي (عليه السلام) من الإعلان الرسمي والسياسي على مستوى الجماهير على خليفته الإمام الحسن (عليه السلام)، ولهذا أوصى للحواريين من أصحابه بإمامة الحسن (عليه السلام).

العامل الخامس: لم يكن الإمام الحسن (عليه السلام) لظروف خاصة قد تسرع في

الإعلان عن عزمة على الحرب مع معاوية والاشتباك المسلح معه، وهذا ما أستغله معاوية وأشاع على أساسه فكرة الصلح، وتوسعت هذه الإشاعات عند المسلمين.

ويمكن الرد على العامل الرابع بحسب ما فصلنا القول في مبحث القيادة وقلنا هناك: أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مواطن كثيرة جعل القيادة بيد ولده الإمام الحسن عليه السلام؛ كل ذلك لهياً النفوس لقبول خلافته.

و أضيف هنا أن المجتمع الذي أبتلي به أمير المؤمنين عليه السلام هو نفسه الذي أبتليه به الإمام الحسن عليه السلام، وإذا علمنا من النصوص السابقة حجم المعاناة التي واجهها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندها نعرف المحنة التي يواجهها الإمام الحسن عليه السلام مع هذا المجتمع المتدني والمتناقض.

A vertical decorative element featuring a central rectangular box with rounded corners. Above and below the box are symmetrical, intricate geometric patterns. The top part consists of a series of pointed, interlocking shapes, while the bottom part is a mirror image of the top. The entire design is rendered in black and white.

المبحث الحادي عشر: البيعة للإمام الحسن

إن البيعة تكون بمسح يد المبايع بيد المبايع له، وهي طريقة ظاهرية تدعم الجهة الباطنية للإيمان، وكانوا العرب إذا أعطوا عهدا وفوا به، وقد أخذ الإسلام البيعة ومشى عليها رسول الله ﷺ في بيعة الرضوان وبيعة الشجرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ^٩ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ^{١٠} وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَ يَزِيدْهُ أَجْرًا عَظِيمًا^{١١}﴾ الفتح: ١٠، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا^{١٢}﴾ الفتح: ١٨، وواضح من الآية أن يد رسول الله ﷺ تكون هي العليا ويد الآخر هي السفلى، كما أن يد رسول الله ﷺ تكون ثابتة ويد الآخر تكون متحركة^(١).

وعلى الرغم من أهمية البيعة الاجتماعية ونص القرآن الكريم عليها وفعل المعصومين لها، بما فيهم رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام، إلا أن فقهاء الإمامية لم يعتنوا بها كثيرا وبقيت لمجر الإعلام ومن أسباب ذلك: إن البيعة الظاهرية والبيعة الباطنية وهو الاعتقاد بالولاء عموما من وجه، فقد يجتمعان كما في حبيب بن مظاهر الأسدي وعابس بن شبيب، كذلك قد يفترقان، فيأتي المنافق فيبايع، فتكون بيعته مجرد تغرير وخدعة قد يترتب عليها

(١) ينظر: شذرات من فلسفة تأريخ الحسين، السيد الشهيد محمد الصدر، دار البصائر، بيروت،

نتائج غير محمودة، ومن ناحية أخرى إنه يمكن الاكتفاء بالبيعة الباطنية وهو الإخلاص والولاء.^(١)

و الإمامة تثبت بالنص وليس بالبيعة وهي (صورة تحكيها كل كتب الحديث التي تعرض لهذه المواضيع، وترفعها مسندة بالطرق الصحيحة الموثقة، إلى مراجعها من أهل البيت (عليهم السلام) وغيرهم. وهي الصورة التي تناسق الوضع المنتظر لمثل ظرفها. والا فما الذي كان ينبغي غير ذلك ؟ وهذه هي طريقة الامامية من الشيعة في اثبات الإمامة. نصوص نبوية متواترة من طرقهم، ومروية بوضوح من طرق غيرهم، تحصر الإمامة في اثني عشر إماماً كلهم من قریش، وتذكر - ضمناً - أو في مناسبة أخرى، أسماءهم إماماً إلى آخرهم، وهو المهدي المنتظر الذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً، بعد أن تكون قد امتلأت ظلماً وجوراً. ونصوص خاصة، من كل امام على خلفه الذي يجب أن يرجع اليه الناس. ثم يكون من تفوق الامام، في علمه وعمله ومكارمه وكراماته، أدلة وجدانية أخرى، هي بمثابة تأييد لتلك النصوص بنوعيتها اما بيعة الناس فليست شرطاً في امامة الامام. وانما على الناس أن يبايعوا من أرادته النصوص النبوية. ولا تصحح الامامية بيعة غيره. ولا تقع من أحدهم الا اضطراراً، وأما وقضت الظروف بدوافعها الزمنية، أن لا يبايع الناس من الأئمة المنصوص

(١) ينظر: شذرات من فلسفة تأريخ الحسين: ٢٩٠

عليهم، إلا الإمامين علياً والحسن (عليهما السلام) ^(١)

وبيعة الإمام الحسن (عليه السلام) بعد الانتهاء من خطبته بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) — وقد ذكرناها آنفاً — ثم جلس فقام عبد الله بن عباس رحمة الله عليهما بين يديه فقال: معاشر الناس، هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه. فاستجاب له الناس وقالوا: ما أحبه إلينا ! وأوجب حقه علينا ! وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة، وكان ذلك في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، فرتب العمال وأمر الأمراء، وأنفذ عبد الله بن العباس رضي الله عنه إلى البصرة، ونظر في الأمور ^(٢)

و ذكر ابن الأثير: (أول من بايعه قيس بن سعد الأنصاري وقال له ابسط يدك أبيعك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وقاتل المحليين فقال له الحسن بن علي كتاب الله وسنة رسوله فإنهما يأتيان علي كل شرط فبايعه الناس وكان الحسن يشترط عليهم إنكم مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فارتابوا لذلك وقالوا ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا القتال) ^(٣)

إنَّ الطبيعة الثورية لقيس بن سعد بن عبادة تدعو لمثل هذه اللهجة

(١) صلح الإمام الحسن، الشيخ مرتضى آل ياسين، مطبعة شريعت، منشورات المكتبة الحيدرية،

١٣٩٣، ط١: ١١٤ — ١١٦

(٢) الإرشاد: ٢/ ٨

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م: ٣/ ٤٠٢

الصارمة، أما الإمام الحسن (عليه السلام) فيدعوه للبيعة بدون شرط القتال، وكتاب الله تعالى وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وخطب الإمام الحسن عليه بعد بيعته، فقد روى عن هشام ابن حسان قال: (سمعت أبا محمد الحسن بن علي (عليه السلام) يخطب الناس بعد البيعة له بالأمر فقال: نحن حزب الله الغالبون، وعتره رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيبون، الطاهرون، وأحد الثقلين الذين خلفهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أمته والتالي كتاب الله، فيه تفصيل كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فالمعول علينا في تفسيره لا تنظني تأويله بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فان طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله عز وجل ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴿النساء: ٥٩﴾ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴿النساء: ٨٣﴾ وأحذركم الاصغاء لهتاف الشيطان فإنه لكم عدو مبين، فتكونوا أولياءه الذين قال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴿الأنفال: ٤٨﴾ فتلقون إلى الرماح وزرا، وإلى السيوف جزرا، وللعمد حطما، وللسهام غرضا، ثم لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو

كسبت في إيمانها خيراً)^(١)

إنَّ خطبة الإمام عليه السلام توضيح للإمامة بمنهج الإمامة وأن أهل البيت عليهم السلام هم أولي الأمر وامتداد لطاعة الله تعالى ورسوله وإليهم ترد الأمور، وقد استشهد الإمام عليه السلام بالآيات القرآنية الكريمة لتكون حجة لازمة عليهم، ولعلم الإمام بما ستكون عليه الأمور وبحال القوم فإنه حذرهم من الأصغاء للشيطان والانقياد له.

وهكذا وفقت الكوفة لان تضع الثقة الاسلامية في نصابها المفروض لها، من الله عز وجل ومن العدل الاجتماعي، وبايعته البصرة والمدائن وبايعه العراق كافة، وبايعه الحجاز واليمن على يد القائد العظيم جارية بن قدامة، وفارس على يد عاملها زياد بن عبيد، وبايعه من بقي في هذه الآفاق من فضلاء المهاجرين والأنصار، فلم يكن لشاهد أن يختار ولا لغائب أن يرد، ولم يتخلف عن بيعته الا معاوية ومن اليه، واتبع بقومه غير سبيل المؤمنين، وجرى مع الحسن مجراه مع أبيه بالأمس، وتخلّف أفراد آخرون عرفوا بعد ذلك بالقعّاد، اما الخلافة الشرعية. فقد تمت على ظاهرتها العامة من طريق البيعة الاختيارية، للمرة الثانية في تاريخ آل محمد صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وطلعت على المسلمين من الزاوية المباركة التي طلعت عليهم بالنبوة قبل نصف قرن، ويعود

الإمام الحسن (عليه السلام) فيفتح عهده الجديد، بخطابه التاريخيِّ البليغ، الذي يستعرض فيه مزايا أهل البيت وحقهم الصريح في الأمر، ثم يصارح الناس فيه بما ينذر به الجوّ المتلبّد بالغيوم من مفاجئات واطّار^(١)

إنّ مبايعة الجميع للإمام الحسن (عليه السلام) اعتراف له بوراثته لأبيه وقيادته، وما امتناع معاوية إلا لما كان يمتنع عن أبيه أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ولم يكن للإمام الحسن (عليه السلام) قرار حتى يجمع شتات الأمة على طاعته، أما معاوية فلم يكن في حسابات الإمام (عليه السلام)، لأن معاوية صعلوك قد فر بغوغاء أهل الشام عن طاعة الخلافة، وكان الإمام عازماً على إخضاع معاوية للدخول في خلافته بعد أن أنقذته فكرة رفع المصاحف في معركة صفين، والنزول للتحكيم، وبرز فرقة الخوارج^(٢)

معاوية وشيظته جعلته يفكر في حيل جديد ومكر جديد فأخذ يشري الذمم والضمائر، والناس عبيد المال والدنيا، وبذلك استمال زعماء القبائل بالمال والآمال فتجاوبوا معه، وبذلك خرجت العيون وانتشر الجواسيس، رجل حمير في الكوفة ورجل بلقين البصرة مثلاً على ذلك، ولكن الإمام (عليه السلام) علم بذلك فقتلهم كما في الرواية (و لما بلغ معاوية بن أبي سفيان وفاة أمير المؤمنين وبيعة

(١) ينظر: صلح الإمام الحسن: ١٢٢ — ١٢٤، وينظر: سيرة الحسن في الحديث والتاريخ: ١٧: ٧

(٢) ينظر: الحسن بن علي رجل الحرب والسلام، السيد محمد علي الحلّو، دار المتقين، بيروت،

المبحث الحادي عشر: البيعة للإمام الحسن وما بعدها..... ٢١٧

الناس الحسن عليه السلام دس رجلا من حمير إلى الكوفة، ورجلا من بلقين إلى البصرة، ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الحسن عليه السلام الأمور. فعرف ذلك الحسن عليه السلام فأمر باستخراج الحميري من عند حجام بالكوفة فأخرج فأمر بضرب عنقه، وكتب إلى البصرة فاستخرج القيني من بني سليم وضربت^(١) و بعد هذه الحادثة كتب الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية: (أما بعد: فإنك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال، وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء، (وما أوشك ذلك) ! فتوقعه إن شاء الله. وبلغني أنك شمت بما لا يشمت به ذوو الحجى، وإنا مثلك في ذلك كما قال الأول:

فقل للذي ينبغي خلاف الذي مضى

تجهز لأخرى مثلها فكأن قد

فإنا ومن قدمات منالكالذي

يروح فيمسي في المبيت ليغتدي

فأجابه معاوية عن كتابه بما لا حاجة بنا إلى ذكره^(٢)

كانت هذه الحادثة إنذارا لمعاوية بالحرب وتهديدا له، ونلاحظ قوة موقف الإمام الحسن عليه السلام في الرد على معاوية، وعدم القبول بعرض معاوية بالصلح،

(١) الإرشاد: ٢/ ٩.

(٢) المصدر نفسه.

ولم تتجاوز الرسائل بين الإمام الحسن (عليه السلام) وبين الغاصب الملعون معاوية الخمس رسائل، والسبب في ذلك أن معاوية يحمل من النزعات ما جعلته لا يستجيب للحق ولا يذعن لأهله، بل اشتد طمعه وسال لعبه على الخلافة وهو يفتقر لأبسط مقوماتها^(١)

و على الرغم من ذلك سار الإمام الحسن (عليه السلام) على نهج أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) كما يقتضيه تكليفه، فجاء في كتابه لمعاوية مع جندب بن عبد الله الأزدي: (بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن الله تعالى عز وجل بعث محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) رحمة للعالمين، ومنة على المؤمنين وكافة إلى الناس أجمعين " لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين " فبلغ رسالات الله وقام على امر الله حتى توفاه الله غير مقصر ولا وان، حتى اظهر الله به الحق، ومحق به الشرك ونصر به المؤمنين واعز به العرب وشرف به قريشا خاصة، فقال تعالى: " وإنه لذكر لك ولقومك " فلما توفي (صلى الله عليه وآله وسلم) تنازعت سلطانه العرب فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأوليائه ولا يحل لكم ان تنازعونا سلطان محمد في الناس وحقه، فرأت العرب ان القول كما قالت قريش وان الحجة لهم في ذلك على من نازعهم امر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنعمت لهم العرب وسلمت ذلك، ثم حاجبنا

المبحث الحادي عشر: البيعة للإمام الحسن وما بعدها..... ٢١٩

نحن قريشا بمثل ما حاجت به العرب فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها
إنهم اخذوا هذا الامر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج فلما صرنا أهل بيت
محمد وأوليائه إلى محاجتهم وطلب النصف منهم باعدونا واستولوا بالاجتماع
على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا فالموعد الله وهو الولي النصير. وقد
تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان نبينا ﷺ وإن كانوا ذوي فضيلة
وسابقة في الاسلام فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين ان يجد المنافقون
والأحزاب بذلك مغمزا يثلمونه به أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من
فساده، فالיום فليعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على امر لست من أهله لا
بفضل في الدين معروف ولا اثر في الإسلام محمود وأنت ابن حزب من
الأحزاب وابن اعدى قريش لرسول الله ﷺ ولكن الله خبيك، سترد فتعلم لمن
عقبى الدار، تالله لتلقين عن قليل ربك ثم ليجزينك بما قدمت يداك وما الله
بظلام للعبيد. إن عليا رضوان الله عليه لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض
ويوم من الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حيا ولاني المسلمون الامر بعده فأسأل
الله ان لا يزيدنا في الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامته
وإنما حملني على الكتاب إليك الاعذار فيما بيني وبين الله سبحانه وتعالى في امرك
ولك في ذلك إن فعلت الحظ الجسيم وللمسلمين فيه صلاح فدع التعادي في
الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي فإنك تعلم انى أحق بهذا الامر
منك عند الله وعند كل أبواب حفيظ ومن له قلب منيب واتفق الله ودع البغي

واحقن دماء المسلمين فوالله مالك من خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقية به فادخل في السلم والطاعة ولا تنازع الامر أهله ومن هو أحق به منك ليطفى الله النائرة بذلك وتجمع الكلمة وتصلح ذات البين وإن أنت أبيت إلا التهادي في غيك نهدت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين^(١)

إن هذا الكتاب قد ضمنه الإمام الحسن (عليه السلام) أمورا عديدة نذكر منها^(٢)

١. إن الإمام (عليه السلام) ذكر بعثة رسول الله (ﷺ) وأن الله أظهر علي يديه الحق وطمس به الباطل، وعلى كل من يؤمن به أن يلتزم بالحق ويترك الباطل، وبذلك يكون الحق هو الميزان في جميع المواقف والسياسات والسلوكيات.

٢. ثم ذكر (عليه السلام) أن جده رسول الله (ﷺ) كان عزا للعرب وعليهم أن يحافظوا على عزهم، وكان تشريفا لفئة وهم قريش وأهل بيته (عليهم السلام).

٣. أشار الإمام (عليه السلام) إلى ما جرى في السقيفة إذ طالب كل من الأنصار والمهاجرين وقريش أن يكون الأمير منهم، والمعيار في الإمامة هو النص من الله ورسوله، ولكن الإمام هنا احتج على معاوية من باب ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم.

(١) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف،

١٩٦٥م، ط ٢: ٢٩

(٢) ينظر: سيرة الإمام الحسن في الحديث والتاريخ: ٧ / ١٩١ — ١٩٦

المبحث الحادي عشر: البيعة للإمام الحسن وما بعدها..... ٢٢١

٤. إن منازعة معاوية للإمام عليه السلام باطلة؛ ذلك أن الإمام قد نص عليه رسول الله ﷺ، والإمام يملك من الصفات والمقومات ما يجعله خليفة وقائدا، وبمفهوم الخلافة لدى قريش والعرف فإن الإمام عليه السلام أحق بها.

٥. إن فائدة السلطة هو بناء الحياة على أسس صحيحة فيها سعادة الدنيا والآخرة، وهذا ما يريده الإمام الحسن عليه السلام، أما معاوية فيريد السلطة ليتسلط على العباد والبلاد ويعيث في الأرض الفساد.

٦. إذا كان أبو بكر قد ولى عمر بن الخطاب بعده، كذلك أمير المؤمنين عليه السلام قد ولى الإمام الحسن عليه السلام بعده، ليقطع الطريق على أي شبهة يمكن أن تثار.

٧. إن منازعة معاوية للإمام الحسن عليه السلام في أمر الخلافة لا مبرر له من الناحية الدينية.

٨. ختم الإمام عليه السلام رسالته بوضع ضابطة للخيارات وهدف للسياسات وهو: أن المطلوب هو رعاية مصلحة المسلمين وليس مصلحة الطامعين.

فكتب معاوية يرد على الإمام الحسن عليه السلام: (... قد علمت أنى أطول منك ولاية وأقدم منك لهذه الأمة تجربة وأكثر منك سياسة وأكبر منك سنا، فأنت أحق أن تحييني إلى هذه المنزلة التي سألتني، فادخل في طاعتي ولك الامر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغ ما بلغ تحمله إلى حيث

أحببت ولك خراج اي كور العراق شئت معونة لك على نفقتك يجيها لك
أمينك ويحملها إليك في كل سنة ولك الا يستولي عليك بالإساءة ولا تقضى
دونك الأمور ولا تعصى في أمر أردت به طاعة الله عز وجل...^(١)

إن جواب معاوية يكشف بوضوح أن مقام الخلافة الإلهية ليس لدى
معاوية إلا سلعة تشتري ويدفع ثمنها من بيت المال وليس من مال معاوية
الخاص، وهي كذلك تؤكد تعدي أمر رسول الله ﷺ وهو أمر الله تعالى في
استخلاف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ونصبهم للإمامة من بعده^(٢)

(١) مقاتل الطالبين: ٣٠

(٢) اعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي: ٤ / ١٢٧

المبحث الثاني عشر: معاوية عدو الله ورسوله وأهل بيته

إن لكل نبي ورسول وإمام عدو في عصره، كما أخبر الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١١٢)، إن الآية الكريمة تشمل جميع الأنبياء عليهم السلام بدلالة كلمة كل التي تدل على العموم، وليس الأمر مختصا بالأنبياء بل شامع لمن يكون في دائرتهم كالرسل والأئمة عليهم السلام، وليس العدو عدو أنسي فقط، بل هو أنسي وجني وبينهما تواصل، ورى العلامة البحراني في تفسيره بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (ما بعث الله نبيا إلا وفي أمته شيطانان يؤذيانه ويضلان الناس بعده، فأما صاحبنا نوح فقيطفوص وخرام، وأما صاحبنا إبراهيم فمكثل ورزام، وأما صاحبنا موسى فالسامري ومرعتيا، وأما صاحبنا عيسى فبولس، ومرتيون، وأما صاحبنا محمد صلى الله عليه وآله فحبر وزريق)^(١) أن الإمام الصادق عليه السلام ذكر أنبياء أولي العزم عليهم السلام مثالا، ويذكر شيطانين يؤذيان كل نبي ويضلان الناس بعده، وأما وحي بعضهم لبعض فيبينه الإمام جعفر الباقر عليه السلام بقوله: (إن الشياطين يلقي بعضهم بعضا فيلقي إليه ما يغوي به الخلق حتى يتعلم بعضهم من بعض)^(٢) ووحى بعضهم لبعض إنما هو من باب تعليم بعضهم من بعض.

(١) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، مؤسسة البعثة، قم، (د. ت): ٢/ ٤٦٩

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ٢/ ٤٦٩.

و بين الشيخ محمد جواد مغنية الآية الكريمة بقوله: (شيطان الإنس معروف، وهو كل من يغري الناس بالباطل، ويلبسه ثوب الحق أما الجن فهو من غيب الله، ونحن به من المؤمنين اجمالاً، ومن حيث المبدأ، ولا تعيننا التفاصيل لأننا غير مسؤولين عنها، تماماً كما هو الشأن في الملائكة، ولا غرابة في عدا الأشرار للأنبياء السابقين واللاحقين، لأنه من مظاهر العدا بين الخير والشر، وبين الحق والباطل. وتساءل: إذا كان الله سبحانه هو الذي جعل للأنبياء أعداء من الأشرار، كما يظهر من الآية، فلما ذا يعاقبهم على عدائهم للأنبياء؟ وأيضا كيف أمر باتباع الأنبياء، ثم جعل لهم أعداء يقاومونهم، ويغرون الناس بالكفر بهم وبرسالتهم؟ الجواب: ان الله سبحانه بعث الأنبياء، وجعل مهمتهم الدعوة إلى التوحيد والعدل، ونبد الظلم والوثنية، وهذه المهمة بطبيعتها تستدعي التناقض والصراع بين الأنبياء وبين عبدة الأوثان والمستغلين، فالله سبحانه سبب البعثة، والبعثة سبب العدا، وبهذا الاعتبار نسب العدا إليه مجازاً. قال حكاية عن نوح: (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا) فالفرار يستند إلى دعوة نوح، ودعوته تستند إلى أمر الله. وزيادة في التوضيح نضرب هذا المثال: رجل ترك ثروة لولده، فسببت له عداوة الحساد، فيقال مجازاً: خلق له والده حسادا (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا). زخرف القول هو الكلام المموه الكاذب، ظاهره الرحمة، وباطنه العذاب، والمعنى ان الأشرار يوسوس بعضهم إلى بعض بالباطل المموه بالحق

المبحث الثاني عشر: معاوية عدو الله ورسوله وأهل بيته ٢٢٧

بقصد الإغراء بعمل القبيح، ومعاودة الحق وأهله (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) ضمير فعلوه يعود إلى عملهم القبيح، أي عداوة الأنبياء، وإيحاء بعضهم إلى بعض، والمعنى ان الله لو أراد أن يمنعهم جبراً وقهراً عن القبح ما كان منهم ذاك العدا، ولا هذا الإيحاء، ولكن حكمته اقتضت أن يتركهم وشأنهم، وأن يكونوا مختارين غير مسيرين، فيحاسبون على ما يفعلون، ويعاقبون بما يستحقون (فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) من الكذب، فعليك البلاغ، وعلينا الحساب والجزاء. (وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) أي يوحى الأشرار بعضهم إلى بعض زخرف القول ليستمع إليه الكفار (وَلِيَرْضَوْهُ) بعد ان استمعوا إليه، ويعملوا به بلا بحث وتمحيص. وهاء يرضوه تعود إلى ما عادت إليه هاء ما فعلوه. (وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ) من المعاصي والآثام، ويتميز المؤمن عن الكافر، والمخلص عن المنافق. والخلاصة ان الأبالسة الأشرار يزخرفون القول ليخدعوا به ضعاف النفوس، ويميلوا إليه، ويقترفوا الذنوب، قال أبو حيان الأندلسي: هذا الكلام في غاية البلاغة، لأنه أولاً يكون الخداع، فيكون الميل، فيكون الرضا، فيكون الاقتراف، وكأن كل واحد مسبب عما قبله^(١).

و بهذا البيان يتبين أن لأهل البيت عليهم السلام أعداء أبتلاهم الله تعالى بهم،

(١) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار الملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ط ٣: ٢٤٣/٣

ومن أعتى أولئك معاوية بن أبي سفيان لعنه الله، وسنقف على شخصيته لنعرف مكره وحيلته ونعلم أي عدو يواجه الإمام الحسن (عليه السلام)؟! وكيف استطاع هذا المعلنون مع ما يزين له الشيطان من زخرف القول أن يزرع التفرقة ويبدد جيش الإمام بشراء الضمائر والدمم.

وما اسم معاوية إلا كلبة عاوية، فقد دخل شريك بن الأعور على معاوية وكان دميماً فقال له معاوية: إنك لدميم والجميل خير من الدميم وإنك لشريك وما لله من شريك وإن أباك لأعور والصحيح خير من الأعور، فكيف سدت على قومك؟! فقال له: إنك معاوية وما معاوية إلا كلبة عاوية فاستعوت الكلاب وإنك لابن صخر والسهل خير من الصخر، وإنك لابن حرب والسلم خير من الحرب وإنك لابن أمية وما أمية إلا أمة صغرت فكيف صرت أمير المؤمنين وخرج^(١).

و ليس معاوية بذى النسب الشريف فهو من عائلة نجسة كانت جدته حمامة من ذوات الرايات في الجاهلية، وهذا ما ذكره عقيل بن أبي طالب (عليه السلام) فقد أتى معاوية فنصبت له كراسيه، وأجلس جلساءه حوله، فلما ورد عليه أمر له بمائة ألف فقبضها، ثم غدا عليه يوماً بعد ذلك، وبعد وفاة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وبيعة الحسن لمعاوية، وجلساء معاوية حوله، فقال: يا أبا يزيد، أخبرني

(١) ينظر: معاوية، عبد الباقي قرنة الجزائري، مطبعة نينوى، ١٤٢٦هـ، ط ١: ٩٨.

المبحث الثاني عشر: معاوية عدو الله ورسوله وأهل بيته ٢٢٩

عن عسكري وعسكر أخيك، فقد وردت عليهما، قال: أخبرك، مررت والله بعسكر أخي، فإذا ليل كليل رسول الله ﷺ، ونهار كنهار رسول الله ﷺ، إلا أن رسول الله ﷺ ليس في القوم، ما رأيت إلا مصليا، ولا سمعت إلا قارئا. ومررت بعسكرك، فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله ليلة العقبة، ثم قال: من هذا عن يمينك يا معاوية؟ قال: هذا عمرو بن العاص، قال: هذا الذي اختصم فيه ستة نفر، فغلب عليه جزار قريش: فمن الآخر؟ قال: الضحاك بن قيس الفهري قال: أما والله لقد كان أبوه جيد الاخذ لعسب التيوس، فمن هذا الآخر؟ قال أبو موسى الأشعري، قال: هذا ابن السراقعة، فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه، علم أنه إن استخبره عن نفسه، قال فيه سوءا، فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من سوء، فيذهب بذلك غضب جلسائه، قال: يا أبا يزيد، فما تقول في؟ قال: دعني من هذا! قال: لتقولن، قال: أتعرف حمامة؟ قال: ومن حمامة يا أبا يزيد؟ قال: قد أخبرتك، ثم قام فمضى، فأرسل معاوية إلى النسابة، فدعاه، فقال: من حمامة؟ قال ولي الأمان! قال: نعم، قال: حمامة جدتك أم أبي سفيان، كانت بغيا في الجاهلية صاحبة راية، فقال معاوية لجلسائه: قد ساويتكم وزدت عليكم فلا تغضبوا^(١)

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م، ط١:

و مما يؤكد أن معاوية ابن حرام ما رواه المعتزلي عن الزمخشري إذ قال:
(كان معاوية يعزى إلى أربعة: إلى مسافر بن أبي عمرو، وإلى عمار بن الوليد بن
المغيرة، وإلى العباس بن عبد المطلب، وإلى الصباح، مغل كان لعمار بن الوليد.
قال: وقد كان أبو سفيان دميماً قصيراً، وكان الصباح عسيفاً لأبي سفيان، شاباً
وسيماً، فدعته هند إلى نفسها فعشيتها. وقالوا: إن عتبة بن أبي سفيان من الصباح
أيضاً، وقالوا: إنها كرهت أن تدعه في منزلها، فخرجت إلى أجناد، فوضعت
هناك^(١))

و معاوية أصبح على الشام بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان فقد هلك في
طاعون عمواس سنة ثمان عشرة فتولى معاوية مكانه وأقره عمر، وبعد ذلك
ولاه عثمان على الشام والجزيرة وأمره أن ينزل العرب مواضع نائية عن المدن
والقرى ويأذن لهم في أعمار الأرض فأنزل بني تميم الرابية وأنزل المازحين
والمدير أخلاطاً من قيس وأسد وغيرهم ورتب ربيعة في ديارها وفعل ذلك في
جميع ديار مصر^(٢)

إن معاوية بن أبي سفيان المنافق الأوحـد والسبب الرئيس لتشويه الإسلام
والدين؛ لذا ورد عن رسول الله ﷺ أحاديث في ذمه ولعنه، من ذلك ما نقله

(١) المصدر نفسه: ١ / ٣٣٦.

(٢) ينظر: معاوية: ١٠٨.

المبحث الثاني عشر: معاوية عدو الله ورسوله وأهل بيته ٢٣١

حسن بن فرحان المالكي في كتابه سلسلة مثالب معاوية بن أبي سفيان بالأسانيد الصحيحة، ونحن نقلها عنه بدون الإشارة لمصادرهما الرئيسية؛ لأن الرجل تكفل بذلك من مصادر أهل السنة، فلا نعيد^(١).

١. (ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الله ويدعوههم إلى النار) وهو متواتر ويتناول معاوية بالدرجة الأولى، لأنه قتل عمار في معركة صفين.
٢. (قاتل عمار وسالبه في النار) وله أسانيد قوية، ومعروف أن معاوية وضع جائزة لمن يأتي برأس عمار.

٣. (رجل أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية) والمراد بالرجل معاوية؛ لأن حديث آخر يشهد له حديث: (يموت معاوية على غير سنتي)
٤. (لعن الله الراكب والقائد والسائق) والمراد به معاوية وأبيه وأخيه، وهذا الحديث يصل للتواتر، وقد ذكرنا سابقاً ذلك في احتجاج الإمام الحسن عليه السلام في مجلس معاوية.

٥. (لا تذهب الدنيا حتى تصير للكعب بن لقع لا يؤمن بالله ورسوله) وهما يزيد بن معاوية وأبيه، ومعنى لكعب متهم أو منافق أو ملعون أو خبيث أو لئيم.

(١) ينظر: سلسلة مثالب معاوية بن أبي سفيان بالأسانيد الصحيحة، حسن بن فرحان المالكي، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ٢٠١٦م، ط ١: ١١ - ٢٠.

٦. (اللهم أركسهما في الفتنة ركسا ودعهما إلى النار دعًا) وذلك في معاوية وعمر بن العاص.

٧. (معاوية فرعون هذه الأمة) وهذا له شواهد في تأريخ معاوية فكل موافقه نفاق وبغي وظلم ونار وظلم وفرعنة...

٨. (لا أشبع الله بطنه) ضمير الهاء يعود على معاوية، ويمثل ذلك دعاء رسول الله ﷺ على معاوية ساخطا عليه.

وقد أوصل المالكي الأحاديث الصحيحة وبعضها المتواتر إلى اثنين وعشرين وما ذكرناها يمثل نماذج.

ونكمل أحاديث لعن معاوية وذمه على لسان رسول الله ﷺ من كتاب الإمام الحسن المجتبي وقد تكفل مؤلفه المحقق القرشي بذكر مصادرها وتفضيلها؛ نحيل القارئ لذلك ولا نذكر سوى نص الحديث^(١):

٩. (يطلع رجل من هذا الفج رجل يحشر على غير ملتي، فطلع معاوية) ويسند هذا الحديث الثالث بتسلسلنا.

١٠. (اللهم عليك بالأقيس) قاله رسول الله ﷺ عندما أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، وعندما سأل ابن البراء أباه عن الأقيس قال له: إنه

(١) موسوعة سيرة أهل البيت، الإمام الحسن بن علي، الشيخ باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، مطبعة مستار، نشر دار المعروف، ٢٠١٢م، ط ٢: ١١ / ١٤٨ — ١٥٠.

المبحث الثاني عشر: معاوية عدو الله ورسوله وأهل بيته ٢٣٣

معاوية.

١١. (إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه) ذلك أن رسول الله ﷺ علم أن معاوية يتولى شؤون الحكم ويعيث في الأرض الفساد فأمر بقتله.

١٢. (إنه صعلوك) جواب رسول الله ﷺ لامرأة استشارته في الزواج من معاوية فنهاها.

إن أمير المؤمنين عليّ السلام شارك أخاه ونفسه رسول الله ﷺ في ذم معاوية ولعنه، وقد ورد ذلك في أقواله وكتبه إليه منها:

١. (وكيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلايب ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزيتها وخذعت بلذتها، دعتك فأجبته، وقادتك فاتبعته، وأمرتك فأطعتها، وإنه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن، فاقعس عن هذا الأمر، وخذ أهبة الحساب، وشمر لما قد نزل بك، ولا تمكن الغواة من سمعك، وإلا تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك، فإنك مترف قد أخذ الشيطان منك مأخذه وبلغ فيك أمله، وجرى منك مجرى الروح والدم ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية وولاة أمر الأمة ؟ بغير قدم سابق ولا شرف باسق، ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء وأحذرك أن تكون متهاديا في غرة الأمانة

مختلف العلانية والسريّة^(١)

إن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يكشف عن حقيقة معاوية فهو طالب للدين ومطيع لها، وهو غاوي، قد أخذ منه الشيطان مأخذه وجرى منه مجرى الروح والدم، وهذا أبلغ تصريح في ذم معاوية ولعنه وبذلك يكون غير صالح لسانسة الرعية وتولي أمر الأمة...

٢. (وأما قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل، ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل)^(٢)

أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عبّر عن معاوية — بعدما ذكره بأبائه — بأنه طليق، وأنه لصيق إي ألصق بالنسب وهذا تصريح بأن معاوية ابن حرام وقد مرّ بيان ذلك في مقدمة هذا المبحث، وأن معاوية مبطل ومدغل أي مفسد، وأنه يتبع سلفا يهوي في نار جهنم.

٣. (وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس؟ وما للطلقاء

(١) نهج البلاغة: ٣ / ١٠.

(٢) المصدر نفسه: ٣ / ١٧.

المبحث الثاني عشر: معاوية عدو الله ورسوله وأهل بيته ٢٣٥

وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم، هيهات لقد حن قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها، ألا تربع أيها الإنسان على ظلمك وتعرف قصور ذرعك؟ وتتأخر حيث أخرج القدر، فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وإنك لذهاب في التيه رواق عن القصد^(١)

يؤكد أمير المؤمنين علي عليه السلام في كتابه لمعاوية بأنه من الطلقاء، وقد وصفه مغلوب وذاهب في تيه ومراوغ عن قصد، وهذا كله تأكيد على كفر نفاق معاوية وظلمه وغوايته...

٤. (وأردت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات، فجازوا عن وجهتهم ونكصوا على أعقابهم، وتولوا على أدبارهم، وعولوا على أحسابهم إلا من فاء من أهل البصائر فإنهم فارقوك بعد معرفتك، وهربوا إلى الله من موازرتك إذ حملتهم على الصعب وعدلت بهم عن القصد، فاتق الله يا معاوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك، فإن الدنيا منقطعة عنك والآخرة قريبة منك...) ^(٢)

يذكر الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام منهج معاوية في خداع الناس بالبغي،

(١) نهج البلاغة: ٣/ ٣٠.

(٢) المصدر نفسه: ٣/ ٥٧.

ويلقيهم في أمواج الظلمات والشبهات، فينكصوا على أعقابهم، ويتولوا على أدبارهم، أما أهل البصائر فهم يفارقون معاوية فيهربون إلى الله تعالى من معاوية، ويؤكد الإمام (عليه السلام) غير متقي وأنه سلم نفسه للشيطان.

٥. (وقد علمت أنك غير مدرك ما قضي فواته، وقد رام أقوام أمرا بغير الحق فتأولوا على الله فأكذبهم، فاحذر يوما يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله، ويندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه، وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله، ولسنا إياك أجينا، ولكننا أجينا القرآن في حكمه)^(١)

في هذا النص يؤكد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أن معاوية لا يدرك الحق وأنه يمكن الشيطان من قيادته، وأن الإمام (عليه السلام) قد دعاه إلى القرآن والسنة ومعاوية ليس منها في شيء وإنما دعاه لذلك لإلقاء الحجة عليه.

٦. (قد ابتلاني الله بك وابتلاك بي فجعل أحدنا حجة على الآخر، فعدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن فطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني، وعصبت أنت وأهل الشام بي وألب عالمكم جاهلكم، وقائمكم قاعدكم، فاتق الله في نفسك، ونازع الشيطان قيادك، واصرف إلى الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك، واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الأصل وتقطع الدابر، فإني أولى لك بالله ألية غير فاجرة لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار لا أزال

المبحث الثاني عشر: معاوية عدو الله ورسوله وأهل بيته ٢٣٧

بباحثك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين^(١)

نلاحظ أن أمير المؤمنين علي عليه السلام يعد معاوية بلاء أبتلي به وهذا ما بحثناه في مطلع هذا المبحث، ويلاحظ أن الإمام عليه السلام يكرر أن معاوية يقوده الشيطان، وبذلك صرفه عن الآخرة، ويحذره الإمام عليه السلام من قارعة تنزل به لأنه مستحق لعذاب الله.

٧. (ما بعد فإننا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة، ففرق بيننا وبينكم أمس أنا آمننا وكفرتم، واليوم أنا استقمنا وفتنتم. وما أسلم مسلمكم إلا كرها، وبعد أن كان أنف الاسلام كله لرسول الله ﷺ حزبا وذكرت أني قتلت طلحة والزبير، وشردت بعائشة ونزلت بين المصريين، وذلك أمر غبت عنه فلا عليك ولا العذر فيه إليك وذكرت أنك زائري في المهاجرين والأنصار وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك، فإن كان فيك عجل فاسترفه، فإني إن أزرك فذلك جدير أن يكون الله إنما بعثني للنقمة منك، وإن تزني فكما قال أخو بني أسد:

مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين أغوار وجلمود
وعندي السيف الذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك في مقام واحد،
وإنك والله ما علمت لأغلف القلب المقارب العقل، والأولى أن يقال لك إنك

(١) نهج البلاغة: ٣/ ١١٣.

رقيت سلماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك، لأنك نشدت غير ضالتك، ورعيت غير سائمتك، وطلبت أمراً لست من أهله ولا في معدنه، فما أبعد قولك من فعلك. وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال حملتهم الشقاوة وتمني الباطل على الجحود بمحمد (عليه السلام)، فصرعوا مصارعهم حيث علمت، لم يدفعوا عظيماً، ولم يمنعوا حريماً بوقع سيوف ما خلا منها الوغى ولم تماشها الهوينى وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلى أحملك وإياهم على كتاب الله تعالى وأما تلك التي تريد فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصل والسلام لأهله^(١)

ما يميز هذا النص أن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يذكر معاوية بماضيه الأسود، فما إيمان معاوية وأبيه ومن يتصل به إلا خوفاً من سيف أمير المؤمنين (عليه السلام)، وما إيمانهم إلا نفاق، وما يطلبه معاوية من الخلافة فهو ليس أهل له كأعمامه وأخواله كل ذلك، لأنهم أهل شقوة وأهل باطل، وما يدبره معاوية ويخطط له إلا كما يخدع الصبي عن اللبن في أول فطامه، ويختتم الإمام كتابه بأن السلام لأهل السلام، مما يشير إلى أن معاوية ليس من أهل السلام والهدى.

بعد هذا البيان يتضح أن معاوية بن أبي سفيان فاسق وملعون وسبب في دمار الإسلام وتشويه العقيدة، وسبب لنشر الانحراف، وعداوة الله تعالى

المبحث الثاني عشر: معاوية عدو الله ورسوله وأهل بيته ٢٣٩

ورسوله وأمير المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام، وللوقوف على جرائمه وانتهاكاته
يراجع كتاب معاوية للأستاذ عبد الباقي الجزائري فقد فصل القول في ذلك
نقلا عن مصادر أبناء العامة ليكون حجة عليهم.

A vertical decorative element featuring a central rectangular box with rounded corners. Above and below the box are symmetrical, intricate geometric patterns. The top part consists of a series of pointed, interlocking shapes, while the bottom part is a mirror image of the top. The entire design is rendered in black and white.

المبحث الثالث عشر: مقدمات لشعل فتيل الحرب

بعدما كانت الرسائل بين الملعون معاوية والإمام الحسن عليه السلام تترا - وقد عرضناها في مباحث سابقة - وقد أيس معاوية فما كان منه إلا أن أخذ في تعبئة الجيش والكتابة لعماله في الوفود للعراق لغزوه، من ذلك ما كتبه لبعض عماله: (أما بعد فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوكم وقتلة خليفتم إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلا من عباده فاغتاله فقتله فترك أصحابه متفرقين مختلفين وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائهم فاقبلوا إلي حين يأتيكم كتابي هذا بجندكم وجهدكم وحسن عدتكم فقد أصبتم بحمد الله الثأر وبلغتم الأمل وأهلك الله أهل البغي والعدوان)^(١)

و هذه الرسالة الشيطانية استجاب لها أبناء الدنيا وعبيد الشيطان، فقام عمال معاوية بتحشيد الناس بحشود كبيرة لا ينقصها شيء من العدة والعدد، فزحف بهم الملعون معاوية يقود الجيش بنفسه وينوب عنه في عاصمته الضحاك بن قيس الفهري، ونزح معه ستون ألفا من الجنود وأنتهى إلى جسر منبج وهو بلد قديم بينه وبين حلب يومان، أقام فيه وجعل يحكم أمره^(٢) ولما (بلغ الحسن خبر مسيره وانه بلغ جسر منبج فتحرك لذلك وبعث

(١) ينظر: مقاتل الطالبين: ٣٩.

(٢) المصدر نفسه.

حجر بن عدي يأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير ونادى المنادي: الصلاة جامعة فأقبل الناس يثوبون ويجمعون فقال الحسن: إذا رضيت جماعة الناس فأعلمني وجاء سعيد بن قيس الهمداني فقال: اخرج فخرج الحسن - (عليه السلام) - فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اما بعد: فان الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرها. ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين (واصبروا إن الله مع الصابرين) فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون إنه بلغني ان معاوية بلغه انا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك فأخرجوا - رحمكم الله - إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظروا ونرى وتروا. قال: وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس إياه. قال: فسكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجاب بحرف. فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قال: انا ابن حاتم سبحانه الله، ما أقبح هذا المقام؟ الا تحييون إمامكم وابن بنت نبيكم أين خطباء مضر؟ أين المسلمون؟ أين الخواضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة فإذا جد الجد فرواغون كالشعالب اما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها. ثم استقبل الحسن بوجهه فقال: أصاب الله بك المرشد، وجنبك المكاره ووفقك لما يحمد ورده وصدره فقد سمعنا مقاتلتك وانتهينا إلى امرك وسمعنا منك وأطعناك فيما قلت وما رأيت وهذا وجهي إلى معسكري فمن أحب ان يوافيني فليوافي. ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب فركبها ومضى إلى النخيلة وامر غلامه ان يلحقه بما يصلحه، وكان عدي أول الناس عسكرا. ثم قام قيس بن

سعد بن عباد الأنصاري ومقل بن قيس الرياحي، وزياد ابن صعصعة التيمي فأنبوا الناس ولا موهم وحرصوهم وكلموا الحسن بمثل كلام عدي ابن حاتم في الإجابة والقبول. فقال لهم الحسن: صدقتم - رحمكم الله - ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء بالقول والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيرا ثم نزل) (١)

يلاحظ من الخبر أعلاه عدة أمور:

١. إن الإمام الحسن عليه السلام أمر حجر بن عدي بأن يأمر العمال والناس بالتجمع؛ ليلقي عليهم الإمام خطابه ويبين لهم تكليفهم ويتبين موقفهم اتجاه الأحداث.

٢. ذكر الإمام الحسن عليه السلام في خطبته الجهاد والصبر وعبر عن الجهاد بأنه كره لهم مستشهدا بمقطع من الآية الكريمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

٣. بعدما بين لهم الإمام الحسن عليه السلام خبر الملعون معاوية ذكر لهم تكليفهم بأن يعسكروا في النخيلة استعدادا للحرب وجهاد الفئة الباغية.

٤. إن سكوت الناس وتخوفهم من الحرب ليس بالأمر الجديد على الإمام عليه السلام فهم كانوا كذلك مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ذكرنا ذلك في

مباحث سابقة مستشهدين بكلامه (عليه السلام).

٥. رأى حجر بن عدي هذا الموقف المتخاذل من الناس فأخذ يحرضهم على القتال ويذكرهم بأبائهم وأبلغ فيهم النصح، وكان أول من عسكر في منطقة النخيلة ليكون قدوة للناس يقتدون به.

٦. كان موقف قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ومعل بن قيس الرياحي، وزيد ابن صعصعة التيمي مشابها لموقف عدي بن حاتم في تحريض الناس على الجهاد، فجزاهم الإمام خيرا بعدما أثنى عليهم.

٧. يعرف من ذلك أن جيش الإمام (عليه السلام) خليط لا يربط بين أفراد هـدف واحد، وهو معرض للانقسام والتفكيك لدى أي بادرة للانقسام من شأنها أن تفسد أي خطة مهما كانت حنكة القائد الذي وضع تلك الخطة^(١)

عين الحسن على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره باستحثاث الناس للشخص اليه في النخيلة. وخرج الإمام الحسن (عليه السلام) بمن معه، وكان خروجه لأول يوم من اعلانه الجهاد أبلغ حجة على الناس في سبيل استنفارهم. وانتظمت كتائب النخيلة خيار الأصحاب من شيعته وشيعة أبيه وآخرين من غيرهم. ونشط المغيرة بن نوفل لاستحثاث الناس إلى الجهاد وكان من المنتظر للعهد الجديد - الذي قوبل بالمهرجانات القوية في أسبوع

(١) ينظر: اعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي: ٤ / ١٣١ — ١٣٢.

البيعة، أن لا يتأخر أحد بالكوفة عن النشاط المتحمس لإجابة دعوة الامام. ولكن شيئاً من ذلك لم يقع !. وحتى السرايا الجاهزة التي كان أمير المؤمنين علي عليه السلام قد أعدها للكرة على جنود الشام قبيلوفاته وكانت تعد أربعين الف مقاتل قد انفرط عقدها وتمرد أكثرها، وتناقل معها أكثر حملة السلاح في الكوفة عن الانصياع للأمر. وكان المذبذبون من رؤساء الكوفة، أشدهم نشاطاً في اللحظة الدقيقة التي أزفت فيها ساعة الجد^(١).

بعدما أقام الإمام الحسن عليه السلام في النخيلة ونظم جيشه، ارتحل إلى دير عبد الرحمن فأقام فيها ثلاثة أيام ليلتحق به المتخلفون من جنده، واختار في مقدمة جيشه خلص أصحابه والماهرين في الحروب، وكان عددهم اثني عشر ألفاً، وأعطى القيادة العامة لابن عمه عبيد الله بن عباس، وقبل تحرك الجيش أوصى الإمام قائد الجيش بقوله: (يا ابن عم ! اني باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقراء المصر، الرجل منهم يزيد الكتيبة، فسر بهم، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدّهم من مجلسك، فإنهم بقية ثقات أمير المؤمنين. وسر بهم على شط الفرات، ثم امض، حتى تستقبل بهم معاوية، فان أنت لقيته، فاحتبسه حتى آتيك، فاني على أثرك وشيكاً. وليكن خبرك عندي كل يوم، وشاور هذين - يعني قيس بن سعد وسعيد بن قيس - . وإذا

(١) ينظر: صلح الإمام الحسن: ١٠١

لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك، فان فعل، فقاتله. وإن أُصبت، فقيس بن سعد على الناس، فان أُصيب فسعيد بن قيس على الناس) ^(١)

و بيّن الشيخ المفيد فئات جيش الإمام الحسن (عليه السلام) بقوله: (معه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه (عليه السلام)، وبعضهم محكمة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين) ^(٢)

و يُعلق على كلام الشيخ المفيد بنقاط ^(٣):

١. وجود المحكمة أي الخوارج لا يفسر إلا طمعا بالحصول على العطاء أو للتقوي على قتال معاوية.

٢. أصحاب المطامع يطمعون بما لدى معاوية فهو ينطلق من دون موازين العدالة أو الشرع، وما وجودهم في جيش الإمام الحسن (عليه السلام) إلا للتجسس.

٣. الشكاكون لا يمكن الاعتماد عليهم لأنهم شكوا في الإمام علي وابنه الإمام الحسن (عليه السلام)، وبذلك لا يملكون الدافع للحرب.

(١) موسوعة سيرة أهل البيت، الإمام الحسن بن علي، الشيخ باقر شريف القرشي، مطبعة ستار، دار المعرفة، النجف الأشرف، ١٠١٢م، ط٢: ١١ / ٧٧ — ٧٨

(٢) الإرشاد: ٢ / ١٠

(٣) ينظر: سيرة الإمام الحسن في الحديث والتاريخ: ٧ / ٢٧٨ — ٢٨٠

٤. اتباع الرؤساء لا وزعماء القبائل تكون تحركاتهم عشائرية وعصبيتهم قبلية ولا يملكون إرادة.

٥. إن فئة الشيعة في جيش الإمام لا تنسجم مع الفئات الأخرى، وبذلك تكون على نقیض تام معها في مختلف الاتجاهات.

و هذه تشكيلة الجيش الكوفي تمثل عصابات تستهويها أهواء أهلها، لا يهتدون إلى سبيل، متشتتون خلف إمام، متفرقون تحت رايته، يتنازعون المصير ويقترحون على الإمام، لا يهتدون بهداه، ولا يسيرون بأمره، أفسدتهم الأهواء، وهدت أركانهم صيحات الحروب، وتزلزلوا بالفتن والمطامع، فلا خير يرتجى منهم، ولا منفعة بهم...^(١)

فسار عبيد الله حتى انتهى إلى شينور (موضع في العراق)، حتى خرج إلى شاهي (موضع قرب القادسية)، ثم لزم الفرات والفلوجة، حتى أتى مسكن، وقابل العدو وجها لوجه وبدت بوادر الفتنة وسائس معاوية وروجت الشائعة (أن الحسن يكاتب معاوية على الصلح فلم تقتلون أنفسكم)^(٢) وارتبك الموقف أمام قائد الجيش وسرت همهمة في الجيش عن صدق الشائعة أو كذبها، فافترق الجيش بين مصدق لها ومكذب بها، ولم يحاول عبيد الله بن عباس أن يتأكد من

(١) ينظر: الحسن بن علي رجل الحرب والسلام، السيد محمد علي الحلو، دار المتقين، بيروت،

لبنان، نشر مؤسسة مسجد الكوفة المعظم، ٧٢ — ٧٣

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي: ١٦ / ٤٠

هذه الشائعة، وبينما هم يعيشون هذه الأوهام وصلت رسائل معاوية لقائد الجيش عبيد الله تجمل بين طياتها الإغراء ومن تلك الرسائل: أن الحسن قد راسلني في الصلح، وهو مسلم الأمر إليّ، فإن دخلت في طاعتي كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع. وجعل له فيها ألف ألف درهم^(١)

أما الإمام الحسن فقد أتى: (دير كعب ثم بكر فنزل ساباط دون القنطرة فلما أصبح نادى في الناس: الصلاة جامعة فاجتمعوا وصعد المنبر فخطبهم فحمد الله فقال: الحمد لله كلما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمداً رسول الله أرسله بالحق وائتمنه على الوحي، ﷺ. أما بعد، فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا انصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له سوءاً ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، الا واني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري ولا تردوا علي رأيي غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا. قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض، وقالوا: ما ترونه، يريد بما قال ؟ قالوا: نظنه والله يريد ان يصالح معاوية ويسلم الامر إليه فقالوا: كفر والله الرجل ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى اخذوا مصلاه من تحته، ثم شد عليه عبد الرحمان ابن عبد الله بن جعال الأزدي

(١) ينظر: اعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي: ٤ / ١٣٤.

فنزح مطرفه عن عاتقه، فبقي جالسا متقلدا السيف بغير رداء، ثم دعا بفرسه
فركبه، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته، ومنعوا منه من اراده ولاموه
وضعفوه لما تكلم به فقال: ادعوا لي ربعة وهمدان فدعوا له فأطافوا به، ودفعوا
الناس عنه ومعهم شوب من غيرهم، فقام إليه رجل من بني أسد من بني نصر
بن قعين يقال له الجراح بن سنان فلما مر في مظلم ساباط قام إليه فأخذ بلجام
بغلته وبيده معول فقال: الله أكبر يا حسن أشركت كما أشرك أبوك من قبل ثم
طعنه فوقعت الطعنة في فخذه فشقته حتى بلغت اربيته فسقط الحسن إلى
الأرض بعد ان ضرب الذي طعنه بسيف كان بيده واعتنقه وخرا جميعا إلى
الأرض فوثب عبد الله بن الخطل فنزع المعول من يد الجراح بن سنان
فخضخضه به واكب ظبيان ابن عمارة عليه فقطع انفه ثم اخذوا الأجر فشدخوا
وجهه ورأسه حتى قتلوه. وحمل الحسن على سرير إلى المدائن وبها سعد بن
مسعود الثقفي واليا عليها من قبله، وكان علي ولاه فأقره الحسن بن علي، فأقام
عنده يعالج نفسه. قال: ثم إن معاوية وافى حتى نزل قرية يقال لها الحيوضية
بمسكن، فأقبل عبد الله بن العباس حتى نزل بإزائه، فلما كان من غد وجه
معاوية بخيله إليه فخرج إليهم عبيد الله بن العباس فيمن معه، فضربهم حتى
ردهم إلى معسكرهم، فلما كان الليل ارسل معاوية إلى عبيد الله بن العباس ان
الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلم الامر إلي فان دخلت في طاعتي الآن
كنت متبوعا وإلا دخلت وأنت تابع ولك إن جئتني الآن ان أعطيك ألف ألف

درهم، يعجل لك في هذا الوقت النصف وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فانسل عبيد الله ليلاً فدخل عسكر معاوية فوفى له بما وعده فأصبح الناس ينتظرون أن يخرج فيصلي بهم فلم يخرج حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة ثم خطبهم فقال: أيها الناس: لا يهولنكم ولا يعظمن عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورع أي الجبان إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط، إن أباه عم رسول الله صلى الله عليه وآله خرج يقاتله ببدر فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخذ فداءه فقسمه بين المسلمين، وإن أخاه ولاه علي أمير المؤمنين على البصرة فسرق مال الله ومال المسلمين فاشترى به الجواري وزعم أن ذلك له حلال وإن هذا ولاه علي اليمن فهرب من بسر بن أرطاة وترك ولده حتى قتلوا وصنع الآن هذا الذي صنع. قال فتنادى الناس: الحمد لله الذي أخرجه من بيننا فانفض بنا إلى عدونا فنهض بهم. وخرج إليهم بسر بن أرطاة في عشرين ألفاً فصاحوا بهم: هذا أميركم قد بايع وهذا الحسن قد صالح فعلام تقتلون أنفسكم.)^(١)

يكشف هذا النص عدة أمور منها:

١. إن خطاب الإمام الحسن عليه السلام في القوم لإلقاء الحجة وتذكيرهم، ويحثهم على الجماعة ويرشدهم للمحبة.

٢. إن الإشاعة التي نشرها اعلام الملعون معاوية قد أخذت تأثيرها في القوم، فأصبحوا لا يصغون للإمام وخطابه، فظنوا أنه يريد الصلح مع معاوية، وكفّروا الإمام كما فعل الخوارج مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا هو فعل الفرق المنحرفة في جيش الإمام.

٣. إن نفوس القوم أصبحت في أسفل درجات الانحطاط، فارتكبوا جريمة نكراء، ومن انحطاطهم أن بعضهم جعل ينهب بعضا، لم يكتفوا بذلك بل عمدوا إلى أمتعة الإمام عليه السلام ونهبوها.^(١)

٤. إن هذا الجيش المتخاذل مستعد لقتل الإمام الحسن عليه السلام أو تسليمه لمعاوية، وقد حدث محاولة اغتيال الإمام عليه السلام عدة مرات منها: أنه كان يصلي فرماه شخص بسهم فلم يصبه، وكذا ما ذكره النص أعلاه أن الجراح بن سنان طعن الإمام عليه السلام في فخذه، وكذا طعن بخنجر في صلاته^(٢)

٥. إن انسلاخ عبيد الله بن عباس ليلا لمعسكر معاوية طمعا في الدنانير، جعل الجيش يعيش حالة الخذلان واليأس.

٦. خطاب قيس بن عباد في القوم وتذكيرهم بالماضي الأسود لعبيد الله بن عباس، فانطلقت الحناجر في اطاعة قيس، والثقة بالقائد الجديد.

(١) ينظر: موسوعة سيرة أهل البيت، الإمام الحسن بن علي: ١١ / ١٠٥

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١١ / ١٠٦ — ١٠٨

و لم تكن خيانة عبيد الله بن عباس الفريدة والوحيدة بل توالى بعدها الخيانات ومن ذلك^(١)

١. إن معاوية دس إلى عمرو بن حريث والأشعث بن قيس وحجار بن أبجر وشبث بن ربعي دسيسا وأخبرهم أنه من قتل الحسن فله مئة ألف درهم، وجند من أجناد الشام، وبنت من بناته.

٢. القائد الذي بعثه الإمام الحسن (عليه السلام) في أربعة آلاف، فلما نزل الأنبار بعث إليه معاوية بخمسمائة ألف درهم، ووعد بولاية في الشام، فصار إليه في مائتين من خاصته.

٣. فرّ مع عبيد الله بن عباس ثمانية آلاف من أصحابه، وكلهم قد التحقوا بالملعون معاوية.

و لم يقف الأمر عند هذا الحد فقد شاع في المدائن بأن قيس بن سعد القائد في جيش الإمام الحسن (عليه السلام) قد صالح معاوية والتحق به ولاقت هذه الإشاعة رواجاً في نفوس الجيش، وأشيع أن الإمام الحسن (عليه السلام) قد صالح معاوية في مسكن، وكانت هذه الإشاعات أسلحة لمعاوية مع أسلحته في الرشاوي^(٢)

و بذلك استطاع معاوية أن ينشئ جهازاً إعلامياً في خدمة سياسته منذ

(١) ينظر: اعلام الهدية، الإمام الحسن المجتبي: ٤/ ١٣٦ - ١٣٨

(٢) ينظر: صلح الحسن غدير عز ولغز جهاد، الشيخ أحمد محمد إسماعيل، دار الهادي، بيروت،

لبنان، ٢٠٠٣م، ط ١: ١٠٠

اليوم الأول لغصبه للحكم ، فقد استطاع أن يطوق أهل الشام بطوق من العزل الفكري التام عما يجري في البلاد الإسلامية حتى أن أهل الشام لا يعرفون قرابة لرسول الله ﷺ سوى بني أمية، وهذا الاعلام المضل لم يقف على هذا الحد بل تعداه إلى إثارة الفتن والاضطرابات وبأبشع الصور وأقذره^(١)

و بعد انتشار تلك الإشاعات أرسل معاوية وفدا مؤلف من المغيرة بن شعبة وعبد الله بن كريز وعبد الرحمن بن الحكم: (إلى الحسن ع) للتفاوض، وقيل أنهما رسولان، ويقال أنهم عرضوا عليه كتباً تسلمها معاوية من عدد من الخونة في الكوفة. واطلع عليهما الحسن ع ولكنها لم تفاجئه لمعرفته بحقيقة الناس واختلاف أهوائهم ومشاربهم. وخرج الرسولان أو الثلاثة من الخيمة وبدأ كل منهما يحدث صاحبه بصوت جهير يسمعون الناس أن الله قد حقن بآبن رسول الله الدماء وسكن به الفتنة وأجاب إلى الصلح، فاضطرب العسكر، ولم يشكو في صدقهم. وتلقفت الخوارج الموجودون في داخل المعسكر هذه الإشاعات فثارت ثائرتهم على الصلح وثار معهم النفعيون وضعاف النفوس، وسرعان ما عمت الفوضى وشاعت البلبلة وفقد الجيش وحدته ونظامه

(١) ينظر: الإمام الحسن المجتبي بين الواقع السياسي والبناء العقائدي، الأستاذ الدكتور، عامر عمران الخفاجي، مركز الإمام الحسن للدراسات التخصصية، النجف الأشرف، ٢٠١٩م، ط ١:

وانضباطه^(١)

قال الشيخ المفيد مبينا موقف الإمام الحسن (عليه السلام) بعد تلك الأحداث: (فازدادت بصيرة الحسن (عليه السلام) بخذلان القوم له، وفساد نيات المحكمة فيه بما أظهره له من السب والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلا خاصة من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام. فكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه التي ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه، واشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطا كثيرة وعقد له عقودا كان في الوفاء بها مصالح شاملة، فلم يثق به الحسن (عليه السلام) وعلم احتياله بذلك واغتياله، غير أنه لم يجد بدا من إجابته إلى ما التمس (من ترك) الحرب وإنفاذ الهدنة، لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر في حقه والفساد عليه والخلف منهم له، وما انطوى كثير منهم عليه في استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه، وما كان في خذلان ابن عمه له ومصيره إلى عدوه، وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم في الآجلة...)^(٢)

(١) الإمام الحسن بن علي، الشيخ محمد حسن آل ياسين، مركز الإمام الحسن للدراسات

التخصصية، النجف الأشرف، ٢٠١٧م، ط ١: ٨٠ — ٨١

(٢) الإرشاد: ٢/ ١٤

A vertical decorative element featuring a central rectangular box with rounded corners. Above and below the box are symmetrical, intricate geometric patterns. The top part consists of a series of pointed, interlocking shapes, while the bottom part is a mirror image of the top. The central box contains the title text in Arabic.

المبحث الرابع عشر: الهدنة وأسبابها ونتائجها

إنَّ كل باحث وكاتب عن الإمام الحسن عليه السلام قد أشبع البحث في الهدنة أو الصلح، بل بعضهم كتب كتاباً مستقل في ذلك ككتاب صلح الإمام الحسن للشيخ راضي آل ياسين وكتاب صلح الحسن غدير عز ولغز جهاد للشيخ أحمد محمد إسماعيل، وكتاب الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي للسيد سامي البدري.

و لكي لا نكرر ما كتبوه نكتب هذا المبحث بأسلوب متباين عنهم، فأقول: بعدما تسارعت الأحداث وتوالى الخيانات وانتشرت الإشاعات بصلح الإمام الحسن عليه السلام كما قدمنا ذلك في المبحث السابق، لم يكن من الإمام عليه السلام إلا أن يلقي الحجة عليهم فقام خطيباً فيهم في عدة مواطن:

١. عن زياد البكائي عن عوانة خطيباً في الناس فقال: (يا أهل العراق إنه سخرى بنفسى عنكم ثلاث قتلكم أبى وطعنكم إياي وانتها بكم متاعي)^(١) قال ثم إن الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر خرجوا بحشمتهم وأثقالهم حتى أتوا الكوفة فلما قدمها الحسن وبرأ من جراحته خرج إلى مسجد الكوفة فقال: (يا أهل الكوفة اتقوا الله في جيرانكم وضيغانكم وفي أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فجعل الناس ييكون)^(٢)

(١) تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان:

إن الإمام الحسن (عليه السلام) يذكرهم بفعلتهم الشنعاء وأنهم قد طعونه وانتهكوا متاعه، وأنه جارهم وابن بنت نبيهم فعليهم أن يحسنوا الضيافة أن كانوا عرباً كما يزعمون، ولا يعني خطابه لأهل العراق أنه يقصد كل العراقيين بل يقصد الفئات المنحرفة في جيشه.

٢. خطب الإمام الحسن (عليه السلام) في قومه قائلاً: (أما والله ما ثننا عن قتال أهل الشام ذلة ولا قلة ولكن كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع وكنتم تتوجهون معنا ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم وكنا لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا. ثم أصبحتم تصدون قتيلين: قتيلاً بصفين تبكون عليهم، وقتيلاً بالنهر وان تطلبون بثأرهم، فأما الباكي فخاذل، وأما الطالب فتائر)^(١)

إن الإمام الحسن (عليه السلام) يقارن بين قتال معاوية في عهد أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين عهده، فقد أصبحوا يقاتلون ويدنهم خلف دنياهم، فقدموا دنياهم، فأخذوا يتباكون على قتلى صفين والنهر وان.

٣. (إن معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فان أردتم الحياة قبلناه منه، وأغضضنا على القذى، وإن أردتم الموت، بذلناه في ذات الله،

وحاكمناه إلى الله. فنأدى القوم بأجمعهم بل البقية والحياة) ^(١)

إن الإمام عليه السلام خيرهم بين القتل في سبيل الله أو الصبر على الحياة، فاختاروا الحياة، وبذلك يكون الصلح حجة عليهم.

و بعد هذا البيان نذكر سؤالين: الأول: ماذا لو أصر الإمام الحسن عليه السلام على الحرب؟ الثاني: هل ما حصل هدنة أو صلح؟

و يجاب عن السؤال الأول بعدة نقاط ^(٢)

الأولى: التمرد العام الذي سيحصل في جيش الإمام الحسن عليه السلام، لا سيما بعد خيانة قادة الجيش كما بينا سابقاً، وقد علمنا أن كثيراً منهم طلب الهدنة و هتفوا بذلك وقد استحبوا الحياة الدنيا وزهدوا في الآخرة.

الثانية: لا يسع أولئك المتخاذلون في الجيش إلا أن يسلموا الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية ويوثقوه دون أن يقدر أحد من دفع ذلك عن الإمام عليه السلام، وقد عرفنا أنهم بلغوا معاوية لو شاء لأخذوا الإمام مكتوفاً!!! وإذا سلم الإمام إلى معاوية فسيضعف معاوية ويستبدل الأمر بأبناء الطلقاء، وبذلك يصور التأريخ أن معاوية رجل صلاح وفيه تظهر العدالة والإحسان.

الثالثة: وإذا لم يتمكن أولئك الشرذمة الضالون من تسليم الإمام عليه السلام

(١) بحار الأنوار: ٤٤ / ٢١.

(٢) ينظر: الحسن بن علي رجل الحرب والسلام: ١٢٢ — ١٢٤.

فإنهم سيتمكنون من اغتيال الإمام (عليه السلام)، وقد ذكرنا محاولات اغتياله في المبحث السابق، وبالنتيجة سيطعن على الإمام (عليه السلام) بأنه قد صفى على يد أصحابه، وسيكون ذلك حجة لدى الأعداء في الطعن على شيعة أهل البيت (عليهم السلام).

الرابعة: سيسجل التاريخ مكرمة معاوية وقد طلب وقف إراقة الدماء وحرصه المزيف على وحدة المسلمين، وبالمقابل سينعى التاريخ على الإمام الحسن (عليه السلام) تشدده حيال موقفه من الحرب وإصراره على القتال.

و نجيب على السؤال الثاني فنقول: إنَّ الإمام الحسن (عليه السلام) نفسه يسمي ذلك بالهدنة ولم يسميه بالصح وما يؤكد على ذلك النص الذي نقله العلامة المجلس إذ قال: (عن أبي سعيد عقيصا قال: قلت للحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام): يا ابن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته، وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ؟ فقال: يا با سعيد أأستحجة الله تعالى ذكره على خلقه، وإماما عليهم بعد أبي (عليه السلام)؟ قلت: بلى، قال: أأست الذي قال رسول الله (ﷺ) لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قلت: بلى، قال: فأنا إذن إمام لو قمت، وأنا إمام إذا قعدت، يا با سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله (ﷺ) لبني ضمرة وبني أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل، يا با سعيد إذا كنت إماما من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيت من مهادنة

أو محاربة، وإن كان وجهه الحكمة فيما أتته ملتبسا. ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله، لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي، هكذا أنا سخطم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل^(١) يلاحظ قول الإمام عليه السلام: يا با سعيد إذا كنت إماما من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتته من مهادنة أو محاربة. فعبر الإمام عليه السلام بالهدنة ولم يعبر بالصلح، وقد بين ذلك الشيخ الصدوق بقوله: (قد ذكر محمد بن بحر الشيباني رضي الله عنه في كتابه المعروف بكتاب " الفروق بين الأباطيل والحقوق " في معنى موادة الحسن بن علي بن أبي طالب لمعاوية فذكر سؤال سائل عن تفسير حديث يوسف بن مازن الراسبي في هذا المعنى والجواب عنه وهو الذي رواه أبو بكر محمد بن الحسن بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري قال: حدثنا أبو طالب زيد بن أحزم قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا القاسم بن الفضل، قال: حدثنا يوسف بن مازن الراسبي قال: بايع الحسن بن علي صلوات الله عليه معاوية على أن لا يسميه أمير المؤمنين، ولا يقيم عنده شهادة، وعلى أن لا يتعقب على شيعة علي عليه السلام شيئا، وعلى أن يفرق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قتل مع أبيه بصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج

دارابجرد. قال: وما أَلطف حيلة الحسن صلوات الله عليه في إسقاطه إياه عن إمرة المؤمنين قال يوسف: فسمعت القاسم بن محيمة يقول: ما وفى معاوية للحسن بن علي صلوات الله عليه بشيء عاهده عليه وإني قرأت كتاب الحسن (عليه السلام) إلى معاوية يعدد عليه ذنوبه إليه وإلى شيعة علي (عليه السلام) فبدأ بذكر عبد الله بن يحيى الحضرمي ومن قتلهم معه. فنقول: رحمك الله إن ما قال يوسف بن مازن من أمر الحسن (عليه السلام) ومعاوية عند أهل التميز والتحصيل تسمى المهادنة والمعاهدة، ألا ترى كيف يقول " ما وفى معاوية للحسن بن علي بشيء عاهده عليه وهادنه " ولم يقل بشيء بايعه عليه، والمبايعة على ما يدعيه المدعون على الشرائط التي ذكرناها، ثم لم يف بها لم يلزم الحسن (عليه السلام). وأشد ما ههنا من الحجة على الخصوم، معاهدته إياه على أن لا يسميه أمير المؤمنين، والحسين (عليه السلام) عند نفسه لا محالة مؤمن فعاهده على أن لا يكون عليه أميرا، إذ الأمير هو الذي يأمر فيؤتمر له.^(١)

إن الإمام الحسن (عليه السلام) لم يصالح معاوية على الإطلاق، وإنما جعل بينه وبين معاوية هدنة، والهدنة تعني إيقاف الحرب فترة مؤقتة، وإن عبّر عن هذا بالصالح وذلك بمعنى التوافق على وقف الحرب فحسب، ومن الشواهد التي تؤكد على الهدنة: إن الإمام الحسن (عليه السلام) مسيطر على زمام الأمور بعد أن تشتت

الجيش بأضاليل معاوية وإشاعاته الباطلة ، والشاهد الآخر أن معاوية أراد قتل عمر بن العاص المستشار الأول له بعدما أكد له أن الصلح لن يتم أبداً ، وبالتالي فإن الصلح إنما هو لشعل فتيل الفتنة في جيش الإمام الحسن عليه السلام.^(١)

إن السياسة الأموية والعباسية ركزوا على مصطلح الصلح مع معاوية وجعلوا منه العنوان الأهم في سيرة الإمام الحسن عليه السلام؛ وهم بذلك يصححون سيرة معاوية المملوكة بالفسق والفجور والعصيان والطغيان والظلم، وفاتهم أن الإمام الحسن عليه السلام كشف لثام معاوية وأظهره على حقيقته وانكشفت سريرته القبيحة أمام جميع المسلمين وبجميع مذاهبهم ومشاربهم.

و بنود الهدنة التي عقدها الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية هي^(٢):

١. تسليم الامر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبسيرة الخلفاء الصالحين.

٢. أن يكون الامر للحسن من بعده، فان حدث به حدث فلا أخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد.

٣. أن يترك سبَّ أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة، وأن لا يذكر علياً

الا بخير.

(١) ينظر: الإمام الحسن بن علي شجاعه قيادة وحكمة سياسية، الشيخ إبراهيم حسن البغدادي،

تقرير أبحاث الشيخ محمد السند: ٦٦ — ٧٠

(٢) ينظر: صلح الإمام الحسن: ٢٥٩ — ٢٦٠

٤. استثناء ما في بيت المال الكوفة، وهو خمسة آلاف الف فلا يشملها تسليم الامر. وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام ألف درهم، وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس، وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار ابجر.

٥. على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وان يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق باحنة وعلى أمان أصحاب عليّ حيث كانوا، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي بمكروه، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وان لا يتعقب عليهم شيئاً، ولا يتعرض لاحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب أصحاب عليّ حيث كانوا... وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لاحد من أهل بيت رسول الله، غائلة، سرّاً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم، في أفق من الآفاق.

وقد اعدّ بعض الباحثين المادة الرابعة التي تخص استثناء ما في بيت مال الكوفة من موضوعات الأمويين أو العباسيين لتشويه صورة أهل البيت عليهم السلام وبخاصة الإمام الحسن عليه السلام باعتبار أن هذه المادة لا تتناسب وشأن الإمام

عليه السلام. والله العالم.^(١)

و من أسباب الهدنة التي ذكرتها نصوص أهل البيت عليهم السلام وبالأخص
عن الإمام الحسن عليه السلام من ذلك:

١. عن عمر بن أبي نصر عن سدير قال: (قال أبو جعفر عليه السلام ومعنا
ابني، يا سدير أذكر لنا أمرك الذي أنت عليه فإن كان فيه اغراق كففناك عنه
وإن كان مقصرا أرشدناك قال فذهبت ان أتكلم فقال أبو جعفر عليه السلام أمسك
حتى أكفيك ان العلم الذي وضع رسول الله ﷺ عند علي عليه السلام من عرفه كان
مؤمنا ومن جحدته كان كافرا، ثم كان من بعده الحسن عليه السلام قلت: كيف يكون
بذلك المنزلة وقد كان منه ما كان دفعها إلى معاوية ؟ فقال: اسكت فإنه أعلم بما
صنع لولا ما صنع لكان أمر عظيم)^(٢)

إن الإمام الباقر عليه السلام نهر الراوي سدير وأمره بالسكوت، وعللّ فعل
الإمام الحسن عليه السلام بعلمه بالإمامة ولولا لم يفعل ذلك لكان الأمر عظيم.

٢. عن سليم بن قيس قال: (قام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام على
المنبر حين اجتمع مع معاوية، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إن
معاوية زعم أنني رأيته للخلافة أهلا، ولم أر نفسي لها أهلا، وكذب معاوية أنا

(١) ينظر: اعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي: ٤ / ١٤٧ — ١٤٨

(٢) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٦م:

أولى الناس بالناس، في كتاب الله، وعلى لسان نبي الله، فاقسم بالله لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما طمعت فيها يا معاوية، وقد قال رسول الله ﷺ: ما ولت أمة أمرها رجلا قط وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالا، حتى يرجعوا إلى ملة عبدة العجل. وقد ترك بنو إسرائيل هارون، واعتكفوا على العجل، وهم يعلمون أن هارون خليفة موسى، وقد تركت الأمة عليا (عليه السلام) وقد سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلي (عليه السلام): " أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبي بعدي " وقد هرب رسول الله ﷺ من قومه، وهو يدعوهم إلى الله، حتى فر إلى الغار، ولو وجد عليهم أعوانا ما هرب منهم، ولو وجدت أنا أعوانا ما بايعتك يا معاوية. وقد جعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه، ولم يجد عليهم أعوانا، وقد جعل الله النبي ﷺ في سعة حين فر من قومه، لما لم يجد أعوانا عليهم، وكذلك أنا وأبي في سعة من الله، حين تركتنا الأمة وبايعت غيرنا ولم نجد أعوانا. وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضا، أيها الناس إنكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب لم تجدوا رجلا من ولد نبي غيري وغير أخي^(١)

إن الإمام الحسن (عليه السلام) في خطابه رد على معاوية كذبه، فالإمام أولى الناي

بالناس وبالقرآن وبالنبي ﷺ، وقد شبه لهم الإمام موقفه بموقف هارون أخي موسى عليه السلام وما اقترفوه بنو إسرائيل من جريمة بعبادتهم العجل ولم يهتدوا بهداية النبي هارون عليه السلام، حته كادوا يقتلونه لأنه استضعفوه، فكذا الأمر مع الإمام وتلك السنن والأمثال يتبع بعضها بعضا.

٣. عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير الحضرمي عن أبيه، قال: (قلت للحسن بن علي: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة؟ فقال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمات ويحاربون من حاربت فتركها ابتغاء وجه الله، ثم أثيرها بأتياس أهل الحجاز)^(١)

لعل هذه الرواية صدرها خاطيء وذيلها صحيح، أما الخاطيء فقد علمنا في مبحث سابق تخاذل القوم عن نصرة الإمام الحسن ونصرة أبيه عليه السلام فكيف تقول الرواية أنهم يسالمون من سالم ويحاربون من حارب!!! وأما الصحيح فإن الإمام عليه السلام ترك الخلافة وعقد الهدنة مع معاوية ابتغاء وجه الله تعالى وعملا بتكليفه الظاهري والباطني.

٤. عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (جاء رجل من أصحاب الحسن عليه السلام يقال له: سفيان بن ليلى وهو على راحلة له، فدخل على الحسن وهو

(١) ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، تحقيق: عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ط ١: ٧٨.

محب في فناء داره فقال له: السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال له الحسن: انزل ولا تعجل، فنزل فعقل راحلته في الدار، وأقبل يمشي حتى انتهى إليه قال فقال له الحسن: ما قلت؟ قال: قلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين، قال وما علمك بذلك؟ قال: عمدت إلى أمر الأمة، فخلعته من عنقك، وقلدته هذا الطاغية، يحكم بغير ما أنزل الله، قال: فقال له الحسن (عليه السلام): سأخبرك لم فعلت ذلك. قال: سمعت أبي (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لن تذهب الأيام والليالي حتى يلي أمر هذه الأمة رجل واسع البلعوم، رحب الصدر يأكل ولا يشبع وهو معاوية، فلذلك فعلت. ما جاء بك؟ قال: حبك، قال: الله؟ قال: الله، فقال الحسن (عليه السلام): والله لا يحبنا عبد أبدا ولو كان أسيرا في الديلم إلا نفعه حبنا، وإن حبنا ليساقط الذنوب من بني آدم كما يساقط الريح الورق من الشجر^(١)

إن سفيان بن ليلى المتعصب الجاهل كغيره ممن سلم على الإمام بقوله: يا مذل المؤمنين، فما كان من الإمام الحسن (عليه السلام) إلا أن وضح له ما قد ألتبس عليه من الأمر وحديثه الإمام بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبذلك يخبره بأن كل ما يفعله هو بأمر رسول الله وتوجيهه.

٥. عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (والله الذي صنعه الحسن ابن علي (عليهما السلام) كان

خيرا لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس، والله لقد نزلت هذه الآية ﴿الْمُرْءَى إِلَى

الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴿٧٧﴾ النساء: ٧٧: إنما هي طاعة الإمام، و[لكنهم] طلبوا القتال " فلما كتب عليهم القتال " مع الحسين عليه السلام ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ النساء: ٧٧ نجب دعوتك، ونتبع الرسل أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام ^(١)

إن هذه الرواية قد وضحتها العلامة المجلسي بقوله: قوله عليه السلام: " إنما هي طاعة الإمام " أي المقصود في الآية طاعة الإمام الذي ينهى عن القتال، لعدم كونه مأمورا به، ويأمر بالصلاة والزكاة، وسائر أبواب البر، والحاصل أن أصحاب الحسن عليه السلام كانوا بهذه الآية مأمورين بطاعة إمامهم في ترك القتال، فلم يرضوا به، وطلبوا القتال، فلما كتب عليهم القتال مع الحسين عليه السلام قالوا: ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب أي قيام القائم عليه السلام. ^(٢)

وقد ذكر السيد الشهيد محمد الصدر أن صلح الإمام الحسن عليه السلام مرتبط بالتخطيط الإلهي العام للبشرية، قال: (إن الإمام الحسن عليه السلام حين يرى أن الحق متمثل فيه وفي جماعته، وأنهم هم الحاملون الحقيقيون للأطروحة العادلة. ويرى — إلى جنب ذلك — إن المنازلة العسكرية، بعد الخيانات التي حصلت في جيشه والإشاعات الهدامة التي انبثت فيه، يرى أن المنازلة مستنبطة للقضاء عليه

(١) بحار الأنوار: ٤٤ / ٢٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

وعلى كل المؤمنين به واستئصالهم، وهذا يعني انعدام جانب الحق في العالم، وبقاء معاوية على مسرح الإسلام ليدعي أنه الحامل الحقيقي للإسلام. وبذلك تنطمس تماما الأطروحة العادلة الكاملة، ومع انطماستها لا معنى لتربية المخلصين تجاهها، كما هو معلوم، وبذلك يتخلف شرطان من شرائط اليوم الموعود أو الدولة العالمية...^(١)

لقد نقض معاوية جميع شروط الهدنة، فقد صرح قائلاً: (يا أهل الكوفة، أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وألي رقابكم، وآتاني الله ذلك وأنتم كارهون) ثم أردف قائلاً (وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين)^(٢)

إن هذا التصريح من معاوية يثبت أنه فاسق ومنافق ولا عهد ولا وفاء له. وأخذ معاوية في نقض الشروط شرطا شرطا، فقد رجع إلى دمشق وأمر بجمع الناس فقام خطيبا فيهم، فقال: إن رسول الله قال لي: إنك ستلي الخلافة من بعدي، فاختر الأرض المقدسة فإن فيها الأبدال، وقد اخترتكم فالعنوا أبا

(١) اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني، السيد الشهيد محمد الصدر، دار ومكتبة البصائر، بيروت، لبنان، ٢٠١١م: ٨٠٧

(٢) ينظر: الإمام الحسن بن علي، الشيخ محمد حسن آل ياسين، مركز الإمام الحسن للدراسات التخصصية، النجف الأشرف، ٢٠١٧م، ط ١: ٩٥

تراب. فأخذ الناس في لعنه وانتقاصه.^(١)

إن معاوية كذب على رسول الله ﷺ، متى قال له رسول الله أن ستلي الخلافة، وقد كان رسول الله يلعنه!!! وقد مرّ بنا في مبحث سابق أحاديث رسول الله وأمير المؤمنين صلى الله عليهما وآلهما وسلم في لعنه، ومعاوية استخف قومه فأطاعوه سب أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي من سبه فقد سب رسول الله ﷺ ومن سب رسول الله فقد سب الله تعالى، وبذلك نقض معاوية شرط عدم سب أمير المؤمنين عليه السلام.

و لم يقف الأمر عند هذا الحد فقد حال أهل البصرة بين الإمام الحسن عليه السلام وبين خراج أبحر وقالوا: فيئنا، وكان منعهم معاوية، ولم يوف معاوية بشرط الأمان العام، والأمان لشيعته أمير المؤمنين على الخصوص، وقد وصف المؤرخون ما تعرض له الشيعة بالكوارث الداجية، وبعض القضايا التي نكب معاوية الشخصيات الممتازة من أصحاب أمير المؤمنين^(٢)

و أكد جميع المؤرخين أن الهدنة بشروطها لم تلق من معاوية أية رعاية تناسب العهود والمواثيق، فقد كانت أفاعيله نكراء، فكان بأمره أول رأس

(١) ينظر: موسوعة سيرة أهل البيت، الإمام الحسن بن علي: ١١ / ٣٤٠

(٢) ينظر: صلح الحسن: ٢٦٤

شيعة في الإسلام يطاف به البلدان، وكان بأمره أول إنسان يدفن حيا في الإسلام وكذا بسببه أول امرأة تسجن في الإسلام، كل ذلك بأمر معاوية^(١) وبذلك يكون معاوية قد جنى على نفسه فقد ظهر بطلان خلافته وأشتهر كذبه بين الناس وظهرت مظلومية أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وابنه الإمام الحسن (عليه السلام)، وانكشف ذلك بوضوح عندما اختلاط العراقيون بالشاميين في الحج ليشهدوا الحقائق التي غيبتها عنهم معاوية بإعلامه الكاذب وإشاعاته الباطلة^(٢)

(١) ينظر: أعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي: ٤ / ١٨٢ — ١٨٣

(٢) ينظر: الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي، السيد سامي البدري، دار الفقه للطباعة

والنشر، قم، ٢٠١٢م، ط١: ٥٦٧

المبحث الخامس عشر: الهجرة من الكوفة والمأوى في
المدينة المنورة

المبحث الخامس عشر: الهجرة من الكوفة والمأوى في المدينة المنورة ٢٧٧

بقي الإمام الحسن عليه السلام بعد الهدنة مع معاوية أياما في الكوفة، وقد عزم على مغادرة العراق والشخص لمدينة جده المدينة المنورة، وقد أظهر نيّته إلى أصحابه، ولما أذيع ذلك دخل عليه المسيب بن نجبة الفزاري وظيفان بن عمار التميمي ليودعاه فالتفت إليهما الإمام الحسن عليه السلام قائلاً: (الحمد لله الغالب على أمره، لو أجمع الخلق جميعاً على أن لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا...) وانبرى الإمام عليه للمسيب وقال له: (يا مسيب نحن نعلم أنك تحبنا... سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحب قوماً كان معهم) وطلب المسيب وظيفان منه المكوث في الكوفة فامتنع عليه السلام من ذلك قائلاً: (ليس إلى ذلك سبيل)^(١)

و علّل بعضهم عدم بقاء الإمام الكوفة بأن الإمام عليه السلام لو بقي في الكوفة لبقي مراقبا ومتهما بأنه يدبر للخروج على السلطة، وسيبقى محبوبه وشيعته محط أنظار السلطة، وملاحقتهم وتسبب الأذى والبلايا لهم.^(٢)

و عندما توجه الإمام عليه السلام وأهل بيته إلى مدينة جده خرج أهل الكوفة بجميع طبقاتهم إلى توديعه وهم ما بين باك وآسف، وسار موكب الإمام ولم يبعد عن الكوفة حتى أدركه رسول معاوية يطلب منه الرجوع للكوفة ليقاتل

(١) ينظر: موسوعة سيرة أهل البيت، الإمام الحسن بن علي: ١١ / ٢٨٣.

(٢) ينظر: سيرة الحسن في الحديث والتاريخ: ٩ / ١٢٥.

طائفة من الذين خرجوا عليه ، فأبى الإمام (عليه السلام) أن يرجع وكتب معاوية: (ولو أثرت أن أقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك، فإني تركتك لصلاح الأمة وحقن دماءها) وجدت القافلة في السير إلى أن وصلت إلى المدينة المنورة فخرج أهلها لاستقبال الإمام (عليه السلام) فقد أقبل إليهم الخير وحلت في ديارهم السعادة والبركة برجوع الإمام (عليه السلام).^(١)

و لم تكن المدينة المنورة تخلو من بني أمية ومؤيدي معاوية ومما يؤيد ذلك ما رواه (إسماعيل بن أبان بإسناده عن الحسن بن علي (عليه السلام) أنه مر في مسجد رسول الله بحلقة فيها قوم من بني أمية، فتغامزوا به، وذلك عندما تغلب معاوية على ظاهر أمره فرآهم وتغامزهم به، فصلى ركعتين ثم قال: قد رأيت تغامزكم أما والله لا تملكون يوما إلا ملكنا يومين، ولا شهرا إلا ملكنا شهرين ولا سنة إلا ملكنا سنتين، وإنا لنأكل في سلطانكم، ونشرب ونلبس وننكح ونركب، وأنتم لا تأكلون في سلطاننا ولا تشربون ولا تنكحون. فقال له رجل: فكيف يكون ذلك يا أبا محمد ؟ وأنتم أجود الناس وأرأفهم وأرحمهم، تأمنون في سلطان القوم، ولا يأمنون في سلطانكم ؟ فقال: لأنهم عادونا بكيد الشيطان، وكيد الشيطان ضعيف، وعاديناهم بكيد الله وكيد الله شديد)^(٢)

(١) ينظر: اعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي: ٤ / ١٦٥ - ١٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤ / ٨٦.

المبحث الخامس عشر: الهجرة من الكوفة والمأوى في المدينة المنورة ٢٧٩

إن الإمام الحسن عليه السلام رد عليهم بعدما صلى ركعتين؛ ليكشف لهم ضلالتهم وغرورهم وإنهم وإن كانوا يملكون السلطة لكنهم لا تمتد به إلا برهة من الزمان، وإنما السلطة الحقيقية والواقعية لأهل البيت عليه السلام، وعلل لهم الإمام عليه السلام ذلك بأنهم عادوا أهل البيت عليه السلام بكيد الشيطان وكيد الشيطان كان ضعيفا، أما أهل البيت عليه السلام فهم بكيد الله الشديد.

و لم يقف الأمر عند التغامز، فقد أصبح جدالا في الحج، كما فعل ابن العاص عندما حج إذ قال للإمام: (يا حسن زعمت أن الدين لا يقوم إلا بك وبأبيك؟! فقد رأيت الله أقامه بمعاوية؟! فجعله ثابتا بعد ميله وبيّنا بعد خفائه، أفيرضى الله قتل عثمان! أم من الحق أن تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين، عليك ثياب كقشر البيض وأنت قاتل عثمان! والله إنه لألمّ للشعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك وسكت. فأجابه الإمام عليه السلام قال له: إن لأهل النار علامات يعرفون بها وهي: الإلحاد في دين الله، والموالاة لأعداء الله، والانحراف عن دين الله، والله إنك لتعلم أن عليا عليه السلام لم يترث في الأمر، ولم يشكّ في الله طرفه عين، وأيم الله لتنتهين يا بن العاص أو لأقر عن جنبيك بكلام تبقى سبة عليك ما حييت وإياك والجرأة عليّ فأني من عرفت لست بضعيف المغمز ولا بهش المشاشة (العظام) ولا بمريء المأكلة وإني من قریش كأوسط القلادة، معروف حسبي لا أدعي لغير أبي وقد تحاكت فيك رجال من قریش فغلب عليك ألأمها حسبا وأعظمها لعنة (هو الأبتري) فإياك عني فإنما أنت

نجس ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا^(١)

ابن العاص عاص لله في نهيه عن الجدال في الحج حتى لو كان في الإحرام والطواف ببيت الله، وأما الإمام الحسن (عليه السلام) فهو عامل بفرض النهي عن المنكر والإنكار في مرتكبه وفاعله وراد عليه ومدافع عن الحق والحقيقة^(٢)

إن ابن العاص كعماوية في تزيف الحقائق فأخذ في اتهام الإمام (عليه السلام) بقتل عثمان، فما كان من الإمام الحسن (عليه السلام) إلا أن ألقمه حجرا في فيه وذكر أن كل علامات أهل النار فهي ثابتة فيه، فهو ألد في دين الله، ووالى أعداء الله، وانحرف عن دين الله، وذكره الإمام بحقيقته وأنه ابن حرام تنازع فيه القوم حتى اثبتته العاص لنفسه وهذا هو الأبر الذي ذكره سورة الوثر، وبذلك فابن العاص نجس أما الإمام (عليه السلام) فهو من أهل البيت (عليهم السلام) الذين نزلت فيهم آية التطير.

ولم يكن ابن العاص الوحيد الذي التقى به الإمام الحسن (عليه السلام) عند الحج فقد ألتقى الإمام بحبيب بن مسلمة الفهري في الطواف في غير ذلك الموسم فقال له: (رُبَّ مَسِيرٍ لَكَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ ! قال: أَمَّا مَسِيرِي إِلَى أَبِيكَ فَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ ! قال: بلى ! أطعت فلاناً على دنيا يسيرة، ولعمري لئن كان قام بك في

(١) موسوعة التأريخ الإسلامي، الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، أضواء الحوزة، بيروت،

لبنان، ٢٠١٢م: ٥/ ٥٠٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥/ ٥٠٧.

المبحث الخامس عشر: الهجرة من الكوفة والمأوى في المدينة المنورة ٢٨١

دنياك لقد قعد بك في دينك، فلو أنك إذ فعلت شراً قلت خيراً كنت كمن قال
الله عز وجل: ﴿خَطُّواْ عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اَللّٰهُ اَنْ يَّتُوْبَ عَلَيْهِمْ﴾ التوبة:
(١٠٢...)^(١)

و هذا الفهري من أوغاد قريش ومن عملاء معاوية الذين يحملون الحقد
الدفين على أهل البيت عليه السلام، فلم يكن ذا أدب في خطابه مع الإمام الحسن
عليه السلام، فرد عليه الإمام وبيّن حقيقته فإنه أطاعه معاوية على دنيا يسيرة، وليس
فيه خير يرجى، فهو ممن ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، ومصدق واقعي
لهذه الآية.

و عندما استقر الإمام الحسن عليه السلام في المدينة المنورة أنشأ فيها مدرسة
كبرى، وراح يعمل بجد في نشر الإسلام، وتوجيه المجتمع نحو الله تعالى
ودينه، وقد انتمى لمدرسته كبار العلماء وعظماء المحدثين والرواة، وقد وجد
فيهم عوناً لإداء رسالته الإصلاحية^(٢)

و من أشهر الرواة والمحدثين: ابنه الحسن بن الحسن والمسيب بن نجبة
وسويد بن غفلة والعلاء بن عبد الرحمن والشعبي وهبيرة بن يريم والأصبغ بن

(١) زهر الأدب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، دار الجبل للطباعة والنشر
والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م، ط ٤: ١ / ٩٧.

(٢) ينظر: موسوعة سيرة أهل البيت، الإمام الحسن بن علي: ١١ / ٢٨٦.

نباتة وجابر بن خالد وأبو الحوراء، وعيسى بن مأمون بن زرارة ويقال ابن المأموم وأبو يحيى عمير بن سعيد النخعي وأبو مريم قيس الثقفي وطحرب العجلي وإسحاق بن يسار والد محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن عوف، وسفيان بن الليل وعمرو بن قيس الكوفي^(١)

و كما كان الإمام (عليه السلام) يتولى نشر العلم كان يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال والتأدب بسنة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن سمو أخلاقه أنه كان يصنع المعروف والإحسان حتى مع أعدائه، من ذلك ما بلغه أن الوليد بن عقبة قد سقم فمضى لعيادته مع ما عُرف عن الوليد من بغضه لأهل البيت (عليهم السلام)، فلما استقر المجلس بالإمام ابرى إليه الوليد قائلاً: (إني أتوب إلى الله تعالى مما كان بيني وبين الناس إلا ما كان بيني وبين أبيك فإني لا أتوب إليه) وأعرض عنه الإمام (عليه السلام) ولم يقابله بالمثل، ولعله أوصله ببعض ألطافه وهداياه^(٢).

و مع المرجعية العلمية والأخلاقية للإمام الحسن (عليه السلام) فإنه كانت له المرجعية السياسية وذلك لكونه يمثل محور المعارضة والشوكة التي تنغص على

(١) ينظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ: ١٣ / ١٦٣.

(٢) ينظر: اعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي: ٤ / ١٦٧.

المبحث الخامس عشر: الهجرة من الكوفة والمأوى في المدينة المنورة ٢٨٣

معاوية وبطانته، وتمثل ذلك في^(١):

١. مراقبة الإمام الحسن عليه السلام للأحداث ومتابعتها ومراقبة الحكام وسلوكهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ومثال ذلك مراسلته لزياد لرفع الضغط عن سعيد بن أبي سرح، ولومه لحبيب بن مسلمة لمولاته لمعاوية كما مرّ ذكره.

٢. النشاط السياسي المنظم المتمثل باستقبال الوفود المعارضة، وتوجيههم ودعوته إلى الصبر، وأخذ الحزم، وانتظار أوامر الإمام عليه السلام، ويرى الدكتور طه حسين أن الإمام قد شكّل حزبا سياسيا حين مكثه في المدينة، ولم يثبت طه حسين ذلك بأدلة قاطعة.

٣. عدم تعاطف الإمام عليه السلام مع أركان النظام الحاكم على الرغم من محاولتهم لكسب عطف الإمام أو تغطية نشاطاته أو إدانتها، وقد تمثل ذلك في رفضه لمصاهرة الأمويين وفضحه لخططهم وكشفه لواقعهم المنحرف وعدم استحقاق معاوية للخلافة، وتجلّى ذلك بوضوح في مناظراته مع معاوية وبطانته في المدينة أو دمشق.

و لم يكن الإمام الحسين عليه السلام بمنأى عن المناخ الذي خطط له الإمام الحسن عليه السلام فقد وروي عن علي بن محمد بن بشير الهمداني، قال: (خرجت أنا

(١) المصدر نفسه: ٤ / ١٦٩ — ١٧٠.

وسفيان ابن ليلى حتى قدمنا على الحسن المدينة، فدخلنا عليه، وعنده المسيب بن نجبة وعبد الله بن الوداك التميمي، وسراج بن مالك الخثعمي، فقلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين، قال: وعليك السلام، اجلس، لست مذل المؤمنين، ولكني معزهم، ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل عند ما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب، ونكولهم عن القتال، ووالله لئن سرنا إليه بالجبال والشجر ما كان بد من إفضاء هذا الأمر إليه. قال: ثم خرجنا من عنده، ودخلنا على الحسين، فأخبرناه بما رد علينا، فقال: صدق أبو محمد، فليكن كل رجل منكم حلّسا من إحلاس بيته، ما دام هذا الإنسان حيا^(١)

و لم يكن رأي الإمام الحسين (عليه السلام) أيام الإمام الحسن (عليه السلام) فحسب، بل بقي عليه طيلة حكم معاوية متابعا فيه تخطيط الإمام الحسن (عليه السلام)، وبذلك فإن الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) قد فضحا النظام الأموي في مختلف الاتجاهات الفكرية والعقائدية والسياسية والاقتصادية، وبذلك كشفت سوء الحكم الأموي^(٢)

و لم يكتفِ الإمام الحسن (عليه السلام) بذلك بل فضح معاوية عندما جاء للمدينة المنورة فقد روي: أن معاوية نظر إلى الحسن بن علي (عليهما السلام) وهو بالمدينة،

(١) الأخبار الطوال، ابن قتيبة الدينوري، دار إحياء الكتاب العربي، مصر، القاهرة، ١٩٦٠م، ط١: ٢٢١.

(٢) ينظر: الإمام الحسن رائد التخطيط الرسالي: ١٦٠ — ١٦٣.

المبحث الخامس عشر: الهجرة من الكوفة والمأوى في المدينة المنورة ٢٨٥

وقد احتف به خلق من قريش يعظمونه، فتدخله حسد فدعا أبا الأسود الدؤلي والضحاك بن قيس الفهري فشاورهما في أمر الحسن والذي يهم به من الكلام. فقال له أبو الأسود: رأي أمير المؤمنين أفضل وأرى أن لا تفعل، فان أمير المؤمنين لن يقول فيه قولا إلا أنزله سامعوه منه به حسدا، ورفعوا به صعدا، والحسن يا أمير المؤمنين معتدل شبابه، أحضر ما هو كائن جوابه، فأخاف أن يرد عليك كلامك بنوافذ تردع سهامك، فيقرع بذلك ظنوبك، ويبيدي به عيوبك، فإذا كلامك فيه صار له فضلا، وعليك كلا، إلا أن تكون تعرف له عيبا في أدب، أو وقية في حسب وإنه هو المذهب، قد أصبح من صريح العرب، في غر لبابها، وكريم محتدها وطيب عنصرها، فلا تفعل يا أمير المؤمنين. ثم قال الضحاك بن قيس الفهري: أمض يا أمير المؤمنين فيه رأيك، ولا تنصرف عنه بلأيك فإنك لو رميته بقوارض كلامك، ومحكم جوابك، لقد ذل لك كما يذل البعير الشارف من الإبل، فقال: أفعل. وحضرت الجمعة فصعد معاوية المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ وذكر علي بن أبي طالب فتنقصه ثم قال: أيها الناس إن شبيهة من قريش ذوي سفه وطيش، وتكدر من عيش، أتعبتهم المقادير، اتخذ الشيطان رؤوسهم مقاعد، وألستهم مبادر، فباض وفرخ في صدورهم، ودرج في نحورهم، فركب بهم الزلل، وزين لهم الخطل، وأعمى عليهم السبل، وأرشدهم إلى البغي والعدوان، والزور والبهتان فهم له شركاء، وهو لهم قرين، ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا، وكفى بي لهم ولهم

مؤدبا، والمستعان الله. فوثب الحسن بن علي عليهما وأخذ بعصاة المنبر فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي (بن أبي طالب) أنا ابن نبي الله، أنا ابن من جعلت له الأرض مسجدا وطهورا، أنا ابن السراج المنير أنا ابن البشير النذير، أنا ابن خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، أنا ابن من بعث إلى الجن والإنس، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين. فلما سمع كلامه معاوية غاظ منطقه وأراد أن يقطع عليه فقال: يا حسن عليك بصفة الرطب، فقال الحسن عليه السلام: الريح تلقحه، والحر ينضجه، والليل يبرده ويطيبه على رغم أنفك يا معاوية، ثم أقبل على كلامه فقال: أنا ابن المستجاب الدعوة، أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب، ويقرع باب الجنة، أنا ابن من قاتلت الملائكة معه، ولم تقاتل مع نبي قبله، أنا ابن من نصر على الأحزاب، أنا ابن من ذل له قريش رغما فقال معاوية: أما إنك تحدث نفسك بالخلافة ولست هناك، فقال الحسن عليه السلام: أما الخلافة فلمن عمل بكتاب الله وسنة نبيه صلوات الله ليست الخلافة لمن خالف كتاب الله، وعطل السنة، إنما مثل ذلك مثل رجل أصاب ملكا فتمتع به وكأنه انقطع عنه وبقيت عنه وبقيت تبعاته عليه. فقال معاوية: ما في قريش رجل إلا ولنا عنده نعم مجللة، ويد جميلة قال: بلى من تعززت به بعد الذلة، وتكثرت به بعد القلة، فقال معاوية: من أولئك يا حسن؟ قال: من يلهيك عن معرفته. قال الحسن عليه الصلاة والسلام: أنا ابن من ساد قريشا شابا وكهلا أنا

المبحث الخامس عشر: الهجرة من الكوفة والمأوى في المدينة المنورة ٢٨٧

ابن من ساد الورى كرما ونبلا، أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالجود الصادق والفرع الباسق، والفضل السابق، أنا ابن من رضاه رضى الله، وسخطه سخط الله، فهل لك أن تساميه يا معاوية ؟ فقال: أقول: لا تصديقا لقولك، فقال الحسن عليه السلام: الحق أبلج، والباطل لجلج، ولن يندم من ركب الحق، وقد خاب من ركب الباطل، والحق يعرفه ذوو الألباب، ثم نزل معاوية وأخذ بيد الحسن وقال: لا مرحبا بمن ساءك.^(١)

أن معاوية يظن أن دهائه وشيظنته تؤثر في الناس وفي حضور الإمام الحسن عليه السلام، وبذلك أشار إليه أبو الأسود الدؤلي والضحاك بأن لا يحتدم مع الإمام الحسن عليه السلام فيذل كما يذل البعير، لكن غرور معاوية لم يمنعه من ذلك فأخذ في يوم الجمعة بالحديث الكاذب والتدليس الذي تعود عليه وعجن بطينته النتنة، فأخذ ينتقص من أمير المؤمنين علي عليه السلام وقريش، فتصدى له الإمام الحسن عليه السلام وكذب قوله وألقمه حجرا في فيه وبهت معاوية الذي كفر، فبين الإمام عليه السلام نسبه الناصع وفضل أمير المؤمنين أبيه عليه السلام، ولما سمع معاوية الخطاب البليغ والرد الذي أسقط ما في يده، فقام فقطع حديث الإمام عليه السلام وسأله عن الرطب فأجابه الإمام، ولم تنجح حيلة معاوية هذه، فقد أستأنف الإمام خطابه الذي به أوضح حقيقة معاوية وجعل اللعنة تلاحقه مدى الدهر.

و لم يأخذ معاوية العبرة من هذه الحجة الدامغة، فقد وفد عليه الإمام الحسن (عليه السلام) في دمشق، وما ذهاب الإمام الحسن (عليه السلام) لعاصمة الأمويين دمشق إلا لأجل الدعاية لمبدأ أهل البيت (عليهم السلام)، وإبراز الواقع الأموي أمام المجتمع الذي أضله معاوية بكذبه وإشاعاته، وبذلك ناظر الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية ومن معه في مجلسه^(١)، كما مرّ بنا في مبحث سابق إذ ذكرنا الرواية مفصلة وعلقنا عليها.

(١) ينظر: موسوعة سيرة أهل البيت، الإمام الحسن بن علي: ١١ / ٣٠١

A vertical decorative element featuring a central rectangular box with rounded corners. Above and below the box are symmetrical, intricate geometric patterns. The top part consists of a series of pointed, interlocking shapes, while the bottom part is a mirror image of the top. The entire design is rendered in black and white.

المبحث السادس عشر: الإمام الحسن إلى جنة الخلد

أن الإمام الحسن عليه السلام قد فصل القول في ذكر جريمة الاغتيال التي أودت بحياته، فقد روي عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام: (أن الحسن عليه السلام قال لأهل بيته: إني أموت بالسم كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: ومن يفعل ذلك؟ قال: امرأتي جعدة بنت الأشعث بن قيس، فان معاوية يدس إليها ويأمرها بذلك، قالوا: أخرجها من منزلك، وباعدها من نفسك، قال: كيف أخرجها ولم تفعل بعد شيئاً ولو أخرجتها ما قتلني غيرها، وكان لها عذر عند الناس. فما ذهبت الأيام حتى بعث إليها معاوية مالا جسيما، وجعل يمنيها بأن يعطيها مائة ألف درهم أيضا ويزوجها من يزيد وحمل إليها شربة سم لتسقيها الحسن عليه السلام فانصرف إلى منزله وهو صائم فأخرجت وقت الافطار، وكان يوما حارا شربة لبن وقد ألفت فيها ذلك السم، فشربها وقال: عدوة الله! قتلتيني قتلك الله والله لا تصيبين مني خلفا، ولقد غرك وسخر منك، والله يخزيك ويخزيه. فمكث عليه السلام يوما ثم مضى، فغدر بها معاوية ولم يف لها بما عاهد عليه^(١).

إن الروايات أكدت أن الإمام الحسن عليه السلام قد مات بسبب سم دسه إليه معاوية عن طريق جعدة بنت الأشعث، وتفصيل ذلك كما ذكره الشيخ المفيد إذ قال: (عيسى بن مهران قال: حدثنا عبيد الله بن الصباح قال: حدثنا جرير، عن مغيرة قال: أرسل معاوية إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس: أني مزوجك (يزيد

ابني)، على أن تسمي الحسن، وبعث إليها مائة ألف درهم، ففعلت وسمت الحسن (عليه السلام) فسوغها المال ولم يزوجها من يزيد، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها، فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم وقالوا: يا بني مسممة الأزواج^(١).

و هذا النص يبيّن أن معاوية الفاعل الرئيس في اغتيال الإمام (عليه السلام)، وما يؤكد أن الإمام (عليه السلام) قد سقي السم، ما ذكره الإمام لأخيه الإمام الحسين (عليه السلام) إذ قال: (عبد الله بن إبراهيم، عن زياد المحاربي قال: لما حضرت الحسن (عليه السلام) الوفاة استدعى الحسين (عليه السلام) وقال له: يا أخي إنني مفارقك ولاحق بربي، وقد سقيت السم ورميت بكبدي في الطست، وإني لعارف بمن سقاني ومن أين دهيت، وأنا أخاصمه إلى الله عز وجل، فبحقي عليك إن تكلمت في ذلك بشيء، وانتظر ما يحدث الله تبارك وتعالى في، فإذا قضيت فغسلني وكفني، واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله ﷺ لأجدد به عهداً، ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة فادفني هناك، وستعلم يا بن أم إن القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند رسول الله ﷺ فيجلبون في منعكم من ذلك، وبالله أقسم عليكم أن تهريق في أمري محجمة من دم)^(٢).

(١) الإرشاد: ٢ / ١٦.

(٢) اعلام الورى بأعلام الورى: ١ / ٤١٤.

مَنْ كَانَ الْإِمَامَ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَصِمَهُ لَدَى اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ فِي خَسْرَانٍ مَبِينٍ، وَلِذَلِكَ أَوْصَى الْإِمَامُ لِأَخِيهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَرَاسِيمِ الْغَسْلِ وَالْدَفْنِ، وَذَكَرَ أَنَّ مَدْفَنَهُ عِنْدَ قَبْرِ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنْ حَدُوثُ الْفِتْنَةِ وَقُدُومُ أُمِّ الْجَمَلِ يَحُولُ دُونَ ذَلِكَ، وَأَنْ لَا تَهْرَقَ فِي أَمْرِهِ مَحْجَمَةٌ دَمٍ، فَيَكُونُ مَدْفَنُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ قَبْرِ جَدَّتِهِ فَاطِمَةَ، وَيَسْتَقِرُّ ضَرْيُهِ فِي الْبَقِيعِ الْغَرْقَدِ.

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ فِي ضَيْعَةٍ لَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَوَافَى، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ عَنْ يَسَارِهِ، وَالْحُسَيْنُ عَنْ يَمِينِهِ، فَفَتَحَ الْحَسَنُ عَيْنَهُ، فَأَرَاهُمَا، فَقَالَ لِلْحُسَيْنِ: (يَا أَخِي، أَوْصِيكَ بِمُحَمَّدٍ أَخِيكَ خَيْرًا، فَإِنَّهُ جَلْدَةٌ مَا بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ) ثُمَّ قَالَ: (يَا مُحَمَّدُ، وَأَنَا أَوْصِيكَ بِالْحُسَيْنِ، كَانْفَهُ وَوَاظِرَهُ). ثُمَّ قَالَ (ادْفِنُونِي مَعَ جَدِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ، فَإِنْ مَنَعْتُمْ فَالْبَقِيعُ)^(١)

فَلَمَّا غَسَلَهُ وَكَفَنَهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحَمَلَهُ عَلَى سَرِيرِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى قَبْرِ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَجْدُدَ بِهِ عَهْدًا، أَتَى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ فَقَالَ: أَيْدِفْنِ عِثْمَانَ فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَيَدْفِنِ الْحَسَنَ مَعَ النَّبِيِّ؟ لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا وَلَحِقَتْ عَائِشَةُ عَلَى بَغْلٍ وَهِيَ تَقُولُ: مَالِي وَلَكُمْ؟ تَرِيدُونَ أَنْ تَدْخُلُوا بَيْتِي مِنْ لَا أَحَبَّ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، لَا نَرِيدُ دَفْنَ صَاحِبِنَا فَإِنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ بِحَرَمَةِ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَنْ يَطْرُقَ عَلَيْهِ هِجْمًا، كَمَا طَرُقَ ذَلِكَ غَيْرُهُ، وَدَخَلَ بَيْتَهُ

(١) ينظر: الأخبار الطوال: ٢٢١.

بغير إذنه، انصرف فنحن ندفنه بالبقيع كما وصى. ثم قال لعائشة: وا سواتاه
يوما تجملت ويوما تبغلت، وإن عشت تفيلت، فأخذه ابن الحجاج الشاعر
البغدادي فقال:

يا بنت أبي بكر لا كان ولا كنت
لك التسع من الثمن وبالكل تملكنت
تجملت تبغلت وإن عشت تفيلت^(١)

وليس هذا فحسب فقد أمرت عائشة بني أمية برمي جنازة الإمام الحسن
عليه السلام، فرموه حتى استل منه سبعون سهماً، ولما رأى الإمام الحسين عليه السلام بني
هاشم وقد هموا بعضهم بالهجوم على بني أمية قال عليه السلام: (الله الله يا بني هاشم،
لا تضيعوا وصية أخي، وأعدلوا به إلى البقيع، فإنه أقسم عليّ إن أن منعت من
دفنه مع جده أن لا أخاصم فيه أحداً وأن أدفنه في البقيع مع أمه) ثم التفت إلى
الأمويين فقال لهم: (و الله لو لا عهد الحسن إلي أن لا أهرق في أمره محجمة من
دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذه، وقد نقضتم العهد الذي بيننا
وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا)^(٢).

و وقف الإمام الحسين عليه السلام على حافة القبر، وأخذ يؤبّن أخاه وقد هاج
به الحزن وأخذ به الأنين أي مأخذ: (رحمك الله يا أبا محمد، إن كنت لتباصر

(١) ينظر: بحار الأنوار: ٤٤ / ١٥٤.

(٢) موسوعة سيرة أهل البيت، الإمام الحسن بن علي: ١١ / ٤٩٥ — ٤٩٦.

الحق مظانه، وتؤثر الله عند التداحض في مواطن التقية بحسب الرواية، وتستشف جليل معظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتفيض عليها يدا طاهرة الأطراف، نقية الأسرة، وتردع بادرة غرب أعدائك بأيسر المؤونة عليك، ولا غرو فأنت ابن سلالة النبوة ورضيع لبنان الحكمة، فإلى روح وريحان، وجنة ونعيم، وأعظم الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم حسن الأسى عنه^(١) و السلام على الإمام الحسن يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا، والحمد لله أولا وآخرا.

انتهت من تأليف الكتاب

٢٥ / صفر الخير / ١٤٤٣ هـ

وراجعته ليلة ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام

ليلة ١٣ / رجب / ١٤٤٧ هـ

(١) المصدر نفسه: ١١ / ٤٩٧.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. الاحتجاج، الطبرسي، دار النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦م
٢. الأخبار الطوال، ابن قتيبة الدينوري، دار إحياء الكتاب العربي، مصر، القاهرة، ١٩٦٠م، ط ١
٣. الإرشاد، الشيخ المفيد، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ط ٢
٤. أسباب نزول الآيات، الواحدي النيسابوري، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٨م
٥. أضواء على ثورة الحسين، السيد الشهيد محمد الصدر، دار ومكتبة البصائر، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م
٦. أعلام الهداية، الإمام الحسن المجتبي، المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام
٧. إعلام الوري بأعلام الهدى، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٧هـ، ط ١
٨. الأمالي، الشيخ الصدوق، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ، ط ١
٩. الإمام الحسن المجتبي بين الواقع السياسي والبناء العقائدي، الأستاذ الدكتور، عامر عمران الخفاجي، مركز الإمام الحسن للدراسات

- التخصصية، النجف الأشرف، ٢٠١٩م، ط ١
١٠. الإمام الحسن بن علي شجاعة قيادة وحكمة سياسية، الشيخ إبراهيم حسن البغدادي، تقرير أبحاث الشيخ محمد السند
١١. الإمام الحسن بن علي، الشيخ محمد حسن آل ياسين، مركز الإمام الحسن للدراسات التخصصية، النجف الأشرف، ٢٠١٧م، ط ١
١٢. الإمام الحسن رائد التخطيط الرسالي، الدكتور محمد حسين علي الصغير، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م، ط ١
١٣. الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي، السيد سامي البدري، دار الفقه للطباعة والنشر، قم، ٢٠١٢م، ط ١
١٤. الإمام موسى بن جعفر ضحية الإرهاب السياسي، الدكتور محمد حسين علي الصغير، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م، ط ١
١٥. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، انتشارات الشريف الرضي، قم، ١٤١٣هـ، ط ١
١٦. الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، الشيخ عباس القمي، منشورات دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م، ط ١
١٧. الأنوار القدسية، الشيخ محمد حسين الأصفهاني، مؤسسة المعارف للإسلام، قم، ١٤١٥هـ، ط ١
١٨. أئمة أهل البيت ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية، السيد محمد باقر

الصدر، مطبعة شريعت، قم، ١٤٣٠هـ، ط ٣

١٩. بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان،

١٩٨٣م: ط ٢

٢٠. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، مؤسسة البعثة، قم، (د.

ت)

٢١. تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

بيروت لبنان

٢٢. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،

بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ

٢٣. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، مكتب الإعلام الإسلامي،

١٤٠٩هـ، ط ١

٢٤. تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي،

قم، ١٤٠٤هـ، ط ٢

٢٥. ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير، ابن

سعد، تحقيق: السيد عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة آل البيت لإحياء

التراث، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ط ١

٢٦. ترجمة الإمام الحسن، ابن عساكر، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر،

بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ط ١

٣٠٠ الإمام الحسن (عليه السلام) القائد المصلح

٢٧. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي

٢٨. التفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت،

لبنان، ١٩٧٨م، ط ٢

٢٩. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٤م، ط ٦

٣٠. الحسن بن علي رجل الحرب والسلام، السيد محمد علي الحلوي، دار المتقين،

بيروت، لبنان، (د. ت)

٣١. الحياة السياسية للإمام الحسن، السيد جعفر مرتضى العاملي، دار المسرة،

بيروت، ١٩٩٤، ط ١

٣٢. الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٩ هـ، ط ١

٣٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة

والنشر، بيروت، لبنان، (د. ت)

٣٤. روح المعاني، للألويسي (د. ط)، (د. ت)

٣٥. زاد الزائر في شرح زيارات المعصومين، المؤلف، دار أمل الجديدة،

دمشق، سوريا، ٢٠٢٤م،

٣٦. زهر الأدب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، دار الجبل

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م، ط ٤

٣٧. سر السلسلة العلوية، أبو نصر البخاري، منشورات المكتبة الحيدرية،

النجف الأشرف، ١٤١٣هـ، ط ١

٣٨. سلسلة مثالب معاوية بن أبي سفيان بالأسانيد الصحيحة، حسن بن

فرحان المالكي، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ٢٠١٦م، ط ١

٣٩. سيرة الإمام الحسن في الحديث والتأريخ، السيد جعفر مرتضى العاملي،

المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، لبنان، ٢٠١٧م، ط ١

٤٠. سيرة الأئمة الاثني عشر، الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار المؤرخ العربي،

بيروت، لبنان، ٢٠١٢م، ط ١

٤١. شذرات من فلسفة تأريخ الحسين، السيد الشهيد محمد الصدر، دار

البصائر، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م

٤٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، دار إحياء الكتب العربية،

١٩٥٩م، ط ١

٤٣. صلح الحسن غدير عز ولغز جهاد، الشيخ أحمد محمد إسماعيل، دار

الهادي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م، ط ١

٤٤. صلح الحسن، الشيخ راضي آل ياسين، منشورات المكتبة الحيدرية،

١٣٩٣هـ، ط ١

٤٥. الاعتقادات في دين الإمامية، الشيخ الصدوق، دار المفيد للطباعة والنشر

والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ط ٢

٤٦. علل الشرائع، الشيخ الصدوق، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف

الأشرف، ١٩٦٦م

٤٧. عمدة الطالب في أنساب أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني (ابن عنبه)،

منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦١م، ط ٢

٤٨. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد أحمد ابن صباغ المالكي، دار

الحديث للطباعة والنشر، قم، ١٤٢٢هـ، ط ١

٤٩. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م

٥٠. كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الفتح الإربلي، دار الأضواء ، بيروت،

لبنان

٥١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن

عطية الأندلسي

٥٢. مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني، مؤسسة الوفاء الإسلامية، قم،

١٤١٤هـ، ط ١

٥٣. معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول، الشيخ محمد الزرندي

الحنفي، (د. ط)

٥٤. معاني القرآن الكريم ، أبو جعفر النحاس، جامعة أم القرى، المملكة

العربية السعودية، ١٤٠٩هـ، ط ١

٥٥. من حياة الإمام الحسن ، السيد محمد الحسيني الشيرازي، منشورات أم

أبيها، كربلاء المقدسة

٥٦. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف،

١٩٥٦م

٥٧. مهج الدعوات ومنهج العبادات، السيد ابن طاووس، (د. ط)

٥٨. موسوعة التأريخ الإسلامي، الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي،

أضواء الحوزة، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م

٥٩. موسوعة سيرة أهل البيت، الإمام الحسن بن علي، الشيخ باقر شريف

القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، مطبعة مستار، نشر دار المعروف،

٢٠١٢م، ط ٢

٦٠. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة

النشر الإسلامي، قم المقدسة، (د. ت)

٦١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين الباقي (د. ط)، (د.

ت)

٦٢. نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، جمع الشريف الرضي، شرح محمد عبده، دار

الذخائر، قم ١٤١٣هـ، ط ١

٦٣. وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري، المؤسسة العربية الحديثة للطباعة،

القاهرة، ١٣٨٢، ط ٢

٦٤. اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني، السيد الشهيد محمد الصدر، دار

ومكتبة البصائر، بيروت، لبنان، ٢٠١١م

٣٠٤ الإمام الحسن عليه السلام القائد المصلح

المحتويات

المبحث الأول: مسيرة النور في سطور	١٣
" في مولد أبي محمد الحسن السبط "	٢٢
موقفه من الكيان العالمي	٢٣
" ووالد وما ولد "	٢٤
" البشرى "	٢٥
" التسليم والرضا "	٢٦
" المدفن القدسي "	٢٧
المبحث الثاني: روايات وتوضيحات	٢٩
المبحث الثالث: المعجزات الباهرات	٤٣
المبحث الرابع: زيارة ومقامات	٥٥
الأولى: السلام عليك يا بن رسول رب العالمين، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين، السلام عليك يا بن فاطمة الزهراء	٥٨
الثانية: السلام عليك يا حبيب الله	٥٨
الثالثة: السلام عليك يا صفوة الله	٥٩
الرابعة: السلام عليك يا أمين الله	٦٠
الخامسة: السلام عليك يا صراط الله	٦٠

٣٠٦ الإمام الحسن عليه السلام القائد المصلح

- السادسة: السلام عليك يا بيان حكم الله ٦٢
- السابعة: السلام عليك يا ناصر دين الله ٦٢
- الثامنة: السلام عليك أيها السيد الزكي ٦٣
- التاسعة: السلام عليك أيها البر الوفي ٦٤
- العاشر: السلام عليك أيها القائم الأمين ٦٥
- الحادية عشر: السلام عليك أيها العالم بالتأويل ٦٥
- الثانية عشر: السلام عليك أيها الطاهر الزكي ٦٦
- الثالثة عشر: السلام عليك أيها التقي النقي ٦٨
- الرابعة عشر: السلام عليك أيها الحق الحقيق ٦٨
- الخامسة عشر: السلام عليك أيها الشهيد الصديق ٦٩
- المبحث الخامس: زوجاته وأولاده ٧١
- المبحث السادس: علم الإمام الحسن عليه السلام ٨٣
- المبحث السابع: بلاغة الإمام وفصاحته ٩٩
- المبحث الثامن: الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين ١٣١
- المبحث التاسع: القيادة ١٦٧
- المبحث العاشر: المجتمع المتدني ١٩١
- المبحث الحادي عشر: البيعة للإمام الحسن وما بعدها ٢٠٩
- المبحث الثاني عشر: معاوية عدو الله ورسوله وأهل بيته ٢٢٣

المحتويات ٣٠٧

المبحث الثالث عشر: مقدمات لشعل فتيل الحرب ٢٤١

المبحث الرابع عشر: الهدنة وأسبابها ونتائجها ٢٥٧

المبحث الخامس عشر: الهجرة من الكوفة والمأوى في المدينة المنورة ٢٧٥

المبحث السادس عشر: الإمام الحسن إلى جنة الخلد ٢٨٩

المصادر والمراجع ٢٩٧

المحتويات ٣٠٥